الطائفية في الشرق الأوسط

التداعيات على الولايات المتحدة

هيذر إم روبنسون (Heather M. Robinson) بن كونابل (Ben Connable)

ديفيد إي ثيلر (David E. Thaler) علي جي سكوتن (Ali G. Scotten)





الطائفية في الشرق الأوسط

التداعيات على الولايات المتحدة

هيذر إم روبنسون (Heather M. Robinson) بن كونابل (Ben Connable)
ديفيد إي ثيلر (David E. Thaler) علي جي سكوتِن (Ali G. Scotten)

مُعد من أجل جيش الولايات المتحدة

تمّت الموافقة عليه للنشر العامّ؛ لا قيود على التوزيع

للحصول على مزيدٍ من المعلومات حول هذا المنشور، الرجاء زيارة الموقع الإلكتروني
www.rand.org/t/RR1681

تم النشر بواسطة مؤسسة RAND، سانتا مونيكا، كاليفورنيا.

الغلاف: المسلمون السُنَّة والشيعة يؤدون صلاة عيد الفطر احتفالاً بنهاية صيام
شهر رمضان في موقع هجوم انتحاري بسيارة مفخخة في عطلة نهاية الأسبوع
في منطقة سوق الكرادة في بغداد، العراق، 6 تموز (يوليو) 2016. رويترز/ثائر السوداني

تمهيد

توثِّق هذه الدراسة البحث والتحليل اللذين تم إجراؤهما باعتبارهما جزءًا من مشروع يحمل عنوان *Implications of a Religious War in the Middle East for the U.S. Army* برعاية المقرات الرئيسية وإدارة الجيش ونائب رئيس الأركان ومجموعة الثماني ومكتب المراجعة الدفاعية الربعي التابع للجيش الأمريكي. كان الغرض من هذا المشروع بحث قضية الطائفية في الشرق الأوسط مع التركيز على سوريا والعراق.

الترميز التعريفيّ الفريد للمشاريع بالنسبة للمشروع الذي نتجت عنه هذه الوثيقة هو HQD146841.

أُجري هذا البحث في إطار برنامج الموارد والعقائد والاستراتيجيات التابع لمركز RAND Arroyo. يتبع مركز RAND Arroyo مؤسسة RAND، وهو مركز للأبحاث والتنمية ممول فيدراليًا برعاية الجيش الأمريكي.

تعمل مؤسسة RAND وفقًا لمتطلبات الهيئة الأمريكية Federal-Wide Assurance (FWA00003425) وتمتثل *لقانون اللوائح الفيدرالية لحماية البشر بموجب قانون الولايات المتحدة* (45 CFR 46)، والمعروف أيضًا باسم "القاعدة المشتركة" بالإضافة إلى تطبيق الإرشادات الواردة في توجيه وزارة الدفاع الأمريكية 3216.02. ويشمل هذا الامتثال، عند تطبيقه، المراجعات والموافقات الصادرة عن مجلس المراجعة المؤسسي التابع لمؤسسة RAND (لجنة حماية البشر التابعة لمؤسسة RAND) والجيش الأمريكي. وتُعتبر وجهات نظر المصادر التي تم الاستفادة منها في هذه الدراسة خاصة بهم وحدهم ولا تمثل السياسة الرسمية لوزارة الدفاع الأمريكية أو الحكومة الأمريكية أو مكانتهما.

المحتويات

الأشـكال

الملخص

كُتبت هذه الدراسة التي تتناول الطائفية في الشرق الأوسط في عام 2015 بهدف الاستفادة منها في السياسة الأمريكية في العراق وسوريا. ومنذ الانتهاء من المسودة الأولية، ألحقت الولايات المتحدة وحلفاؤها الهزيمة بالفرقة القتالية الرئيسية لتنظيم الدولة الإسلامية، واستعاد نظام بشار الأسد (Bashar al-Assad) السوري توازنه بعدما كان قريبًا من الهزيمة، وأحكمت حكومة العراق سيطرتها على أراضي الدولة. بينما بدأت الولايات المتحدة سحب بعض من قواتها من سوريا، تأججت التوترات بين المملكة العربية السعودية، التي يغلب عليها المذهب السُنِّي، والجمهورية الإسلامية إيران، التي يغلب عليها المذهب الشيعي. ويرى الكثير من المراقبين لشؤون الشرق الأوسط بأنه قد اندلعت حرب حامية الوطيس بالوكالة بين الدولتين على أساس الطائفية الشديدة في اليمن وسوريا والعراق. وقد بات نشوب الحرب بين قوات التحالف السعودية والإيرانية الآن أكثر احتمالاً عن أي مرحلة مضت في التاريخ المعاصر. على الرغم من أن التحليل والنتائج المستخلصة من هذه الدراسة يعود تاريخها إلى عام 2015، فإن الأحداث الناشئة سريعًا في ذلك الوقت لم تتغير فحواها: تعتبر هذه الدراسة ذات صلة في الوقت الحالي كما لو كانت في أحدث مسودة لها. يرد فيما يلي نص من الدراسة الأصلية.

الطائفية في الشرق الأوسط

كثيرًا ما يتم اتخاذ القرارات السياسية بناءً على الافتراضات التي تفيد بأن الشرق الأوسط تمزقه حرب طائفية محضة ثنائية بين المسلمين السُنَّة والشيعة وأن الهوية الطائفية ثابتة وأن المشكلات الطائفية الكامنة مستعصية. وعلى إثر هذه الافتراضات، يوصي الكثير من النقاد بألا تتيح الولايات المتحدة للشرق الأوسط إعادة ترتيب الأوضاع لتناسب

الانقسام الطائفي فحسب، بل تساعد أيضًا على تعزيز هذه الانقسامات من خلال دعم إنشاء دول جديدة ومناطق بديلة تتماشى مع الطائفية. يوضح بحثنا أن تلك الافتراضات التي أدت إلى بعض هذه التوصيات يعتريها غالبًا الخطأُ والنقصان والتضليل. بينما تكون الهوية الطائفية وثيقة الصلة بالموضوع بكل تأكيد، فإنها غالبًا أقل صلة من الهويات الاقتصادية والجغرافية والسياسية والاجتماعية الأخرى، وفي معظم الحالات تعتبر هذه الهويات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببعضها. يوضح بحثنا أيضًا أن المشكلات الطائفية هذه ليست مستعصية بالضرورة: على رغم تاريخ الانقسامات الطائفية الطويل في الشرق الأوسط، توجد أيضًا رواية عن وجود تعاون بين الطوائف وقومية شديدة الطائفية. ومن المرجح أن يؤدي تعزيز الصراع الطائفي الجلي في الشرق الأوسط إلى تقويض جهود الولايات المتحدة الرامية إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة بدلاً من دعم تلك الجهود. يتطلب تحقيق النجاح الاستراتيجي طويل الأمد في هذه الأماكن مثل سوريا والعراق مزيدًا من الفهم الدقيق لهذه الصراعات والأسباب الكامنة وراءها.

في حين أن الصراع الطائفي بين السُنَّة والشيعة في الشرق الأوسط قائم منذ أكثر من 1,300 عام، إلا أن طبيعة الطائفية والصراع الطائفي قد تطورت وتغيرت بشكل ملحوظ خلال تلك الفترة. وخلافًا للراوية المتكررة التي تفيد بوجود تاريخ قديم وطويل من الصراع المستعصي بين الطائفتين حول الخلافات العقائدية، فإن هناك دراسة دقيقة لهذه التفاعلات بين السُنَّة والشيعة منذ انقسامهم، تبين أن القضايا السياسية والتشريعية والجغرافية والاقتصادية والعرقية وغيرها من القضايا كانت بدرجة الأهمية ذاتها إن لم تكن بقدر أكبر من الأهمية عن دور الخلافات العقائدية في تقسيم هاتين الطائفتين. على الرغم من أن الطائفية تمثل دافعًا للصراع في دول مثل العراق وسوريا، لن يكون من الحكمة القول بأن الصراع في كلا البلدين ناتج عن الانقسامات الدينية بين السُنَّة والشيعة، وليست المنافسة الجغرافية السياسية والنزاعات المحلية والصراعات السياسية التي تمثل الأسباب الرئيسية للصراع في هذين البلدين. وقد زاد الصراع بين هاتين الطائفتين، على مدار التاريخ، عندما أضحت المذهبية الدينية هي الهوية المُعلنة في المقام الأول على الهويات الأخرى، مثل القومية العرقية أو الانتماء القبلي المحلي.

النتائج الرئيسية

إن دوافع الصراع بين السُنَّة والشيعة ذات طبيعة سياسية في معظمها، وتفيد السياقات السياسية والاجتماعية بأفضلية الهوية الطائفية وسيادة الطائفية. تظهر الطائفية من جديد غالبًا استجابة لتهديد حقيقي أو متصوّر للموارد أو الأمن أو التمثيل الكافي في النظام السياسي. وقد كان الحال كذلك بصورة خاصة في القرن الماضي، في ظل تزايد رغبة الأفراد في الحصول على تمثيل سياسي مباشر على أسس دينية، مما تسبب في جعل الطائفية جزءًا لا يتجزأ من الخطاب السياسي. عندما تتصور الجهات الفاعلة الطائفية وجود تهديد سياسي من طائفة أخرى جراء تصرفات أو تصريحات معينة، تميل هذه الجهات إلى الرد بطريقة تحمل الطابع الطائفي لحماية المصالح السياسية والدينية، وقد يفضي ذلك إلى دوامة من الارتياب بين الطائفتين.

قد يكون الوصف الأفضل للطائفية أنها قضية متداخلة مع كونها على وجه العموم ظاهرة ذات شقين: داخلي وخارجي. تحدث الطائفية الداخلية على المستوى الداخلي للدولة وعادة ما تنشأ عن قادة الدولة أو القيادات الدينية أو المناهضين الذين يستخدمون الهوية الطائفية لأغراضهم السياسية. ويُفضي الضغط من أعلى لأسفل غالبًا إلى الخلاف الطائفي الشائع. لقد تأججت التوترات الطائفية أيضًا، على مر التاريخ، حول الشكوك التي تنتاب الجهات الفاعلة الطائفية بأن الطوائف الأخرى تتعاون مع الجهات الأجنبية، سواء الطائفية أو غير الطائفية. يكمن الأساس الجذري لهذه التوترات الطائفية من جديد في القلق الذي ينجم عن احتمالية تربع طائفة على المشهد السياسي دون بقية الطوائف. وفي هذه الحالات، ترسّخ الاتهامات والصراع العنيف مزيدًا من فقدان الثقة بين الطوائف بسبب المخاوف السياسية القائمة منذ أمد بعيد. بالنسبة لصنّاع السياسات الأمريكيين، ينجم عن الطائفية الداخلية الأجنبية معضلة تتمثل في: أن التحيز تجاه أحد أطراف الصراع السياسي الداخلي يمكن أن يأتي بنتائج عكسية، خاصة إذا كان ذلك الصراع قائمًا على الانقسامات الطائفية. وينبغي أن يدرك صنّاع السياسات تمام الإدراك المخاطر عندما يكون من المستحيل الابتعاد عن الصراع الطائفي الداخلي.

وتحدث الطائفية الخارجية على المستوى المتعلق فيما بين الدول وتشتمل على تشجيع إحدى الجهات الفاعلة الطائفية على الانقسامات الطائفية داخل البلاد الأجنبية بهدف تحقيق أغراضها السياسية. ويتجلى هذا الأمر مع الجهات الفاعلة الطائفية من الدول بصورة أكثر شيوعًا، وآخرها ما دار بين إيران والمملكة العربية السعودية. ويحدث هذا أيضًا بين الجماعات الإسلامية متعددة الجنسيات. تؤدي الجهات الفاعلة الخارجية

الطائفية إلى تفاقم الطائفية عن طريق دعم الجوانب الطائفية في الصراعات الإقليمية. ويظهر هذا الأمر في شكل صراع جغرافي سياسي على نطاق أكبر بين الدول أو الجماعات التي تصور نفسها على أنهم "أبطال" طائفيون من أجل زيادة سيطرتهم ونفوذهم الإقليمي.

يفضي استغلال الهوية الطائفية إلى تفاقم التوترات. تتمثل إحدى الطرق الرئيسية التي تقحم الجهات الفاعلة الطائفية أنفسها من خلالها في النزاعات في التلويح بالهوية الدينية في خطابها السياسي للترويج للشعارات الطائفية الإسلامية المناهضة. ويجنح هذا النهج إلى دس العداوة الطائفية التي تضفي طابعًا سياسيًا على الاختلافات العقائدية الأساسية ولكن لا تحمل في طياتها أي صور للعنف بين السُنَّة والشيعة. ويزيد استمرار إضفاء الطابع السياسي على الهوية الطائفية من تفاقم الأمر بسبب سرعة التواصل الحديثة.

الطائفية هي إحدى الهويات الإقليمية التنافسية الكثيرة في الشرق الأوسط. يمكن للكثير من الهويات الفردية والجماعية الأخرى أن تحظى باهتمام أساسي أكثر من الطائفية، وذلك في أي منطقة تتسم فيها الهويات بالتعقيد والتعايش والتغير. على سبيل المثال، لقد تغلبت العصبيات القبلية على الهوية الدينية في الأوقات التي كان فيها الأكثر ملائمة وحنكة على الصعيد السياسي الركون إلى القبيلة على حساب الطائفية. ويمكن أن يقال هذا أيضًا عن الهويات الأخرى مثل المهنية أو العرقية أو القومية. علاوة على ذلك، فإن الإسلام السُنِّي والشيعي مُنقسم داخليًا على أسس طائفية فرعية غالبًا ما تكون ذات أهمية. كما أن الدول الطائفية والجهات الفاعلة من غير الدول يتعين عليها إدارة هذه الهويات المتنافسة والتعامل مع التنوع العرقي والديني داخل أراضيها وخارجها. لا يمكن لأي جهة فاعلة أن تعمل بمفردها على أسس طائفية. تتسم الطائفية بكونها أداة سياسية أكثر من كونها دافعًا رئيسيًا للصراع، على الرغم من أن هذا الوضع على ما يبدو في طريقه إلى التغيير مع تزايد حدة الخطاب الطائفي.

تختلف طبيعة الطائفية بدرجة كبيرة باختلاف الدولة في جميع أرجاء الشرق الأوسط. ولدى كل صراع طائفي وكذلك كل دولة في منطقة الشرق الأوسط توازن مختلف من الطائفية التي تؤججها أطراف داخلية وخارجية. يُعزى هذا الأمر جزئيًا إلى اختلاف التركيبة العرقية الدينية في كل دولة مما يؤدي إلى تهيئة بيئة سياسية وطائفية فريدة. ويُعزى أيضًا إلى العلاقات المختلفة التي تتمتع بها كل دولة مع الجهات الفاعلة الطائفية الخارجية والأهداف السياسية المختلفة التي تحظى بها الجهات الفاعلة الخارجية في كل دولة أو صراع. كما هو الحال مع الصراعات الحالية في سوريا والعراق، تبدو الطائفية الخارجية الأكثر انتشارًا في سوريا، بينما تهيمن الطائفية الداخلية على العراق.

يعاني العراق من الانقسامات الطائفية الدائمة، لكن لا يوجد شيء مستعصٍ أو غير قابل للحل بطبيعته فيما يخص تلك الانقسامات. ويمكن أن توجد الطائفية في العراق بجانب القومية والإقليمية والقبلية وغير ذلك من "الهويات المذهبية" الكثيرة دون أن تتسبب بالضرورة في تقسيم الدولة العراقية. كما أن التباين الدائم محتمل في العراق وإن كان غير مستساغ كما هو الحال في الدول الأخرى. بدلاً من التركيز على الطائفية باعتبارها سببًا في المشكلات الحالية في العراق، سيكون من الأجدى التفكير في حدة الهوية الطائفية باعتبارها نتيجة لعقود من الحوكمة غير الفعالة والقمعية والتدخلات الخارجية الكارثية. على الرغم من أن الطائفية لا تحتاج بالضرورة إلى السيطرة على المشهد السياسي العراقي على المدى الطويل، يبدو أنه لا يمكن إنكار أن الطائفية العرقية ستؤدي دورًا قويًا وربما مهيمنًا في السياسة العراقية للمستقبل المنظور. ولن يصبح اضطهاد السُنَّة للشيعة على مدار قرنين من الزمان تقريبًا طي النسيان عما قريب، ولن يُنسى العنف الشديد الذي دارت رحاه في الحرب الأهلية عام 2006–2007 أو اضطهاد الحكومة الأخيرة للسُنَّة. مع ذلك، يشير تاريخ الطائفية في العراق إلى أنه لم يفُتِ الأوان لتفادي تقسيم الدولة.

تعتبر أسس الحرب في سوريا غير طائفية. حيث كانت انتفاضة عام 2011 في سوريا مناهضة للنظام وليس مناهضة للعَلَويين (كانت العَلَوية طائفة شيعية). لكنها أخذت صبغة طائفية عقب شروع الجهات الفاعلة الطائفية الخارجية في تقديم دعمها للأطراف الضالعة في الصراع، والذي من شأنه أن يضمن مصالحها السياسية. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الكثير من الأطراف لاستغلال التوتر الطائفي في الترويج لأجنداتهم السياسية، فإنه من السذاجة القول بأن الهوية الطائفية هي السبب الرئيسي للانتفاضة ضد بشار الأسد أو الدافع الوحيد لاستمرار العنف. وحتى في الوقت الراهن، توجد جهات رئيسية داخل سوريا لم تكن الطائفية المحرك لهم.

يجب على صنّاع السياسات ومخططي الحرب الأمريكيين تجنب تناول الأمور بصورة سطحية. يختلف مفهوم الطائفية باختلاف الدولة في جميع أنحاء الشرق الأوسط. يجب أن يكف صنّاع القرار الأمريكيون عن تصنيف الأفراد والمجموعات في فئات كبيرة ومبسطة لتسهيل تحديد الهوية، ويجب عليهم بدلاً من ذلك تحديد هوية الأفراد والمجموعات التي يمكن للولايات المتحدة إيجاد أرضية مشتركة معها بشأن الأهداف السياسية. لا يمكن إغفال وضع الطائفية في الاعتبار بل يجب عدم إغفال ذلك، لكن يمكن وضعها بعناية وبفعالية أكبر في المناقشات والقرارات السياسية.

يجب على الولايات المتحدة ألا تختار بين الدول أو الجماعات الشيعية والسُنِّية. وإنما يجب أن تكون الحكومة الأمريكية جاهزة للعمل مع العديد من الأفراد والجماعات ذات الانتماءات الطائفية المتنوعة.

ويجب على الولايات المتحدة تجنب السياسات التي تضفي طابعًا مؤسسيًا على الطائفية. ويعني هذا العمل مع القادة الملتزمين بمتابعة السياسات غير الطائفية والتعددية، خاصة في أماكن مثل العراق حيث عمل الجيش الأمريكي مع هؤلاء الأفراد. ويجب على الولايات المتحدة دعم وتشجيع المؤسسات المحلية والحكومية وتوفير الحوافز على صعيد الطوائف لتحقيق المشاركة والشمولية في المؤسسات الحاكمة.

شكر وعرفان

يعرب المؤلفون عن امتنانهم لرعاة هذا البحث، وهم تيموثي ماتشمور (Timothy Muchmore) والمقرات الرئيسية وإدارة الجيش ونائب رئيس الأركان، ومجموعة الثماني، ومكتب المراجعة الدفاعية الربعي التابع للجيش الأمريكي. قدمت المحامية المتدربة في فترة الصيف ميغان ستيوارت (Megan Stewart) مراجعة الدراسات السابقة عن الطائفية في سوريا ولبنان. نود أيضًا أن نتقدم بالشكر لتيم بوندز (Tim Bonds) مدير قسم الأبحاث العسكرية بمؤسسة Rand ومركز RAND Arroyo، وسالي سليبر (Sally Sleeper) مدير مركز الموارد والعقائد والاستراتيجية، وزملائنا من المراجعين ومديري ضمان الجودة والمحررين ومتخصصي النشر والمصممين بمؤسسة RAND.

الاختصارات

AQI	تنظيم القاعدة في العراق
CIA	وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية
CPA	سلطة قوات التحالف المؤقتة
FSA	الجيش السوري الحر
IDP	شخص مهجّر (نازح داخلياً)
IS	الدولة الإسلامية
ISCI	المجلس الأعلى الإسلامي العراقي
SCIRI	المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق
SoI	أبناء العراق
UAE	الإمارات العربية المتحدة
UN	الأمم المتحدة

مقدمة

كُتب هذا الفصل وما يليه في عام 2015. وقد جعلنا تعديلاتنا للنص المكتوب في عام 2015 محدودة حفاظًا على البحث الأصلي. لقد غيرت الأحداث خلال منتصف 2018 الديناميكيات على أرض الواقع في العراق وسوريا كالتالي: لم تعُد خلافة تنظيم الدولة الإسلامية موجودة بوصفها كيانًا مترابطًا واسع النطاق، وتحول تنظيم الدولة الإسلامية من منظمة قتالية برية كبيرة إلى قوة حرب عصابات خفية وإرهابية في الغالب. وينصَبُّ تركيز هذا العمل على سياق الطائفية في الأحداث الجارية أكثر من التركيز على الأحداث ذاتها.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل تاريخي ومعاصر متعمق لطبيعة الطائفية والعوامل التي تؤدي إلى الصراع الطائفي في الشرق الأوسط، مع التركيز على العراق وسوريا باعتبارهما دراسات حالة. وتم اختيار تلك الدول لأنها تعاني حاليًا من أكبر مستويات الصراع المتأثر بالطائفية في المنطقة. يقاتل الجيش الأمريكي تنظيم الدولة الإسلامية عبر حملة جوية متواصلة في كل من العراق وسوريا. ورغم أن الجيش الأمريكي يدفع حاليًا بعدد قليل من القوات المقاتلة على الأرض في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، فمن الأهمية بمكان أن تفهم قيادة الجيش الطبيعة الطائفية للصراع في المنطقة لوضع سياسات محددة لقتال جماعات مثل تنظيم الدولة الإسلامية.

يضم هذا الفصل مقدمة للدراسة، في حين يبحث الفصل الثاني في تاريخ الطائفية في الشرق الأوسط لمساعدتنا على فهم أسباب تفاقم الطائفية في العقود الأخيرة. ويبحث الفصل الثالث في تاريخ الطائفية في العراق وما العوامل التي ساهمت في انتشار الطائفية الداخلية هناك على وجه التحديد. ويلقي الفصل الرابع نظرة

مُتعمِّقة بالمثل على الطائفية في سوريا. يعرض الفصل الخامس استنتاجات وتوصيات لصانعي السياسات والباحثين ومخططي الحرب.

استند البحث هنا إلى الدراسات العلمية السابقة باللغة الإنجليزية، ولكنه يستخدم أيضًا المصادر الإقليمية الأساسية باللغتين العربية والفارسية. بالإضافة إلى ذلك، استفاد البحث من تحليلات وسائل الإعلام الإخبارية المحلية والأجنبية، وتحليلات الشخصيات القيادية، والتحليل المقارن، والتنبؤ السياسي.

بدأت التوترات السُنِّية الشيعية في التصاعد في الشرق الأوسط منذ أكثر من عَقد. وقد أصبح ينُظر إلى الطائفية على نحو متزايد باعتبارها السمة المُميِّزة للنزاعات في جميع أنحاء المنطقة، من العراق إلى سوريا إلى البحرين واليمن بعد ظهورها من جديد في خضمّ فراغ السلطة الذي أعقب الإطاحة الأمريكية بصدام حسين (Saddam Hussein) عام 2003. ويحذِّر العديد من المحللين الآن من أن الطائفية أصبحت أكبر مصدر لعدم الاستقرار في الشرق الأوسط وتهديدًا متزايدًا للمصالح الأمريكية.[1] ومع ذلك، فعلى عكس الاعتقاد الشائع بأن إراقة الدماء على المستوى الإقليمي مُتجذِّرة في نزاع استمرَّ لقرون حول الخليفة الصحيح للنبي محمد (Prophet Mohammed)، يمكن أن يوجد صراع عنيف في أي بلد في السياقات الاجتماعية والسياسية الحالية الخاصة بكل بلد وبالطريقة التي تتلاعب بها الجهات الفاعلة المحلية والأجنبية في الهوية المجتمعية.

تشير *الطائفية* إلى تسْيِيس الهوية المجتمعية الدينية. وانتماء المرء الطائفي ليس سوى جزء واحد من هويته، والتي تشمل أيضًا الانتماءات القومية والعرقية والطبقية وغيرها. وتؤثر البيئة الاجتماعية والسياسية الأوسع نطاقًا تأثيرًا كبيرًا على جانب الهوية الذي يتبناه المرء. على سبيل المثال، سيطرت الهوية العرقية في ستينيات القرن الماضي على السياسة في الشرق الأوسط، حيث حاول قادة مثل الرئيس المصري جمال عبد الناصر (Gamal Abd al-Nasser) توحيد العالم العربي على أساس الهوية العربية. ومع ازدياد عدم الاستقرار الإقليمي خلال العقد الماضي، ارتفعت الهوية الطائفية مع تلاشي ظهور الهوية الوطنية إلى جانب عجز القادة العرب المتزايد عن ضمان أمن جميع المواطنين.[2]

---

[1] انظر Afshon Ostovar, "Iran Has a Bigger Problem Than the West: Its Sunni Neighbors," *Lawfare Blog*, June 7, 2015; Geneive Abdo, *The New Sectarianism: The Arab Uprisings and the Rebirth of the Shi'a Sunni Divide*, Washington, D.C.: Brookings Institution, 2013.

[2] Gregory F. Gause, *Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War*, Washington, D.C.: Brookings Institution, 2014.

وفي الوقت ذاته، فإن توضيح الطبيعة الهوية الدينية الخاصة في إطار سياق محدد يتمثل في النتيجة المستخلصة التي توصل إليها استطلاع مركز Pew Research Center للأبحاث بأن العديد من المسلمين في شرق آسيا لا يعرفون حتى إذا ما كانوا من السُنَّة أم الشيعة.[3]

أدى القمع الحكومي دورًا مهمًا في خلق مظالم طائفية في الشرق الأوسط. وبسبب عدم سماح الحكومات القمعية للأفراد بالتعبير عن آرائهم السياسية، فإن العديد من الناس يُصنَّفون على أساس هويات يمكن التعرف عليها ظاهريًا، مثل العرق أو الدين.[4] علاوة على ذلك، نظرًا لأن أوضاع هؤلاء الأشخاص الأيديولوجية غير معروفة، فغالبًا ما يوجه الحُكّام سخاء الحكومة إلى الزملاء الأعضاء من مجموعات أقاربهم الأوسع نطاقًا (على افتراض أن الانتماء المجتمعي بيئة خصبة للولاء). ونظرًا لأن الانتماء الديني يميل إلى التداخل مع الانتماء العشائري، فقد فسَّرت الفئات المحرومة على الدوام محاباة الحكومة على أنها تستند إلى الطائفية.[5]

ورغم أن الاضطهاد الحكومي وعدم الاستقرار قد زاد من أهمية الهوية الطائفية في الشرق الأوسط، إلا أن *العنف* الطائفي واسع النطاق كان دائمًا نتيجة للجهود المدروسة التي بذلتها الجهات الفاعلة المحلية والأجنبية لإثارة الصراع الاجتماعي من أجل غاياتها السياسية. نجح هؤلاء "الطائفيون الروّاد" في التلاعب بالهويات الدينية المستترة لتقسيم المجتمع عبر أسس مجتمعية تُمكّنهم من السيطرة بشكل أفضل.[6] على سبيل المثال، غالبًا ما أجَّج السياسيون المحليون مخاوفهم من الطوائف الأخرى باعتبار ذلك وسيلة لتعزيز السيطرة على أفراد مجتمعاتهم الدينية. ووصم القادة أيضًا أنشطة خصومهم بالطائفية لتجاهل مظالمهم السياسية، وغالبًا ما يبالغون في علاقاتهم مع الأنصار الأجانب من

---

3 Neha Sahgal, senior researcher, Pew Research Center, "The Escalating Shi'a-Sunni Conflict: Assessing Arab Public Attitudes," conference address, Stimson Center, Washington, D.C., February 18, 2015.

4 Justin L. Gengler, "Understanding Sectarianism in the Persian Gulf," in Lawrence G. Potter, ed., *Sectarian Politics in the Persian Gulf*, London: Hurst and Company, 2013, pp. 31-66.

5 Madawi al-Rasheed, "Middle East Dictators Feed Sectarianism," *Al-Monitor*, December 15, 2014.

6 Toby Dodge, "Seeking to Explain the Rise of Sectarianism in the Middle East: The Case Study of Iraq," Project on Middle East Political Science, March 19, 2014.

الطائفة ذاتها.[7] ويمكن للحكومات الأجنبية أيضًا الاستفادة من المظالم الطائفية لتحقيق تقدُّم في المجتمعات المحلية، مما يؤدي في النهاية إلى تفاقم الصراع الطائفي في هذه العملية. على سبيل المثال، تدعم المملكة العربية السعودية وإيران الأنظمة الطائفية الأخرى في إطار تنافسهم على فرض النفوذ على المنطقة، مثل نظام بشار الأسد (Bashar al-Assad) في سوريا، وتستخدم الجماعات المسلحة الأخرى بالوكالة التي تسعى لتحقيق أهداف طائفية. بالإضافة إلى ذلك، أدى ظهور الجماعات المتطرفة متعددة الجنسيات إلى إثارة الطائفية على المستوى الإقليمي. كانت هذه الجماعات من جانبها، مثل تنظيم القاعدة في العراق المعروف الآن بتنظيم الدولة الإسلامية، يمثلون روّاد الطائفية الأساسيين، مستهدفين الشيعة بغرض واضح وهو تأجيج الحرب الطائفية.

تقع الطائفية على طول سلسلة متصلة ببعضها في الشرق الأوسط. وعلى الجانب الآخر، يلجأ الناس ببساطة إلى مجتمعهم الديني للحماية والاعتبارات العملية الأخرى. وعلى النقيض من ذلك، تدفع الكراهية هذه الأعمال استنادًا إلى العقيدة – أي الاعتقاد بأن أفراد المجتمع الآخر مرتدون أو زنادقة. وتُعتبر نسبة الجهاديين الأجانب الذين يقاتلون لأسباب عقائدية أكبر من نسبة المقاتلين المحليين الذين يسعى الكثير منهم إلى تحقيق أهداف سياسية محلية.[8] لذلك، كلما استقطبت الجهات الفاعلة الطائفية والمظالم الداخلية المقاتلين الأجانب، أصبحت هذه الصراعات أكثر عنفًا وتعقيدًا. وفي حالة العراق، على وجه الخصوص، تفاقمت الطائفية الداخلية التي تقود الصراع بسبب دور الجهات الفاعلة الطائفية الخارجية، مثل إيران والمملكة العربية السعودية.

ما يُشكل عقبة كبيرة أمام مواجهة الصراع الطائفي هو أن الجهات الفاعلة الطائفية الإقليمية تبدو وكأنها ترفض فكرة ضلوعها في المشكلة؛ فقادة دول الخليج لا يرون أنفسهم مسؤولين عن نشر الكراهية الطائفية، في حين أن الحكومة الإيرانية لا تعترف تمامًا بكيفية اعتبار أعمالها طائفية.[9] وتجدر الإشارة إلى أنه في معظم النزاعات الحالية في المنطقة، يميل غالبية المقاتلين الأجانب الذين تحركهم أهداف دينية إلى الاتجاه السُنِّي، رغم أن أعدادًا كبيرة من الشيعة ينشطون أيضًا في سوريا والعراق (لا سيّما إذا تحدثنا عن الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران التي تعمل في سوريا).

---

7 .Gengler, 2013

8 Fanar Haddad, "Sectarian Relations and Sunni Identity in Post–Civil War Iraq," in Lawrence G. Potter, ed., *Sectarian Politics in the Persian Gulf*, London: Hurst and Company, .2013, pp. 67–115

9 .Ostovar, 2015

ويُعتبر ذلك نتيجة لاستراتيجية استخدمها العديد من القادة السُنَّة إلى حد كبير لتسليط الضوء على الانقسامات الطائفية لمواجهة ما يرونه من محاولات إيران لفرض هيمنة شيعية على الشرق الأوسط. ولذلك، فبينما سافر الآلاف من العرب السُنَّة من الخليج الفارسيّ للقتال في سوريا، فإن معظم الشيعة في تلك البلدان لم يزالوا يركزون إلى حد كبير على الحصول على حقوقهم في الداخل بدلاً من محاربة الجهاد في الخارج.[10]

لم تستخدم إيران من جانبها استراتيجية معادية للسنَّة بشكل صريح، بل تسعى إلى التقليل من شأن الاختلافات الطائفية حتى لا يسخط عليها سكان الأغلبية السُنِّية في الشرق الأوسط. إن دفاع الجمهورية الإسلامية عن الفلسطينيين باعتبارهم من العرب السنَّة، على سبيل المثال، فضلاً عن دعمها طويل الأمد لجماعة حماس السُنِّية المسلحة، يُعتبران مثالين على تفضيل إيران للأهداف المشتركة على حساب الهوية الطائفية. ومن الأمثلة الأخرى أيضًا دعم طهران التكتيكي لمتمردي طالبان السنَّة الذين يقاتلون القوات الأمريكية في أفغانستان.[11] وتُمثِّل هذه الاستراتيجية عنصرًا مهمًا في جهود إيران للتغلُّب على المساوئ السياسية المتمثلة في كونها حكومة شيعية تمثّل أقليّة في منطقة عربية سُنِّية تمثل أغلبية.

لا يعني ذلك القول بأن طهران لم تؤدِ دورًا في تعزيز الطائفية. فرغم أن إيران لا تعارض التعاون مع السنَّة الذين يشاركونها في أهدافها الإقليمية، فإن غالبية الجماعات التي تقاتل "بالوكالة" الراغبة في طلب المساعدة الإيرانية هي جماعات شيعية تميل إلى الإيمان (أو الولاء المزيف) بالأيديولوجية الدينية للجمهورية الإسلامية. علاوة على ذلك، حاولت إيران (بمستويات نجاح متفاوتة) كسب الولاء للمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي (Ayatollah Ali Khamenei) بين المجتمعات الشيعية في الخارج من خلال تمويل المؤسسات الدينية والمعاهد الثقافية. في النهاية، قد يتم وصف الإجراءات الحالية لإيران على نحو أكثر دقة بأنها طائفية بحكم الواقع – نتيجة الحاجة إلى الاعتماد على الجماعات الشيعية في الغالب لتحقيق اختراقات في العالم العربي بدلاً من أن تكون جزءًا من استراتيجية تركِّز على مواجهة السُنَّة.

---

[10] Frederic Wehrey, “The Roots and Future of Sectarianism in the Gulf,” Project on Middle East Political Science, March 21, 2014; “Foreign Fighters Flow to Syria,” *Washington Post*, October 11, 2014.

[11] عليرظا نادر (Alireza Nader)، علي ج. سكوتن (Ali G. Scotten)، أحمد رحماني (Ahmad Rahmani)، روبرت ستيوارت (Robert Stewart)، وليلى مهند (Leila Mahnad)، *النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على انسحاب الولايات المتحدة*، سانتا مونيكا: مؤسسة RAND Corporation، RR-616، 2014.

تركز أول دراسة حالة بالدراسة على العراق، وهو البلد الذي بدا، في منتصف عام 2015، منقسمًا على أسس عرقية وطائفية. وينظر العديد من المراقبين إلى مشكلة العراق بنظرة اختزالية: الأغلبية الشيعية تسيطر على الحكومة، والأكراد على وشك الاستقلال، والسُنَّة في ثورة في الغرب والشمال الغربي. ووفقًا لهذا المنظور، يقع العراق على خط الانقسام الإقليمي بين المسلمين السُنَّة والشيعة في الشرق الأوسط، ويبدو أن تقسيم العراق الذي يسير ببطء يمثل رمزًا للانقسام الطائفي الإقليمي. يشير الفصل الثالث، في الواقع، إلى أن العراق أكثر تعقيدًا وأن التحليلات المختزلة غير كافية وقد تكون في الواقع مُضلِّلة لصنّاع السياسات. ورغم أن العديد من الافتراضات الشاملة حول الانقسامات الطائفية في العراق دقيقة، فهناك رواية موازية ولكنها متشابكة للهوية تسمح بفهم أعمق لهذه الانقسامات.

في منتصف عام 2015، مال العراقيون المسلمون العرب إلى التأكيد على هويتهم الطائفية. اعتنق العراقيون الشيعة هوية طائفية مشتركة في حين كانوا يعانون طوال عقود من الاضطهاد الذي يقوده السُنَّة. ويعرض التسلسل الهرمي للشيعة إطارًا مناسبًا وفعالاً للدفاع عن النفس وللعمل الجماعي. والعراقيون العرب السُنَّة الذين صُنفوا على أسس قومية وبعثية وغير ذلك من الأسس غير الطائفية خلال عام 2003 يكافحون الآن من أجل تأسيس نظام سني مشترك. ورغم ازدياد الطائفية في أعقاب الحرب الأهلية 2006–2007 والاضطهاد الحكومي الأخير ضد السُنَّة، تظل الهويات الأخرى ملائمة. ويشمل ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، القَبَلية والإقليمية والقومية، مع احتفاظ القومية بأهميتها الكبيرة حتى وإن بدا على الدولة الانقسام ظاهريًا. وأثبتت كل هذه الهويات المُتنافِسة في العقود السابقة أنها مرنة، والأهم من ذلك، أن لها تأثيرًا قويًّا على السلوك العربي العراقي. توجد أسباب كثيرة لدى السُنَّة والشيعة للتعاون فيما بينهم والكثير لمنعهم من تقسيم الدولة.

إذا كان العراق رمزًا للصراع الطائفي الإقليمي، فإنه يمثل أيضًا الأمل لمستقبل أقل طائفية وأكثر تعاونًا. قد ينقسم العراق رغم ذلك على أسس طائفية، أو قد يصل إلى نتيجة إيجابية بدون تخطيط للظهور مرة أخرى باعتباره دولة قومية مختلفة ولكنها شبه موحدة. إن الأزمة الحالية تجعل هذا التحليل الدقيق للعراق أقل استيعابًا. لكن فهم هذه الفوارق الدقيقة، أن الطائفية المتطرفة يمكن أن تتعايش مع هويات قوية متنافسة، بما في ذلك القومية، ضروريٌ لإيجاد حلول معقولة للأزمة العراقية وربما الأزمة الإقليمية أيضًا.

ففي سوريا، تُعتبر الطائفية أحد العوامل العديدة التي تكمن وراء الصراع العنيف، لكن تبدو أهميتها متزايدة. وهذه العوامل الأخرى، التي تتضمن الجغرافيا والموقع والضرورات السياسية والاختلافات الطبقية والولاءات القَبَلية، تغذّي الطائفية في سوريا وتقتات عليها كذلك. علاوة على ذلك، فإن الأسس التاريخية لسوريا لا تجسّد بالضرورة الطائفية في الصراع على أنها بديهية. وقد دفع ذلك أحد الباحثين إلى وصف الحرب السورية بأنها "طائفية". لقد حرَّض كل من أنصار النظام وخصومه على العنف الطائفي، لكن الكثير من عمليات قتل المدنيين كانت عشوائية (وقد أقام تنظيم الدولة الإسلامية السُنّي مذابح ضد السنَّة السوريين الذين يعارضونه). ولكن كلما استمر الصراع السوري تحت تأثير هذه الأجندات، زاد احتمال تراجع أطراف النزاع عن التفضيلات الطائفية. ويمكن أن يُقال هذا أيضًا عن اللاجئين السوريين في البلدان المجاورة وفي جميع أنحاء المنطقة، مما قد يزيد من عدم الاستقرار في المنطقة، لا سيّما في لبنان.

سرعان ما تحول الصراع، باعتباره منذ البداية في عام 2011 تمردًا غير طائفي ضد الفساد المتنامي لنظام بشار الأسد والحكم السيئ، إلى صراع بنغمة طائفية بسبب وحشية النظام في التعاطي مع هذا الأمر، وانخراط جهات فاعلة إقليمية خارجية ذات أجندات سياسية متضاربة، والمشاركة المُوسَّعة للجماعات المتطرفة ذات الأيديولوجيات الطائفية بطبيعتها باعتبار أفرادها مقاتلين رئيسيين في الساحة السورية. كانت استراتيجية النظام هي الجمع بين الانقسام القائم على الهوية المجتمعية مع الشمولية والقومية اعتمادًا على الجمهور المستهدف من الأنصار. لقد سعى النظام، الذي كان هدفه النهائي البقاء، إلى تضخيم المخاوف الطائفية بين العَلَويين والشيعة للحفاظ على قاعدة أنصار قوية، وبين المسيحيين والدروز للحفاظ على حيادهم (إن لم يكن كسب تأييدهم). وصوَّر النظام نفسه حاميًا للاعتدال والاستقرار الدينيين ضد "الإرهابيين" المُعارضين. وتمثل قوى المعارضة السُنّية إلى حد كبير مجموعة واسعة من المصالح، من المعتدلين غير الطائفيين (التحالف الوطني والجيش السوري الحر) إلى المتطرفين العنيفين ذوي الأجندات الطائفية بطبيعتها (تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة). كما برزت الجماعات الجهادية السُنّية الراديكالية كقوة أكثر هيمنة بين المعارضة في ساحة المعركة وفي منظور الجمهور، ولديها كذلك شكل أكثر صرامة من الطائفية ضد العَلَويين والشيعة وجماعات الأقليات الأخرى.

تُعتبر مشاركة المملكة العربية السعودية وإيران و"تكتلاتهما" في الصراع السوري عاملاً دافعًا أقل دورًا في الانتفاضة وحافزًا أكبر لاستغلال الطبيعة الطائفية المتزايدة للصراع وتشجيعها في سياق التنافس في بيئة تنافسية جيواستراتيجية. تتنافس المملكة العربية السعودية السُنِّية وإيران الشيعية على البروز والتأثير على المستوى الإقليمي، وهذه المنافسة لها تأثير قوي على الطائفية في الصراع السوري. يوفر تقديم الموارد والدعم من الجانبين السعودي والإيراني للقوى المتنازعة في سوريا، بالاقتران مع نداءات الشيوخ من السُنَّة أو الشيعة على كلا الجانبين بالجهاد ضد بعضهم، أرضًا خصبة لترسيخ الاتجاهات الطائفية في النزاع.

لكن في خضم أعمال العنف والخطاب الطائفي الذي تم تعميمه بشكل مُكثَّف، توجد جماعات مهمة في سوريا لا تُحرِّكها الطائفية ولا تندرج تمامًا تحت قواعد الجمهور التي ينسبها مراقبون خارجيون إليها. فالعَلَويون المناهضون للنظام، والسُنَّة المؤيدون للنظام، وجماعات الثوار المعتدلة، والقبائل التي يستند ولاؤها إلى الحفاظ على الذات، جميعهم مراكز مضادة لما يبدو أنه حكمة شائعة حول الصراع السوري باعتباره "حربًا طائفية". أدت الطائفية دورًا هامًا في تأجيج الصراع السوري، لكنها ليست العامل الوحيد، ولا العامل الأكثر أهمية بشكل منتظم. فالنزاع مُعقد للغاية بحيث لا يمكن شرحه باعتباره انفجارًا بسيطًا للطائفية بجذور تمتد على مدار تاريخ سحيق. فالولاءات متداخلة وتستند أيضًا إلى الأيديولوجية السياسية والهوية الفرعية والجغرافيا وخبرة الحرب والدوافع الاقتصادية. ومع ذلك ، في حين أن هناك ما يبرر توخي الحذر في عزو النزاع فقط، أو حتى بشكل أساسي، إلى الدوافع الطائفية، فإن هناك سببًا كبيرًا للقلق من أن الطائفية يمكن أن تؤدي إلى تفاقم الصراع أو إلى نتائج لا توقف العنف وتزعزع استقرار بقية المنطقة.

الفصل الثاني

تاريخ الطائفية في الشرق الأوسط

الطائفية بين السُنَّة والشيعة ليست بظاهرة حديثة العهد، لكنها تغيرت تغيُّرًا ملحوظًا في العصر الحديث. لذلك فمن المهم دراسة تاريخ الصراع الطائفي بين السُنَّة والشيعة الذي دام 1,300 عام لفهم سبب تفاقم الطائفية إلى المستوى المحتدم الذي وصلت إليه اليوم. يرفض هذا التحليل التاريخي الرواية المتكررة على الأسماع بأن المسؤول عن الحالة الطائفية الحالية في المنطقة هو تاريخ نزاع قديم وبدائي مستمر حول خلافات عقائدية بين الطائفتين. في الواقع، يؤكد هذا التفسير للتاريخ منذ الشقاق السُنِّي الشيعي على أن القضايا السياسية والقانونية والجغرافية والاقتصادية والعِرقية وغيرها من القضايا أدت دورًا مساويًا، إن لم يكن أكثر أهمية، في الخلافات العقائدية في انقسام السُنَّة والشيعة.

من الأهمية بمكان تقييم ظهور الهويات الطائفية لشعوب المنطقة لتحديد طبيعة الطائفية بين السُنَّة والشيعة عبر التاريخ. المدخل لذلك هو إذا ما كان الاتجاه العام خلال كل حقبة يتم بحثها يُظهر أن الطوائف المتناحرة كانت تستند هويتها في المقام الأول إلى المذاهب الدينية أم إذا ما كانت الانقسامات مدفوعة بالاختلافات العقائدية أو القضايا السياسية أو الاقتصادية أو غيرها من القضايا. ولا عجب أن السُنَّة والشيعة يتنازعان بوتيرة أعلى بمرور الوقت عندما يصبح الدين هو الهوية المُعلنة بشكل أكبر من الهويات الأخرى مثل القومية العِرقية أو الانتماء القومي المحلي. وبرغم ذلك، فإنه على مر التاريخ كانت دوافع الصراع بين الطوائف ذات صبغة سياسية في الغالب، سواء أكان الصراع نزاعًا على الموارد والأمن أو من أجل الحصول على تمثيل أكبر في نظام سياسي. وكما لاحظ الكثير من الباحثين، فإن الطائفية ليست مجرد

قتال مستمر إزاء الاختلافات الدينية، وإنما انعكاس لقرون من سياسة إثبات الهوية التي تُمثّلها الطوائف.[1]

ويمكن القول هنا بأن تكالب العوامل الثلاثة في القرن الماضي قد ساهم في وصول الطائفية إلى ذروتها الحالية بالمنطقة. أولاً، يجب القول بأن زيادة المشاركة الجماهيرية في العمليات السياسية في المنطقة وزيادة الرغبة في الحصول على حصة مباشرة أكبر في التمثيل السياسي قد جعلت الطائفية أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى في التاريخ. يمكن أن يُعزى هذا بشكل رئيسي إلى الأشخاص الذين يتمسكون بالهوية الدينية أكثر مما كان عليه الحال في القرون السابقة ردًا على نمو الدول القوميّة العلمانية واستشراء الديكتاتوريين العلمانيين الذين ضيّقوا الخناق على الإسلام السياسي في المنطقة خلال الأعوام المئة الماضية.

ثانيًا، شهدت المنطقة في حقبتي ما بعد 1979 و2003 ارتفاعًا مدويًا في الطائفية بسبب الدعم الخارجي المتزايد للانقسامات الطائفية، ويأتي هذا في ضوء تصاعد تسارع البُعد السياسي لسياسة إثبات الهوية الطائفية. استخدمت كل من إيران والسعودية، أو الشيعة والسُنَّة، على التوالي، الهوية الدينية باعتبارها أداة سياسية من خلال فرض التأثير المباشر على سياسات دول المنطقة الأخرى للترويج لمصالحها السياسية المناوئة. وعلّق سيد علي فضل الله (Sayed Ali Fadlullah)، وهو رجل دين شيعي لبناني بارز، قائلاً:

> تُستخدم الأدوات الطائفية في هذه الصراعات لما لها من تأثير كبير. إذا كنت ستطلب من الشعب القتال الآن لكسب نفوذ إقليمي أو دولي، فلن يتجاوب معك. ولكنه سيستجيب عندما يُقال له إن طائفتكم تحقّها المخاطر.[2]

ثالثًا، فإن تأسيس الجماعات المتطرفة متعددة الجنسيات الحديث نسبيًا والإقبال المتزايد عليها يعملان على تسارع وتيرة الطائفية في المنطقة بشكل أكبر، حيث يتلقى بعضها دعمًا مباشرًا من جهات فاعلة طائفية تابعة لدول وبعضها

---

[1] من بين هؤلاء الباحثين أسلم فاروق علي (Aslam Farouk-Alli) في: "Sectarianism in Alawi Syria: Exploring the Paradoxes of Politics and Religion," *Journal of Muslim Minority Affairs*, Vol. 34, No. 3, 2014, pp. 207–226؛ وولي ر. نصر (Vali R. Nasr) في *The Shia Revival*, New York: W. W. Norton and Company, 2007؛ وكارن أرمسترونغ (Karen Armstrong) في *Islam: A Short History*, New York: Modern Library, 2002.

[2] Yaroslav Trofimov, "Sunni-Shiite Conflict Reflects Modern Power Struggle, Not Theological Schism," *Wall Street Journal*, May 14, 2015.

الآخر لا يتلقى دعمًا. تتقيد هذه الجماعات بتفسير للقرآن وفقًا للمذهب الفكري الجوهري وتتبنى أيديولوجيات وسياسات طائفية متشددة. تعتبر تلك اتجاهات مقلقة إذ يجري تسييس الطائفية في المنطقة بشكل متزايد بناءً على الاختلافات العقائدية الأساسية بين السُنَّة والشيعة، مما يجعل تسوية النزاع أكثر صعوبة من ذي قبل.

التركيبات السكانية

تُمثِّل حقائق التركيبة السكانية دورًا في تشكيل طبيعة الطائفية في المنطقة من الناحية التاريخية. ويُشكِّل السُنَّة حاليًا نحو 85 بالمئة والشيعة نحو 15بالمئة، من أصل 1.6 مليار مسلم في العالم.[3] كان المسلمون السُنَّة، على مدار التاريخ، يُشكِّلون غالبية السكان في الشرق الأوسط، وذلك منذ انقسام المسلمين إلى سُنَّة وشيعة في أواخر القرن السابع الميلادي. وتعرَّض الشيعة في المنطقة، نتيجة لاستمرار وضعهم باعتبارهم أقلية، لاضطهاد وضغط أكبر لتحويل معتقداتهم مقارنةً بما تعرَّض له السُنَّة. ويساعد فهم التكوين الطائفي لمجتمعات معينة في المنطقة على تسليط الضوء على التفاعلات بين الطوائف في تلك الأماكن.

إن دول الشرق الأوسط التي تضم أكبر عدد من المسلمين هما مصر وإيران، فالأولى غالبيتها من السُنَّة والأخرى من الشيعة.[4] والبلدان التي بها أكبر نسبة من السُنَّة في مجموع سكانها هي مصر والأردن والمملكة العربية السعودية، حيث يُمثل السُنَّة حوالي 90 بالمئة (أو أكثر) من هؤلاء السكان.[5] كما توجد غالبية كبيرة من السُنَّة في قطر والإمارات العربية المتحدة والأراضي الفلسطينية وتركيا وأفغانستان وباكستان وأغلبية ضئيلة في اليمن وسوريا والكويت.[6]

يشكِّل الشيعة غالبية سكان إيران (90 إلى 95 بالمئة من السكان)، والعراق (65 إلى 70 بالمئة)، وأذربيجان (65 إلى 75 بالمئة)، والبحرين (65 إلى 75 بالمئة)؛ انظر الشكل

---

3 "The Future of the Global Muslim Population," Pew Research Center, January 27, 2011.

4 "The Future of the Global Muslim Population," 2011.

5 "Sunnis and Shi'a in the Middle East," BBC News, December 19, 2013.

6 Pew Research Center, "Mapping the Global Muslim Population, Appendix C: Data Sources by Country," October 7, 2009.

الشكل 2.1
السكان السُنّة والشيعة في الشرق الأوسط



RAND *RR1681-2.1*

2.1. ويشكِّلون أغلبية ضئيلة في لبنان (45 إلى 55 بالمئة) وأقليات في اليمن (35 إلى 40 بالمئة)، وتركيا (25 إلى 30 بالمئة، على الرغم من أن معظمهم من المسلمين العلاهيين، وهم طائفة تابعة للشيعة)،[7] والكويت (20 إلى 25 بالمئة)، وسوريا (15 بالمئة، معظمهم من العَلَويين، وهم طائفة من الشيعة)،[8] والمملكة العربية السعودية (10 إلى 15 بالمئة)، وأفغانستان (10 إلى 15 بالمئة)، وباكستان (10 إلى 15 بالمئة). تتمركز أكبر تجمعات الشيعة في المنطقة في إيران (37 إلى 40 بالمئة من الشيعة في العالم)، وباكستان (10 إلى 15 بالمئة)، والعراق (11 إلى 12 بالمئة)، وتركيا (4 إلى 6 بالمئة)، واليمن (5 بالمئة)، وأذربيجان (3 إلى 4 بالمئة). يشكِّل السكان الشيعة في هذه البلدان ما يقرب من 80

7 "World Directory of Minorities and Indigenous Peoples—Turkey: Alevis," United Nations (UN) High Commissioner for Refugees, 2008.

8 "Syria: International Religious Freedom Report 2006," Washington, D.C., U.S. Department of State, 2006.

بالمئة من المجتمع الشيعي في العالم، في حين يعيش عدد كبير من المسلمين السُنَّة خارج المنطقة.[9]

التاريخ القديم والانقسام السُنِّي الشيعي

يُعتبر التاريخ القديم للطائفية بين السُنَّة والشيعة أمرًا مهمًا للغاية في فهم الأسباب العقائدية التي أدت إلى اتساع الهوة بين الطائفتين، لكنه يكشف أيضًا عن حقيقة أنه، باعتباره صراعًا طائفيًا، كان دائمًا ذا صبغة سياسية ودينية على حد سواء، حتى خلال السنوات التي تلت الانقسام، عندما كان الجدل العقائدي في ذروته. وبرغم تجلي الطائفية خلال تلك الفترة على المستوى الفردي حيث يختار الناس الطائفة التي يجدون فيها هوياتهم، إلا أنها تجلت بشكل أساسي على المستوى التنظيمي بين قادة المجتمعات الدينية الذين يتجادلون بشأن العقيدة والمعتنقين والأراضي.

يكمن جوهر الانقسام بين السُنَّة والشيعة في الخلافة السياسية للنبي محمد، فضلاً عن الأسئلة المتعلقة بمؤهلات الخليفة ونطاق مسؤولياته وواجباته. أدَّت وفاة النبي محمد في عام 632 ميلاديًا إلى مناظرات ملحة حول من سيخلفه كحاكم للمجتمع المسلم. فنخبة من أتباع النبي محمد اختارت عبد الله بن أبي قحافة (Abdullah Ibn Abi Qahaafah)، والمعروف باسم أبي بكر (Abu Bakr)، صاحب النبي محمد وصهره، خليفة له في حكم الأمة باسم الخليفة. إلا أن أقلية من المسلمين فضَّلوا عليّ بن أبي طالب (Ali Ibn Abi Talib)، ابن عم النبي محمد وصهره. أصبح غالبية المسلمين الذين اتبعوا أبو بكر يُعرفون باسم السُنَّيين، المشتقة من كلمة سُنَّة، والتي تعني "الطريقة" في اللغة العربية، ودعموا اختيار الخلفاء لخلافة النبي محمد. وهؤلاء الذين اتبعوا عليًّا صاروا يُعرفون باسم الشيعة، وهي مشتقة من شيعة *عليّ*، والتي تعني "أشياع علي"، ويعتقدون بوجوب انحصار الخلافة في نسل النبي محمد.

في الخلافة الراشدة، أول خلافة بعد وفاة النبي محمد، لم يكن الخلفاء الثلاثة الأوائل من نسل النبي محمد، وكان الشيعة يعيشون تحت سلطتهم، بيد أنهم لم

[9] Pew Research Center, 2009.

يعتبروهم حكامًا شرعيين. أصبح عليّ الخليفة الرابع عام 656، إلا أنه حكم خمس سنوات فقط قبل اغتياله بسبب تباين آرائه مع آراء أتباعه. وآلت الخلافة بعد موته إلى أولئك الذين هزموا عليًّا، معلنين بدء الخلافة الأموية (661–750)، التي حكمت غالبية الأراضي في الشرق الأوسط. وكثيرًا ما تعرض أتباع عليّ للاضطهاد والقتل طوال هذه الفترة، لكنهم استمروا في اعتقادهم بأحقية نسل النبي عبر عليّ في الخلافة، مُتَّبعين الحسين (Husseyn) ابن عليّ زعيمًا لهم.

وكانت الطامة الكبرى للانشقاق السُنِّي الشيعي معركة كربلاء، التي نشبت في العراق عام 680. حيث أمر الخليفة الأموي الثاني، أثناء المواجهة بين أتباع الحسين وجيش الخلافة الأكبر، بقتل الحسين وأتباعه. استمر الشيعة، بعد وفاة الحسين، في اتباع أخلاف الحسين وعليّ في سلسة واضحة من أئمة الشيعة[10] باعتبارهم قادتهم الدينيين والسياسيين الشرعيين، وكان عليّ الإمام الأول، وابنه الأكبر الحسن (Hassan) الثاني، والابن الأصغر الحسين الثالث، وعليّ بن الحسين الرابع، وهكذا. تمثل معركة كربلاء، حتى يومنا هذا، واقعة ذات أهمية كبيرة في هوية الشيعة. ويُحيي الشيعة جميعًا هذا الحدث كل عام في ذكرى عاشوراء. يمكن أن يُعزى انتشار مفاهيم مثل الشجاعة والاستشهاد ودور الضحية في هوية الشيعة إلى هذا الحدث المؤثر الذي يُميِّز المسلمين الشيعة بوضوح عن السُنَّة. استمرت الخلافة السُنِّية، بعد معركة كربلاء، في فرض حكمها على المنطقة، وواصل الشيعة عيشهم في ولايات مختلفة من الاضطهاد بسبب معتقداتهم.[11]

[10] مصطلح *إمام* هو مصطلح عام لقائد إسلامي لكل المسلمين. ومع ذلك، فإن دور الإمام، بالنسبة للشيعة، يُعتبر أكثر أهمية بسبب *مفهوم الإمامة*، حيث يشير إلى اختيار الله للأئمة الشيعة كأمثلة معصومة للبشر يجب على جميع المؤمنين اتباعها. لذا، يضطلع أئمة الشيعة بدور رئيسي في قيادة المسلمين الشيعة دينيًا وسياسيًا.

[11] John Morris Roberts and Odd Arne Westad, *The History of the World*, New York: Oxford niversity Press, 2013, p. 345.

العصور الوسطى: 800-1500

في حين كان الصراع الطائفي المبكر يهتم في البداية بالاختلافات العَمَلية والعقائدية في الإسلام وتصنيف الناس بالأساس وفقًا لمذاهبهم الطائفية، وبالتزامن مع رسوخ قدم الطائفتين، إلا أن الانقسام الطائفي بين السُنَّة والشيعة كان أقل على المستوى الفردي وفي ازدياد على مستوى القيادة مع استمرار الصراعات السياسية على الموارد والأراضي والحق في الحكم. ومن ثم تفاقم الصراع الطائفي بين السُنَّة والشيعة في العصور الوسطى، لا سيّما خلال الخلافة العباسية السُنِّية (1258–750)، التي سيطرت، في قمة ذروتها، على كل من الشرق الأوسط وجنوب آسيا الوسطى وشمال إفريقيا من مقرها في العراق ثم سوريا. أجهضت الخلافة العباسية السُنِّية ثورات الطوائف الشيعية بوحشية في أراضيها لأسباب سياسية في المقام الأول. فقد كانوا يخشون انتقام الشيعة لموت الحسين ولاضطهاد الشيعة في الخلافة أو أن يثور الشيعة ويحاولون خلع الخليفة.[12] يمكن وصف الصدامات بين السُنَّة والشيعة خلال هذه الفترة بأنها ذات طابع سياسي متزايد، حيث إنهم لم يقاتلوا فقط بدافع الأصول العقائدية وراء خلافاتهم، والتي لم تزل عاملاً مهمًا في نزاعهم، ولكن النزاع الدائر الآن أيضًا بهدف السيطرة على الأراضي والحصول على الموارد والحق في أن يتم حكمهم وفقًا لتفسير الشريعة الخاص بطائفتهم.[13]

قد يكون ذلك خير شاهد على حياة أئمة الشيعة الأوائل ومصيرهم وتعاملهم مع السُنَّة والخلفاء: تمكن السُنَّة من إخضاع الشيعة بسهولة أكبر لحكمهم وإبقائهم عاجزين عن طريق قتل أئمة الشيعة. ووفقًا للمصادر الشيعية، فإن جميع أئمة الشيعة الذين عاصروا هذه الفترة، من الإمام السادس إلى الإمام الحادي عشر[14]، ثبت قتلهم أو يشتبه بقوة في أنهم قُتلوا أو سُمموا بأوامر من الخلفاء السُنَّة الحاكمين في ذلك

[12] V. Nasr, 2007, p. 53.

[13] Stephen F. Dale, *The Muslim Empires of the Ottomans, Safavids, and Mughals*, New York: Cambridge University Press, 2010.

[14] كان الإمام الحادي عشر هو آخر إمام ذُكرت حياته في التاريخ. ويُقال إن الإمام الثاني عشر قد اختفى في أواخر القرن التاسع. غالبية المسلمين الشيعة اليوم هم شيعة اثنا عشرية، وهذا يعني أنهم يعتقدون أن الإمام الثاني عشر هو المهدي، أو الشخص الذي سيعود إلى الأرض باعتباره المنقذ الأخير للبشرية. تختلف آراء الطوائف الشيعية الأخرى بشأن سلسلة خلافة أئمة الشيعة.

الوقت.[15] استمرت مثابرة الشيعة في ممارسة شعائرهم في ظل الظروف القاسية، وبحلول منتصف القرن التاسع، شيّد الشيعة مجتمعات كبيرة في مناطق ذات غالبية سُنِّية مثل مدينة قُم ومدينة سبزوار نظرًا لانفصال تلك المناطق لدرجة محاولة الخلافة العباسية الضعيفة إخضاعها لسيطرتها بشكل مركزي.[16]

أدى ظهور خلافة شيعية منافسة في شمال إفريقيا إلى زيادة حدة الطائفية في المنطقة فضلاً عن الصراع الطائفي الداخلي داخل الخلافة العباسية الكبيرة. كانت الخلافة الفاطمية (909-1171) الخلافة الوحيدة التي يحكمها الشيعة في تاريخ المنطقة، وحكمت في النهاية إسرائيل ولبنان وغرب المملكة العربية السعودية، وكانت تنافس الخلافة العباسية باعتبارها قوة إقليمية رئيسية. على الرغم من أن مقر الفاطميين كان في القاهرة وهم جزء من الطائفة الشيعية الإسماعيلية،[17] فإنهم بدؤوا بنجاح في نشر الإسلام الشيعي في أجزاء من أراضي الخلافة العباسية وتنفيذ عمليات اغتيال للقادة العباسيين في محاولة لإحداث فوضى سياسية.[18] وبحلول منتصف القرن العاشر، كان الخلفاء يواجهون صعوبات في حكم الشعوب في الأراضي الشاسعة مترامية الأطراف، واقتصر دورهم على كونهم قادة دينيين بلا سلطة على أرض الواقع، حيث شرع حكام الولايات في بسط نفوذهم.[19] ظهرت عدة أسر حاكمة شيعية أصغر، في القرنين العاشر والحادي عشر، حالفها الحظ في حكم ما يعرف اليوم باسم إيران والعراق وسوريا ولبنان.

أدى دعم الخلفاء، خلال هذه الحقبة، للهوية الدينية المُسيَّسة واضطهاد الطوائف من دونهم إلى تفاقم الانقسامات في هذه المجتمعات ووضع حجر الأساس للتسييس الحديث للطائفية.

---

15 Sayyid Mohammad Hosayn Tabataba'i, *Shi'ite Islam*, Seyyed Hossein Nasr, trans., New York: State University of New York Press, 1977.

16 "The Abbasid Dynasty: The Golden Age of Islamic Civilization," Saylor Foundation, 2012.

17 الشيعة الإسماعيلية هم فرع عن طائفة الشيعة، حيث يعتقد أتباعها وجوب اتباع إمام مختلف بداية من الإمام السابع في سلسلة الأئمة، بدلاً من الإمام الذي تعتقد الطوائف الشيعية الأخرى وجوب اتباعه.

18 Francis Robinson, *The Cambridge Illustrated History of the Islamic World*, New York: Cambridge University Press, 1996, p. 34; Armstrong, 2002, p. 87.

19 "The Abbasid Dynasty: The Golden Age of Islamic Civilization," 2012; and Armstrong, 2002, p. xix.

بداية العصر الحديث: 1500-1920

استمرت الطائفية في بداية العصر الحديث في الظهور بشكل رئيسي على أنها منافسة سياسية بين القوى الإقليمية متمثلة في الدولة الصفوية الشيعية في فارس والإمبراطورية العثمانية السُنِّية.[20] كان الحاكم الصفوي إسماعيل الأول (Ismail I)، وهو من أصل تركي، عاقد العزم على إقامة إمبراطورية شيعية ذات هوية منفصلة عن الإمبراطورية العثمانية التركية. حكمت الدولة الصفوية، في أوجها، ما يُعرف اليوم باسم إيران وأذربيجان والنصف الشرقي من العراق وجنوب شرق تركيا، وجنوب غرب تركمانستان والنصف الغربي من أفغانستان.

دعا إسماعيل، من أجل تأسيس إمبراطوريته في منطقة ذات أغلبية سُنِّية، رجال الدين والعلماء من المراكز الشيعية الكبرى في مصر ولبنان للقدوم إلى إيران وإقامة نظام قانوني يستند إلى التشريع الشيعي.[21] أُجبر السُنَّة الذين يعيشون في المناطق الصفوية على اعتناق المذهب الشيعي، وتعرَّض العديد من رجال الدين والعلماء السُنَّة إلى التهجير من الإمبراطورية أو القتل، مما أدى إلى حدوث ردة الفعل ذاتها ضد الشيعة في أراضي الإمبراطورية العثمانية.[22] شكَّل السجال الصفوي العثماني، بطرق عدة، حجر الأساس للانقسامات الطائفية الحالية، إلا أن التعايش السلمي والتزاوج والتعاون بين السُنَّة والشيعة على الصعيدين الإقليمي والفردي كان شائعًا رغم محاولات هذه القوى الطائفية عمل انقسامات دينية لتحقيق أغراض سياسية.

تعتبر فترة أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فترة من الاستقرار الطائفي النسبي في الشرق الأوسط. وأصبح التسامح تجاه الطوائف الأخرى أكثر شيوعًا بالتزامن مع تراجع هيمنة الإمبراطوريات وانخفاض قدرتها على بسط الحكم على مساحات شاسعة من الأراضي، وأصبحت الانتماءات العِرقية المحلية والقبلية الهوية السياسية الأكثر بروزًا.[23] طوَّر العثمانيون، بموجب فترة إصلاحات التنظيمات، نظامًا جديدًا يُعرف باسم *المِلَّة* والذي بموجبه مُنِحَت الطوائف غير السُنِّية بعض الاستقلالية تحت حكم الدولة العثمانية. أدَّى ذلك إلى مزيد من التعددية، بيد أنها كانت أقل تأثيرًا على العلاقات

---

20 V. Nasr, 2007, p. 65.

21 V. Nasr, 2007, p. 66.

22 Armstrong, 2002, p. xxiv.

23 Richard C. Martin, "Empires: Ottoman," in Richard C. Martin, ed., *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, Vol. 1, New York: Macmillan Reference USA, 2004, pp. 214–217.

بين السُنَّة والشيعة؛ لأن العثمانيين أدرجوا الشيعة تحت *ملَّة* الإسلام مثلهم مثل السُنَّة، فاشلين في الاعتراف بهم طائفة منفصلة ذات شرعية.[24] وأدَّى ذلك إلى حالات من الصراع الطائفي بين الحين والآخر، لا سيَّما عندما أجهض العثمانيون الانتفاضات الشيعية بعنف في منتصف القرن التاسع عشر. بيد أنه كانت هناك حالات أخرى من التعددية في المنطقة، كما حدث عندما أقام نادر شاه (Nader Shah) الإمبراطورية الأفشارية في إيران في منتصف القرن الثامن عشر مؤسسًا إياها على مبادئ التسامح الديني، حيث دعمه جيش من المسلمين السُنَّة والشيعة على السواء. وفضلاً عن ذلك، شهدت المنطقة مزيدًا من الترابط حيث تحولت سياسات الهوية من الهويات المحلية والقَبَلية إلى الهويات القومية العِرقية[25] القائمة على الأفكار الغربية للقومية.

العصر الحديث: 1900-1979

كان سقوط الإمبراطورية العثمانية نقطة تحوُّل في سياسة الشرق الأوسط؛ فقد كان انهيار البقايا الأخيرة لقرون من الحكم العائلي والملكي بمثابة بداية لحقبةٍ من المشاركة السياسية الجماعية. بدأت الدول الغربية القوية في تقسيم الأراضي العثمانية السابقة إلى ما يشبه أكثر الدول القوميّة "الحديثة"، لتحل محل الحكم القَبَلي المحلي الذي هيمن على المنطقة في القرن التاسع عشر. حدَّدت اتفاقية سايكس بيكو سيئة السمعة عام 1916 المناطق التي ستخضع للانتداب البريطاني أو الفرنسي، مع سيطرة فرنسا على شمال سوريا ولبنان وأجزاء من تركيا وسيطرة بريطانيا على جنوب سوريا والعراق والأردن ومصر واليمن. نظَّم البريطانيون والفرنسيون التمثيل السياسي في كل دولة وفقًا للمذاهب الطائفية، ونظَّموا النظام السياسي في بعض الحالات حسب الطائفة (كما في لبنان)، وفي حالات أخرى قسَّموا البلاد إلى مناطق طائفية (مثل سوريا والعراق). اتبَّع كل من البريطانيين والفرنسيين، خلال فترات الانتداب، استراتيجية تفضيل طائفة واحدة لإدارة الدولة بأكملها، فضلاً عن تشجيع الانقسامات الطائفية القائمة لإبقاء تلك الدول

---

24 Dona J. Stewart, *The Middle East Today: Political, Geographical and Cultural Perspectives*, New York: Routledge, 2013, p. 54.

25 S. V. R. Nasr, “European Colonialism and the Emergence of Modern Muslim States,” Oxford Islamic Studies Online, 2016.

ضعيفة وعالة على حكامها الاستعماريين.[26] وتسببت تلك الممارسة في توطيد أركان الطائفية بشكل أقوى في الشرق الأوسط الحديث.

ومع ذلك، كان هناك اتجاه للتعاون السُنّي والشيعي ردًا على التدخل الأجنبي خلال تلك الفترة. كانت الثورة السورية الكبرى عام 1925، وهي مثال مبكر على المشاركة السياسية الجماهيرية في الشرق الأوسط، بمثابة جهد جماعي للسوريين يحتضن جميع المذاهب الطائفية لمقاومة المحاولات الفرنسية لتقسيم بلادهم وحكمها.[27] وتعاون السُنَّة والشيعة في لبنان لمقاومة إدراجهم في "دولة لبنان الكبير" تحت حكم المسيحيين الموارنة الذين تربطهم علاقات وطيدة بالغرب. واتفقوا عام 1943 على ميثاق وطني بموجبه تحصل الطوائف على تمثيل نسبي متقارب في الحكومة.[28] وتعاون السُنَّة والشيعة في العراق لفترة وجيزة لطرد الاحتلال البريطاني في عشرينيات القرن الماضي قبل نيل الاستقلال.[29]

تبع ذلك الانتشار السريع لحركة القومية العربية، والتي رسّخت لسلطة سياسية في ظل حكام استبداديين علمانيين أكّدوا على أن الوحدة العِرقية والوطنية ذات أولوية على المصالح الطائفية الضيقة. على سبيل المثال، دعم الرئيس المصري جمال عبد الناصر رجال الدين الشيعة ضد الشاه الإيراني "الفاسد" وسَمح لمركز سني بارز، جامعة الأزهر، بتدريس الفقه الشيعي بداية من عام 1959.[30] وحدث موقف أكثر عدوانية ضد الانقسامات الطائفية في سوريا والعراق تحت حكم حزب البعث، حيث كان الزعماء علمانيين عسكريين ومعادين للإسلاميين. صاغ حافظ الأسد، في سوريا، ثقافة الوحدة الوطنية بعناية من خلال إشراك أفراد الأغلبية السُنِّية في مناصب حكومية رئيسية بشكل استراتيجي.[31] إلا أنه قد قمع تحديات الحركات الإسلامية لحكمه بوحشية، وتجلَّى ذلك عبر سحقه لانتفاضة حماة التي قادها السُنَّة في عام 1982.

---

[26] انظر Omri Nir, "The Sunni-Shi'i Balance in Light of the War in Syria and Regional Changes," Rubin Center for Research in International Affairs, April 7, 2014; Imad Salamey, *The Government and Politics of Lebanon*, London: Routledge, 2013؛ وFarouk-Alli, 2014.

[27] Farouk-Alli, 2014, p. 214.

[28] Nir, 2014.

[29] Charles Tripp, *A History of Iraq*, 3rd ed., Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007, pp. 41-42.

[30] Jacques Neriah, "Egypt's Shiite Minority: Between the Egyptian Hammer and the Iranian Anvil," Jerusalem Center for Public Affairs, September 23, 2012.

[31] Reva Bhalla, "Making Sense of the Syrian Crisis," Stratfor, May 5, 2011.

ولكن رغم هيمنة الحكم القومي العِرقي العلماني، فقد بدأ اتجاه متزايد نحو القومية الإسلامية يلوح في الأفق بين أولئك الذين فضَّلوا وجود تمثيل أقوى للدين في الحكومة. أدَّى الحكم العلماني القمعيّ إلى صعود نجم الحركة الإسلامية التي مهدت الطريق للطائفية الأشد التي نشهدها اليوم.

العصر الحالي: من عام 1979 إلى الآن

شكَّلت الثورة الإيرانية عام 1979، في الكثير من النواحي، نقطة البداية للطائفية المعاصرة في الشرق الأوسط. أصبحت الانقسامات الطائفية أكثر بروزًا مع تزايد سخط شعوب المنطقة التي تعيش في دول دون أيديولوجية دينية أو تمثيل كافٍ للمذاهب الطائفية. وبدا ذلك جليًا أكثر في الثورة الإيرانية، وهي حركة سياسية جماهيرية أسقطت شاه إيران العلماني وشكلت حكومة شيعية دينية. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث زادت الثورة من حدة التنافس الإقليمي بين إيران والمملكة العربية السعودية، إذ ادعت كل دولة منهما أحقيتها بالزعامة الشرعية للعالم الإسلامي.

وأصبحت الثورة الإيرانية مصدر إلهام لكل من الإسلاميين الشيعة والسُنَّة، وشجَّعت الكثيرين على أن يصبحوا أكثر نشاطًا سياسيًا. كان حاكم إيران الجديد، آية الله روح الله الخميني (Ayatollah Ruhollah Khomeini)، ذا شخصية سياسية فطنة وجذابة: لقد تصوَّر أن لإيران دورًا سياسيًا أكبر في العالم ونصَّب نفسه زعيمًا للحركة الإسلامية وليس مجرد قائد للمسلمين الشيعة فقط. وضع الخميني مفهوم *ولاية الفقيه* (حكم الفقيه الأعلى) في دستور إيران، الذي وضع المرشد الأعلى باعتباره الحاكم الدنيوي والديني لإيران. وكان من المفترض أن يصبح هذا المفهوم أساسًا لمحاولات إيران لتصدير الثورة إلى الشرق الأوسط.[32]

سعت الجماعات الشيعية العراقية إلى الإطاحة بنظام صدام حسين البعثي العلماني، وكانت الثورة الإيرانية مصدر إلهام لها في ذلك.[33] بالإضافة إلى ذلك، دعمت إيران الجماعات الشيعية في جميع أنحاء المنطقة، وساعدت على تأسيس حزب الله الشيعي اللبناني عام 1982، وهو منظمة تعتبرها الولايات المتحدة جماعة إرهابية وترتبط ارتباطًا

---

[32] Christin Marschall, *Iran's Persian Gulf Policy: From Khomeini to Khatami*, New York: Routledge, 2003, pp. 26-27.

[33] David Gritten, "Long Path to Iraq's Sectarian Split," BBC News, February 25, 2006.

وثيقًا بإيران. لكن سياسة إيران الإقليمية لم تكن مدفوعة بأهداف طائفية بحتة، كما يتضح ذلك من تحالفها مع نظام حافظ الأسد العلماني الذي يهيمن عليه العَلَويون في سوريا. يرى كثير من رجال الدين الإيرانيين أن الطائفة العَلَوية ليست فرعًا للإسلام الشيعي بل طائفة منشقة أو مبتدعة.

نظرت الأنظمة العربية السُنِّية الاستبدادية، لا سيّما المملكة العربية السعودية، إلى السياسات الخارجية الحازمة للجمهورية الإسلامية بحذر. وكان هناك خوف متزايد بين السُنَّة من أن الثورة الإيرانية كانت تمثِّل تهديدًا للهيمنة السُنِّية في المنطقة.[34] وردًا على ذلك، روَّجت المملكة العربية السعودية لعقيدتها الوهابية باعتبارها حركة مناوئة للفكر الثوري الإيراني.[35] كان التنافس قائمًا بين المملكة العربية السعودية وإيران حتى في ظل حكم الشاه، غير أن الثورة الإيرانية فرضت مزيدًا من الشعور بالتنافسية بين الدولتين تؤججه الطائفية والتوجه الأيديولوجي.[36] إن تهديد الرياض المُتصوَّر بتوسع القوة الإيرانية والحاجة إلى طمأنة رجال الدين الوهابيين الأصوليين في الداخل، قاد الرياض إلى سياسة خارجية إقليمية أكثر حزمًا، مُتمثِّلة في تبني الحركة الإسلامية السُنِّية المتطرفة في جميع أنحاء المنطقة.[37]

---

34 S. Nasr, 2016, pp. 143–144.

35 الوهابية هي شكل أصولي من الإسلام بدأ في شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية. فهي حركة تُشجِّع عودة المسلمين إلى التفسير الحرفي للقرآن لتطهير الدين من أفكار الصوفية والمبتدعة التي شعر الوهابيون أنها تسللت إلى الإسلام مع مرور الوقت. وهم يعتقدون أن كل التفسيرات الأخرى للإسلام مبتدعة. للوهابيين دور مهم في الدولة السعودية الحديثة بسبب التحالف الذي تم بين آل سعود والوهابيين لتوحيد المناطق المختلفة من الجزيرة العربية في مملكة واحدة. وافق آل سعود على جعل الفكر الوهابي المذهب الديني للمملكة في مقابل الدعم الوهابي. وبهذه الطريقة، لا يزال يتعين على أسرة آل سعود الملكية استرضاء الوهابيين للحفاظ على تماسك الدولة السعودية، ويعتبر ذلك تحديًا صعبًا نظرًا لشروع السعوديين في تحديث المملكة العربية السعودية وانفتاحها على المجتمع الدولي

36 Andrew Scott Cooper, "Showdown at Doha: The Secret Oil Deal That Helped Sink the Shah of Iran," *Middle East Journal*, Vol. 62, No. 4, August 2008, pp. 567–591.

37 Claude Moniquet, "The Involvement of Salafism/Wahhabism in the Support and Supply of Arms to Rebel Groups Around the World," European Parliament Policy Department, June 11, 2013.

التنافس السعودي الإيراني هو مفتاح فهم نمو الطائفية في السنوات الأخيرة. وكما أوضح غريغوري غوز (Gregory Gause)، لم تتسبب المملكة العربية السعودية وإيران في عودة الطائفية في المنطقة، ولكنهما بالتأكيد زادتا من حدتها لخدمة مصالح الدولتين السياسية الخاصة.[38]

شهدت معظم منطقة الشرق الأوسط سلامًا طائفيًا نسبيًا خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. وبغض النظر عن بعض الاستثناءات الرئيسية، بما في ذلك قمع صدام حسين للشيعة في أعقاب غزوه للكويت عام 1990، فقد مرَّت مصر وسوريا وحتى العراق بحالة من هدوء العنف الطائفي النسبي حيث دعمت القيادة في هذه البلدان الهوية القومية العِرقية بدلاً من الطائفية كأساس للشرعية السياسية.

واصلت الطائفية تفاقمها في العقد الماضي مع تزايد شعبية حركة الإسلام السياسي، والنمو الحديث للجماعات المتطرفة متعددة الجنسيات، والمنافسة ذات الوتيرة المتسارعة بين إيران والمملكة العربية السعودية. نمت قوة إيران نتيجة للتدخلات الأمريكية في أفغانستان (2001) والعراق (2003) وتشكيل حكومات موالية لإيران في كلا البلدين. كان للسياسات الأمريكية تأثير ملحوظ على ديناميكيات القوة الإقليمية وتصوُّر السُنَّة عن "تهديد الشيعة" المتزايد. تمكنت طهران، رغم وجود عدة عقبات أمام النفوذ الإيراني، من دعم العديد من الجماعات غير الحكومية في المنطقة، ولا سيما الجماعات الشيعية المُعرَّضة للعنف الجهادي السُنِّي. وتشهد المملكة العربية السعودية الآن التدخل الإيراني في كل نزاع إقليمي تقريبًا، وتنظر إيران إلى المملكة العربية السعودية باعتبارها منافسًا عنيدًا لها. قد لا يكون الصراع العنيف في بعض الأماكن مثل العراق وسوريا ناجمًا عن التنافس السعودي الإيراني، لكنَّ القوتين الإقليميتين تشعلان باستمرار فتيل الحرب في كلا البلدين.

---

[38] Gause, 2014.

الطائفية في العراق

يوفر العراق مجالاً لدراسة الانقسام الطائفي فضلاً عن ديناميكية الهوية البشرية وطبيعتها المتقلبة. في عام 2015، افترض الكثيرون أن العراقيين كانوا يسيرون بخطى ثابتة نحو حرب أهلية عِرقية وطائفية، وقد كانوا دائمًا كذلك، وأن القومية العراقية لم تكن أبدًا سوى مجرد واجهة، وأن الدولة العراقية كانت تتحرك بلا هوادة نحو شفير التفكك العِرقي الطائفي.[1] يؤكد هذا الفصل على الكثير من الافتراضات الفرعية في هذا التوقع الشامل، والتي تبين كيف أن الانقسام السُنّي الشيعي الحالي في العراق قد نما وترعرع واستفحل بسبب الإجراءات القاصرة النظر التي اتخذتها السلطات المختلفة التي تشغل المناصب. يوضح هذا الفصل أيضًا كيف كان لدى السُنَّة والشيعة في العراق سابقًا، وربما لا تزال لديهم، القدرة على بناء علاقات فيما بينهم تصب في مصالحهم الذاتية وتسودها القومية في المقام الأول.[2] وقد يكون من الأماني في عام 2015 التفكير

---

[1] انظر على سبيل المثال، Dawn Brancati, "Can Federalism Stabilize Iraq?" *Washington Quarterly*, Vol. 27, No. 2, 2004, pp. 5–21; Namo Abdulla, "The View from Kurdistan: Divide Iraq in Order to Save It," *Al Jazeera*, June 13, 2014; Ramj Alaaldin, "If Iraq Is to Survive, Then It Must Be Divided into Separate Regions," *Independent*, August 17, 2014; Tim Lister, "Iraq to Split in Three: So Why Not?" CNN, July 8, 2014; Jamsheed K. Choksy and Carol E. B. Choksy, "Defeat ISIS, but Let Iraq Split," *World Affairs*, undated; and Delovan Barwari, "Partition Will Help End the Turmoil in Iraq," *Jerusalem Post*, March 8, 2015.

[2] الافتراضات والنتائج المستخلصة والتفاصيل السردية لهذا الفصل مشتقة في الأساس من كتاب Haider Ala Hamoudi, *Negotiating in Civil Conflict: Constitutional Construction and Imperfect Bargaining in Iraq*, Chicago: University of Chicago Press, 2014, Kindle; Hanna Batutu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movement of Iraq*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1978, Kindle; Dawisha, 2003, 2009; Michael Eppel, *Iraq from Monarchy to Tyranny: From the Hashemites to the Rise of Saddam*, Gainesville, Fla.: University Press of Florida, 2004; Fanar Haddad, *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions

بأن العراقيين السُنَّة والشيعة يستطيعون المصالحة فيما بينهم قريبًا أو بسهولة. ومع ذلك، يوضِّح السرد التاريخي ذاته أن الوضع الحالي يمنح الأمل لوحدة وطنية منتظرة ومنقوصة لكنها عملية.

بينما يدرك الكثير من علماء الشرق الأوسط الفوارق الدقيقة والتباينات في تطور العلاقة بين السُنَّة والشيعة، تهيمن مدرسة القومية الأولية حاليًا على مناقشات السياسات. بالنسبة إلى الذين يؤمنون بالقومية الأولية مثل كارستن فيلاند (Carsten Wieland)، فإن مبدأ نصل أوكام يمر مرور الكرام بتعقيد الهوية العِرقية الطائفية العراقية: إذا كان الأمر يبدو وكأنه حرب أهلية عِرقية طائفية ثلاثية الجوانب، فيجب أن يكون كذلك.[3] تقدم مدارس الفكر الأخرى حججًا مختلفة. يتبنى الباحث العراقي فنار حداد (Fanar Haddad) وجهة نظر الرمزية العِرقية، فضلاً عن تقديم حجّة أكثر عمومية حول الهوية الإنسانية:[4]

> تكمن الحقيقة في أن الأهمية الاجتماعية والسياسية للهوية الطائفية [في العراق] تتقدم وتنحسر وفقًا للظروف الاجتماعية الاقتصادية والسياسية الأوسع نطاقًا. وبالمثل، فإن الوئام أو الانقسام الطائفي يمليه السياق. . . . تخضع تصورات مراعاة الذات ومراعاة الآخر في ظل الهوية الطائفية، كما هو الحال في أي شكل من أشكال الهوية، باستمرار لإعادة البحث فيما يعد ديناميكية دائمة التقلب تكون إما دورية أو خطية. . . يجب أن نبدأ بالتعرف على الغموض الذي يكتنف الهوية.

---

of Unity, Oxford, UK: Oxford University Press, 2011, Kindle; Kanan Makiya, *Republic of Fear: The Politics of Modern Iraq*, Berkeley, Calif.: University of California Press, 1989 (1998); Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder, Colo.: Westview Press, 2012; Yitzhak Nakash, The Shi'is of Iraq, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1994; Liora Lukitz, *Iraq: The Search for National Identity*, Portland, Ore.: Frank Cass and Co., 1995; V. Nasr, 2007; Simon, 1986 (2004); Reeva Spector Simon and Eleanor H. Tajirian, eds., *The Creation of Iraq: 1914–1921*, New York: Columbia University Press, 2004, Kindle; Tripp, 2007; and Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008. Efraim Karsh, "Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq War," *Middle East Journal*, Vol. 44, No. 2, 1990, pp. 256–268, ويقدم آخرون روايات مخالفة معقولة بديلة لفكرة أن السُنَّة والشيعة متورطون في تنافس طائفي استمر لأكثر من 1,300 عام.

[3] Carsten Wieland, "The Bankruptcy of Humanism? Primordialism Dominates the Agenda of International Politics," *Internationale Politik und Gesellschaft*, 2005, pp. 142–158.

[4] F. Haddad, 2011, loc. 107, Kindle.

يرفض هذا الفصل بساطة حجة مدرسة القومية الأولية دون تبني أي مدرسة فكرية أخرى شاملة بالضرورة.[5] يمكن أن تكون التحليلات أحادية النطاق مفيدة في التناول السريع للمشكلات الاجتماعية المعقدة مثل تلك الموجودة في العراق، ولكنها تنطوي أيضًا على مخاطر كبيرة في جهد مبذول لتبسيط مشكلة تبدو خارجة عن السيطرة. يكفي القول بأن العراقيين يستهويهم العديد من الهويات المتغيرة والموجودة في وقت واحد بدافع الخوف والحاجة إلى الأمن الإنساني. تهيمن الطائفية في الوقت الراهن، غير أنه يوجد دليل كافٍ يوضح أن العراقيين أكثر تعقيدًا من الأشخاص ذوي الأدوار الثانوية في حرب طائفية مانوية يبدو للكثير من الخبراء أنه تدور رحاها في جميع أنحاء الشرق الأوسط بأكمله.

ينبني هذا الفصل على الافتراض القائل بأن الهويات العربية العراقية معقدة وليست طائفية بشكل صارخ. يتناول الفصل الأحداث التاريخية بالتدريج ويصف الوقوع المتزامن في هوة الطائفية، فضلاً عن تزايد الموجات الدورية للقومية "الأقل طائفية" على مر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين. ويصف مدى تأثير القضايا الأخرى التي تشمل الإقليمية والقبلية والأمن وحقوق الأرض على المشاعر والسلوك العراقي لمساعدة صناع السياسات على تحديد العوامل الأخرى التي تنبع من الصراع أو تحركه. يلخص الجزء الأول من هذا الفصل تاريخ الانقسام الطائفي الطويل والمعقد في العراق، مع التركيز بشكل خاص على كيف أن الطائفية الحديثة في العراق تتجذر بدءًا من الفترة العثمانية إلى ثورة البعث في ستينيات القرن الماضي. ويصف بعد ذلك كيف أن البعثيين الاشتراكيين العرب، في عهد أحمد حسن البكر أولاً ثم في عهد صدام، ساعدوا على ترسيخ الطابع المؤسسي للطائفية بين السُنَّة والشيعة. يصف القسم التالي ظهور الشيعة في عراق ما بعد البعث والنمو المتزامن وإن كان الأضعف وغير المتساوي للهوية العراقية السُنِّية وتأثير ذلك على كيفية ظهور الطائفية في العراق اليوم. يتناول القسمان الأخيران تداعيات الانقسام الطائفي الحالي والتوقعات المستقبلية المحتملة.

[5] ستكون بعض العبارات المستخدمة في هذا الفصل مألوفة لمن يؤمنون بنظرية البنائية، ولكن لم يتم تطبيق التحليل بدقة من وجهة نظر بنائية.

نظرة عامة

وجد المسلمون العراقيون العرب أنفسهم يخوضون حربًا أهلية طائفية وإقليمية بحكم الأمر الواقع اعتبارًا من منتصف عام 2015. كان التعاون بين الطوائف محدودًا وبدا أنه يتراجع، في حين أن عمليات القتل بين الطوائف و"التطهير" الجغرافي أصبحت شائعة كما كانت في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. قاد الشيعة العراقيون الذين يمثلون مختلف الجماعات السياسية والمسلحة الحكومة من بغداد وسيطروا بحكم الأمر الواقع على المناطق المكتظة بالشيعة في الوسط والجنوب والشرق، في حين كان السُنَّة على درجات متفاوتة من التمرد في الغرب والشمال الغربي.[6] تلقى الشيعة دعمًا مباشرًا من إيران استنادًا إلى علاقة تاريخية يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثامن عشر، وتلك ديناميكية نستكشفها في الجزء المتبقي من هذا الفصل. بينما يتحد الشيعة حاليًا ضد التهديد الذي يقوده تنظيم الدولة الإسلامية السُنِّي وضد التمرد السُنِّي الأوسع ضد الحكومة المركزية، فإنهم يعانون من انقسام داخلي كبير على أسس إقليمية وسياسية، وحتى في ظل هذه الظروف القاسية؛ فإن فكرة التكتلات الطائفية المتجانسة في العراق لا أساس لها من الصحة. ويعتبر الكيان السياسي السُنِّي أكثر تفتتًا على نحو سيء، لكنه في العموم يمثل معارضة لما يعتبره عدد كبير من السُنَّة نظامًا صوريًا إيرانيًا ظالمًا في بغداد.[7] ولأن الكثير من السُنَّة يعتقدون أنهم يشكِّلون ما لا يقل عن نصف العراقيين (انظر ما يلي)، ولأنهم يسيطرون حاليًا على موارد اقتصادية قليلة، فإن لديهم حافزًا كبيرًا للحفاظ على تمردهم حتى يحققوا التكافؤ أو التغلب على الشيعة العراقيين.

إن التمرد الطائفي السُنِّي ضد الدولة العراقية يدفعه مفهوم القمع الطائفي والإقليمي، والتوقعات التاريخية للهيمنة الطائفية، والمطالب الأساسية للأمن الإنساني.[8]

---

[6] يرتكز العراقيون الأكراد في الشمال والشمال الشرقي؛ حيث يبسطون سيطرتهم على هذه الأراضي في ظل حكم حكومة إقليم كردستان.

[7] انظر على سبيل المثال، Mushreq Abbas, "Iraq's 'Sunni' Rebellion Shows Splits Between ISIS, Others," *Al-Monitor*, June 24, 2014; Dafna H. Rand and Nicholas A. Heras, "Iraq's Sunni Reawakening: How to Defeat ISIS and Save the Country," *Foreign Affairs*, March 16, 2015.

[8] للحصول على تعريفات واستفسارات بشأن *الأمن الإنساني*، يُرجى الاطلاع على *الإعلان العالمي لحقوق الإنسان* الصادر من الأمم المتحدة بتاريخ 10 كانون الأول (ديسمبر) 1948؛ *والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية: التعليق العام رقم 27–حرية التنقل (المادة 12)*، الصادر من الأمم المتحدة بتاريخ 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 1999، *وإطار الأمن البشري وتقرير التنمية البشرية الوطنية: مراجعة التجارب والمناقشات الحالية*، الصادرة عن الأمم المتحدة في أيار (مايو) 2006.

اعتبارًا من منتصف عام 2015، قُدّر عدد السكان العراقيين بين 32 و35 مليون نسمة، وقد بلغت نسبة العرب من بينهم نسبة تتراوح بين 75 و80 بالمئة تقريبًا وبلغت نسبة الأكراد نسبة تتراوح بين 15 و20 بالمئة، في حين أكمل التركمان والآشوريون والأقليات الأصغر الأخرى إجمالي عدد السكان المقدر.[9] كانت التقديرات العِرقية مقبولة عمومًا من منظور أوسع، لكن الانقسامات الطائفية ضمن النسبة المقدرة التي تتراوح بين 95 و99 بالمئة من العرب العراقيين المسلمين تثير الكثير من الجدل. تشير التقديرات المستقاة من مصادر موضوعية بشكل عام أن نسبة السُنَّة تتراوح من 32 بالمئة إلى 42 بالمئة تقريبًا وأن نسبة الشيعة تتراوح من 65 بالمئة إلى 47 بالمئة تقريبًا، وذلك من نسبة المسلمين العراقيين العرب التي تتراوح بين 75 بالمئة و80 بالمئة.[10] ومع ذلك، يدعي الكثير من العرب السُنَّة العراقيين والمؤيدين للسُنَّة أن السُنَّة يشكلون نسبة أكبر تصل إلى 50 بالمئة أو حتى 62 بالمئة من *إجمالي* سكان العراق.[11] لا توجد بيانات يمكن الدفاع عنها عمليًا لدعم

[9] هذه التقديرات مأخوذة من إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة وكتاب حقائق العالم لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، والذي ربما يكون قد استُمد من بيانات وزارة التخطيط العراقية (المشار إليها أيضًا)؛ وترتفع احتمالية الإبلاغ الدوري في بعض مجموعات البيانات هذه. نظرًا لعدم وجود إحصاء رسمي ناجح في العراق منذ عام 1997، فإن هذه الأرقام تمثل استيفاءات مستمدة من مصادر متعددة؛ انظر UN, *Data Sources for Population Estimates*, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, Population Estimates and Projections Section, 2015b. للاطلاع على التقديرات انظر، UN, *Iraq: Population (Thousands), Medium Variant, 1950–2100*, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, Population Estimates and Projections Section, 2015a؛ وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "كتاب حقائق العالم: العراق،" غير مؤرخ؛ وجمهورية العراق، 2010 للاطلاع على وجهة نظر تاريخية بشأن تحاليل تعداد السكان في العراق، انظر Doris G. Adams, "Current Population Trends in Iraq," *Middle East Journal*, Vol. 10, No. 2, 1956, pp. 151–165.

[10] انظر على سبيل المثال، for example, World Values Survey, "Wave 5 2005–2008: Results, Iraq 2006, Technical Record," World Values Survey Association, 2014; Michael Lipka, "The Sunni-Shia Divide: Where They Live, What They Believe and How They View Each Other," Pew Research Center, June 18, 2014; CIA, undated. أظهرت بيانات الدراسة الاستقصائية للقيم العالمية لعام 2006، مع عينة يبلغ حجمها 2,701 وهامش خطأ يبلغ ±3 بالمئة تقريبًا، أن المشاركين الذين تم تحديدهم على أنهم شيعة أكثر ثلاث مرات من الذين تم تحديدهم على أنهم سُنَّة، لكن المسألة كانت مكتوبة بشكل سيئ للغاية لدرجة أنه يجب عدم استخدامها كأساس لإجراء مزيد من التحليل. لاحظ أن هذه البيانات تشكل الأساس ببعض تقارير مركز بيو للأبحاث بشأن السكان الشيعة في الشرق الأوسط. انظر World Values Survey, 2014, p. 37, and Pew Research Center, 2009.

[11] على سبيل المثال، ادعى كل من محسن عبد الحميد (Mohsen Abdel Hamid) وحارث الضاري (Harith al-Dhari) وأسامة النجيفي (Osama al-Nujaifi)، وهم قادة سياسيون ودينيون عراقيون

الادعاءات الأكثر تطرفًا. وتمثل التقديرات الأكثر اعتدالاً، في أحسن الأحوال، استقراءات من معلومات قديمة وقليلة بشكل عام. يؤدي غياب البيانات الديموغرافية الموضوعية التي يمكن الدفاع عنها إلى تقويض التحليل الدقيق. لكن حتى في حالة وجود البيانات، فإن الروايات الثقافية القائمة والمتأصّلة قد تجعلها لا تمتّ بصلة لمسألة التوتر بين الطوائف في العراق.

ولأن العراقيين لديهم سبب ضئيل للثقة في البيانات الرسمية بناءً على تجربتهم الطويلة مع الحكم التعسفي والمضلّل، ولأنه من مصلحة السُنَّة والشيعة الفورية والعملية الحصول على أغلبية قوية، فإن التصورات والمسائل الثقافية ذات الفائدة السياسية أكثر صلة بالتحليل الحالي من الواقع الموضوعي. يرتبط عدم الثقة والهيمنة ارتباطًا جوهريًا، وقد تطور هذان المفهومان على مدار أربعة قرون على الأقل. على الرغم من أن القول بأن جذور الانقسام السُنّي الشيعي في العراق عميقة أصبح نمطيًا تقريبًا في عالم تحليل السياسات سريع الحركة، فإن فهم كيفية ظهور هذا الانقسام وسبب ظهوره، وكيف تقلص بشكل مؤقت وبنجاح في الوقت ذاته، أو كيف طغت عليه قضايا أخرى في الماضي، سيبقى أمرًا أساسيًا لإيجاد الحلول الممكنة للأزمة الحالية.

الطائفية ما قبل البعث: الافتراضات الصعبة وتتبع الهويات

تم إنشاء دولة العراق الحديثة باعتبارها مملكة تحت الانتداب البريطاني عام 1921 ومُنحت الاستقلال لتكون دولة قومية عام 1932.[12] يستفيد البعض من هذه التواريخ

بارزون، أن السُنَّة يشكِّلون 50 بالمئة أو أكثر من إجمالي سكان العراق. انظر شفيق شقير (Shafiq Shuqir)، "التعدد العِرقي والديني في بناء عراق المستقبل" [Ethnic and religious diversity in the composition of the future Iraq]، *الجزيرة*، 10 آذار (مارس) 2004؛ Ayad Mahmud Husayn, "Are the Shia Really the Majority in Iraq?" *Al-Arab News*, April 11, 2005; Faruq Ziada, "Is There a Sunni Majority in Iraq?" *counterpunch*, website, December 27, 2006; Abdulaziz al-Mahmud, "New Evidence . . . for the Sunni Majority in Iraq," Defense Network for the Sunnis, March 9, 2010; and Harith al-Qarawee, "The Rise of Sunni Identity in Iraq," *National Interest*, April 5, 2013. غالبًا ما يشير المدعون بأن الرقم يزيد عن 50 بالمئة إلى إحصاء العراق لعام 1997، ومراجعة برنامج UN Ration Card Program لعام 2003، والقانون الانتخابي العراقي لعام 2010 باعتبارها مصادر لادعاءاتهم.

[12] تشكلت دولة العراق باعتبارها دولة انتداب عام 1921 وحققت بعد ذلك الاستقلال بموجب المعاهدة الأنجلو عراقية عام 1932. انظر Marr, 2012, and Abbas Khadim, *Reclaiming Iraq:*

ويستشهد بالتواطؤ الغربي في مؤتمرات مختلفة تهدف إلى ترسيم حدود العراق الحديثة ليبرهن أو يوحي إلى أن الأمة العراقية صنيعة ما بعد النظام العثماني.[13] ثم تخلُص هذه الحجج إلى أن بنية الدولة عام 1921 لم تزد عن كبت العداوات طويلة الأمد بين العرب السُنَّة والشيعة الذين عاشوا في تجمعات جغرافية وثقافية منفصلة لعدة قرون، وذلك باتباع التبرير المنطقي ذاته.[14] ومن ثم يمكن للمرء، باتباع هذه الحجج، أن يستنتج أن تقسيم الدولة العراقية من شأنه أن يوفر استقرارًا طبيعيًا بناءً على التجانس الطائفي. تعزز الانقسامات الإقليمية في العهد العثماني، المبينة في الشكل 3.1، هذه الافتراضات وتقدم نموذجًا للتقسيم العِرقي الطائفي في المستقبل.

هذه الافتراضات والاستنتاجات ليست دقيقة بالكامل، ومن ثم فهي مضللة جزئيًا. بينما لم تكن دولة العراق الحديثة موجودة حتى عام 1921 (أو عام 1932 بشكل رسمي)، كان العراق موجودًا باعتباره منطقة أو مجموعة من المحافظات المجمّعة أو كيانًا غير منتظم لكنه يشبه الدولة لأكثر من ألف عام في ظل الحكم العباسي والحكم المغولي ثم الحكم العثماني.[15] يقدم العديد من الباحثين حججًا قوية تفيد بأنه على الرغم من المشاركة الأوروبية في ترسيم حدود العراق الحديثة، فإن مفهوم العراق باعتباره منطقة مشتركة وكيانًا يشبه الدولة يسبق بمدة طويلة سلسلة معقدة من الاجتماعات والاتفاقيات الدولية والقومية التي "شكّلت" العراق الحديث.[16] وهذا الأمر مهم للتحليل

The 1920 Revolution and the Founding of the Modern State, Austin, Texas: University of Texas Press, 2012، من بين آخرين.

[13] انظر على سبيل المثال، Toby Dodge, *Inventing Iraq: The Failure of Nation Building and a History Denied*, New York: Columbia University Press, 2003.

[14] انظر على سبيل المثال Jeffrey Goldberg, "After Iraq," *Atlantic*, 2008; Jeffrey Goldberg, "The New Map of the Middle East," *Atlantic*, June 19, 2014; Toby Dodge, *Iraq: From War to a New Authoritarianism*, London: International Institute for Strategic Studies, 2012; and Sami Zubaida, "The Fragments Imagine the Nation: The Case of Iraq," *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 34, 2002, pp. 205–215.

[15] تشير فيبي مار إلى الدولة العراقية في ظل الإمبراطورية العباسية التي يرجع تاريخها إلى الفترة من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر. ويقدم الباحث العراقي المشهور عباس خادم (Abbas Khadim) أدلة دامغة على أن مفهوم العراقي، ومصطلح *العراق*، ظهر في وقت مبكر من القرن الثالث عشر. انظر Marr, 2012, p. 5, and Khadim, 2012, p. 7.

[16] انظر Alistair Northedge, "Al-Iraq al-Arabi: Iraq's Greatest Region in the Pre-Modern Period," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008a, pp. 151–166; Reidar

الشكل 3.1
الولايات العثمانية في العراق قبل عام 1916



RAND *RR1681-3.1*

الحالي لأنه يقوّض الحجة القائلة بأن الدولة العراقية هي بناء غربي حديث يجمع ظاهريًا بين أشخاص يمكن فصلهم بطريقة طبيعية على أساس الطائفية الإسلامية.

Visser, "Two Regions of Southern Iraq," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008a, pp. 27–50; F. Haddad, 2011; and Sara Pursley, "'Lines Drawn on an Empty Map': Iraq's Borders and the Legend of the Artificial State (Part 1)," *Jadaliyya*, June 2, 2015. Treaties, meetings, and agreements include the 1913 Anglo-Ottoman Convention; the 1916 Sykes-Picot Agreement; the 1920 Treaty of Sevres; the Cairo Conference of 1921; the 1922 (ratified 1930, in effect 1932) Anglo-Iraqi Treaty; the 1922 Uqair Protocol; and the 1923 Treaty of Lausanne. انظر، من بين آخرين، Visser, 2008a; "Historical Myths of a Divided Iraq," *Survival: Global Politics and Strategy*, Vol. 50, No. 2, 2008b, pp. 95–106; Richard Schofield, "Borders, Regions and Time: Defining the Iraqi Territorial State," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008a, pp. 167–204; Marr, 2012; and Khadim, 2012.

علاوة على ذلك، كانت *الهوية القومية* العراقية موجودة بالفعل قبل ثورة 1920، ولا تزال موجودة باعتبارها واحدة من الهويات العراقية الكثيرة.[17] حدد فنار حداد عام 2011، ثلاثة أشكال هوية تجمع العرب العراقيين: القومية العراقية المُوحَّدة والقومية العراقية السُنِّية والقومية الشيعية العراقية.[18] وفقًا لتفسير حداد، توجد الأنواع الثلاثة للهوية القومية في وقت واحد، لكن القومية السُنِّية والقومية الشيعية كانت في حالة دائمة من التنافس للسيطرة على فكرة الدولة المُوحَّدة سريعة الزوال والمتنازع عليها.[19] توجد طريقة أخرى لرؤية هذه العملية الحيوية تتمثل في رؤية القومية على أنها هوية مميَّزة يسعى السُنَّة والشيعة إلى احتكارها أو التأثير عليها. ذهب فيسر (Visser) إلى أن الإقليمية تمثِّل هوية قوية أخرى، وفي *معظم* الحالات، تؤثر النزعة الإقليمية، لا سيما الإقليمية على مستوى المحافظات، على سلوك الفرد والجماعة بشكل أكبر من تأثير الهوية الطائفية.[20]

يوجد تفسير مضلل آخر بشأن التاريخ العراقي يقوي الحجج الحالية الرامية إلى تقسيم الدولة ويعززها، وهو: المفهوم القائل بأن الانقسام السُنِّي الشيعي في العراق أزلي تقريبًا، وربما يعود إلى وفاة النبي محمد في عام 632 (أو قبل أكثر من 1300 عام على صراع عام 2015). بينما كان عراق ما قبل الثورة على خط المواجهة الممتد لقرون بين الدولة العثمانية السنّية والدولة الشيعية الصفوية والإمبراطورية الفارسية، فإن المذهب الشيعي لم ينتشر في العراق حتى أواخر القرن الثامن عشر.[21] كان جميع العرب العراقيين من السُنَّة تقريبًا حتى هذا الوقت، وكان معظم الجنوب، والذي هيمن عليه الشيعة لاحقًا في القرن التاسع عشر، من البدو. كتب نقاش (Nakash): "لا يوجد دليل... يبرهن أن الشيعة كانوا على وشك تشكيل الأغلبية من السكان في العراق قبل القرن التاسع عشر أو حتى القرن العشرين".[22] مع بذل بعض الجهد، يمكن

---

[17] Visser, 2008a; F. Haddad, 2011.

[18] F. Haddad, 2011, loc. 737, Kindle.

[19] F. Haddad, 2011, locs. 735–800, Kindle.

[20] Visser, 2008a.

[21] تُفهم طبيعة الانقسام الأبديّ بين السُنَّة والشيعة ضمنًا ويسلط عليها الضوء دائمًا في معظم المقالات المؤيدة للاتحاد والأخرى المؤيدة للانقسام المشار إليه في هذه الدراسة. وقد قدّم نقاش وآخرون الحجة المناقضة التاريخية باعتبارها مصدرًا رئيسيًا. انظر Nakash, 1994, pp. 26–28، من بين آخرين.

[22] Nakash, 1994, p. 25.

للمرء اتباع الديناميكية التاريخية الواسعة التي تُرجع الوضع الحالي من الحرب الأهلية إلى صدر الإسلام. غير أن الطائفية العراقية ظهرت فعليًا في أواخر القرن الثامن عشر مع أفول نجم الإمبراطورية العثمانية من جنوب شرق العراق وشروع الشيعة الفارسيين في الهجرة والتبشير. ومن ثمّ، لا تزيد المنافسة بين السُنَّة والشيعة المستقرين *في العراق* فعليًا عن 200 عام.[23]

رأت النخب السُنِّية في العراق، الذين تلقوا التعليم والإرشاد والرعاية على يد العثمانيين السُنَّة منذ القرن السادس عشر، أن وصول الشيعة الفارسيين بدءًا من أواخر القرن الثامن عشر حتى عام 1920 يُشكِّل تهديدًا مباشرًا على استحواذهم القريب العهد على مقاليد الدولة.[24] وفي هذا الصدد، تصف فيبي مار (Phebe Marr) تأثير البيروقراطية العثمانية على تصورات السُنَّة والشيعة في العراق فيما يلي:[25]

> كانت النخبة من السكان الأصليين [في ظل الإمبراطورية العثمانية] تنتمي إلى شريحة واحدة فقط من السكان وهم السُنَّة المقيمون في الحضر. فلم يكن يلتحق بالمدارس العامة ويُمنح مناصب في الجيش والجهاز الإداري سوى السُنَّة سواء أكانوا عربًا أم أكرادًا. ولا عجب أن يفكر السُنَّة بأنهم نخبة البلاد بالفطرة ولا يوجد أحد سواهم جدير بالقيادة. وبناءً على ذلك، توجد شريحتان هامتان من السكان، وهما الجماعات القَبَلية الريفية غير المستفيدة من المزايا الحضرية والشيعة، مستبعدتان من المشاركة في الحكومة. ولا عجب أن يشكلا نواة المعارضة للحكومة في العقود الأولى من القرن العشرين.

أدخل العثمانيون السُنَّة، في أواخر القرن التاسع عشر، الطرق الصوفية في الشمال بهدف صد النمو الملحوظ في أعداد الشيعة ونفوذهم.[26] ويسعى البدويون و*الفلاحون* (المزارعون) الشيعة، الذين كثيرًا ما كانت تنبذهم بغداد في القرنين التاسع عشر والعشرين، إلى تقوية هوياتهم الإقليمية. لذا كان *المجتهدون* أو علماء الدين والخبراء السياسيون المشهود لهم في التشريع من الشيعة، والذين كانت تلهمهم الثورة الإيرانية الشيعية، يبثون هذه المخاوف قبل اندلاع ثورة 1920 وبعدها عن طريق الضغط من أجل

---

[23] شرح نقاش وآخرون عام 1994 أيضًا كيف أن الشيعة لم يكن لهم وجود في قطاع كبير من السكان العراقيين حتى وقت متأخر من القرن التاسع عشر، وهو ما تزامن مع التسوية مع القبائل الجنوبية بالإقناع أو الإجبار.

[24] انظر، على سبيل المثال، Nakash, 1994; Dawisha, 2003, Kindle; and Marr, 2012.

[25] Marr, 2012, p. 8.

[26] Nakash, 1994, p. 24.

بناء دولة دينية ذات مرجعية شيعية في العراق ولو على سبيل الافتراض.[27] دخل السُنَّة والشيعة العراقيون، بدءًا من أواخر القرن الثامن عشر، في سلسلة متطورة من السجالات المتبادلة وزادت الوتيرة في مطلع القرن العشرين مما أفضى إلى تقويض الثقة تدريجيًا وتقوية الهوية القومية الطائفية وتشكيل تفسيرات السُنَّة والشيعة للإسلام بما يوائم طبيعتهم.

الهوية السُنِّية: من عام 1920 إلى عام 1968

يتناول هذا القسم والقسم الذي يليه الهوية الشيعية بدءًا من الثورة العراقية ضد الحكم البريطاني في عام 1920 وحتى البدايات الفعلية لفترة حزب البعث في عام 1968، ويعرضان تطور الهويتين *الطائفتين* للسُنَّة والشيعة في العراق. هذه هي التفسيرات أحادية النطاق للهوية التي تم استغلالها في عام 2015 للدفاع عن التغييرات التي طرأت على هيكل الدولة العراقية.[28] توضح هذه الروايات المتحيزة بوجه عام، معًا، كيف تطورت حالة عدم الثقة الحالية (أو ربما ساءت) من فترة ما قبل الثورة في سلسلة من الأفعال وردود الأفعال المبنية على استقلال المسار.[29] يبحث القسم التالي للقسم الذي يتناول هوية الشيعة روايات بديلة للهوية ويورد تحذيرات حرجة ينبغي الاسترشاد بها في التحليلات الحالية.

لقد حافظ العرب السُنَّة العراقيون على سيطرتهم على أجهزة الدولة المتمركزة في بغداد وعززوا من وضعهم بها، وذلك منذ ثورة 1920 وحتى بداية فترة البعث في منتصف القرن العشرين. سيطر السُنَّة على الجيش العراقي الجديد والبرلمان تحت الحماية البريطانية، وخلُص أفراد النخبة السُنّية إلى اعتبار الجيش تدريجيًا على أنه وسيلة للحفاظ على السيطرة على الدولة وتشكيل الهوية الوطنية العراقية. قبل عام 1920، كان المسؤولون العسكريون والسياسيون من العرب السُنَّة المدربين على يد العثمانيين

---

[27] *المجتهد* هو عالم دين متعمق يحظى بنفوذ سياسي ملموس وإلزامي لدى الشيعة. انظر، على سبيل المثال، for example, Bernard Weiss, "Interpretation in Islamic Law: The Theory of Ijtihād," *American Journal of Comparative Law*, Vol. 22, No. 6, 1978 [*Proceedings of an International Conference on Comparative Law in Salt Lake City Utah*, February 24–25, 1977], pp. 199–212.

[28] Brancati, 2004; Abdulla, 2014; Alaaldin, 2014; Lister, 2014; Choksy and Choksy, undated; Barwari, 2015.

[29] استقلال المسار هو عملية التصرف بناءً على السلوك المُمارس في السابق دون الجنوح إلى وضع سلوكيات جديدة ربما تكون أكثر فعالية.

يتشربون وينهلون الأفكار العثمانية التي تصور أن الدولة تكون أقوى عندما تكون متحدة وعند تقليل الانقسامات العِرقية والطائفية المزعجة إلى أدنى حد. حافظت هذه النخب السُنِّية أيضًا على إبقاء مشاعر الخوف والاستياء المتبقية تجاه النفوذ الفارسي في العراق.[30] وقد أذكى الوجود الفعلي لعشرات الآلاف من المواطنين الفرس في جنوب العراق مشاعر الخوف الحالية، فضلاً عن التصور الخطأ عمومًا بأن قادة الشيعة الدينيين والسياسيين (رجال دين في المقام الأول) توحدوا وأصبحوا تحت طوع إيران وتحكمها المباشر.[31]

ولمواجهة هذا التهديد المتصوَّر، ضغطت النخبة السُنِّية المتمركزة في بغداد بشدة للتخلص من الهوية الطائفية وحتى الدينية من أجهزة الدولة من أجل اختيار الهوية القومية باعتبارها هوية نخبوية سُنِّية مميزة. وفي الوقت ذاته، سعوا إلى إجراء تسوية بين كل من القبائل السُنِّية والشيعية المتنقلة للحد من التأثير المهدد للهوية القبلية وزيادة السيطرة على السكان. وكانت نظرتهم إلى الهوية القومية على أنها ليست جيدة في حد ذاتها فحسب، بل وسيلة يمكن من خلالها إخضاع جميع العراقيين ولا سيما العراقيين الفرس والشيعة وإحكام السيطرة عليهم. ومع تزايد امتعاض السُنَّة من البريطانيين، جنحت النخب السُنِّية إلى الاشتراكية القومية الألمانية والفلسفات الفاشية الأخرى، حيث سعوا إلى اكتشاف نصير بديل وأيديولوجية بديلة للحكم. تَزيد هذه الحركات القوية في قوميتها من تعزيز اعتقاد النخب السُنِّية بأن الهوية القومية غير الطائفية كانت العامل الأساسي في الحفاظ على وحدة الدولة الخاضعة للسيطرة المركزية وقيامهم بإذكاء البعثية العراقية.[32] كتبت مار عن الميول الاستبدادية العراقية المستجدة:[33]

---

[30] يوضح سيمون 1986 (2004) ومار، 2012، وغيرهما من المؤرخين المذكورين في هذه الدراسة تأثير النزعة التوسعية للفرس المتصورة وأثرها. وقد ضربنا الأمثلة على ذلك في جميع أجزاء هذا الفصل.

[31] يستشهد نقاش، 1994، بمجموعة من المصادر الرئيسية التي توضح كيف أن هذه الوحدة كانت ضربًا من الخيال ولم تكن واقعية البتة. يكشف تحليل المنظمة السياسية الدينية الشيعية الحديثة في الأقسام التالية الفوارق المتجددة والغياب شبه الكامل للوحدة السياسية الشيعية.

[32] كشف ريفا سبيكتور سيمون (Reeva Spector Simon) أن غرس القومية الألمانية في منتصف القرن الماضي أدى إلى تطور النخبة العسكرية السُنِّية العراقية ويوضح كيف أدت العلاقة الألمانية العراقية إلى تسريع وتيرة الجهود السُنِّية لتوحيد الدولة بمقتضى الإملاءات الثقافية غير الطائفية بدلاً من الالتزام بصيغة موحدة للإسلام أو ككيان فيدرالي (سيمون، 1986 [2004]). انظر أيضًا Lukitz, 1995, pp. 100–101، من بين آخرين.

[33] Marr, 2012, p. 45.

> بدا أن شكل الحكومة الموحد يوفر وسيلة أكثر فاعلية لتوحيد الدول المتفرقة وإضفاء الطابع العصري على المجتمعات المتخلفة مقارنة بالديمقراطية الدستورية والنظام المؤسسي الحر. . وكانت الإيطالية والألمانية الفاشية في أوائل عهد أدولف هتلر (Adolph Hitler) النموذجين اللذين يُحتذى بهما.

أثرت هوية الوحدة القومية العربية والحركة الداعية لها أيضًا في تطور الهوية العراقية العربية السُنِّية طوال الفترة ما بين مطلع القرن العشرين حتى منتصفه. تطورت الوحدة القومية العربية حتى أصبحت حركة منظمة بدءًا من القرن التاسع عشر، إلا أنها كانت محل إعجاب بصورة خاصة لبعض العناصر داخل النخبة العراقية العربية السُنِّية بعد ثورة 1920. تتماشى الوحدة العربية عمومًا مع الفلسفات والهويات القومية العثمانية والألمانية وتعزز بعضها فيما تدعو إليه من الوحدة شديدة الطائفية.[34] تتبعت ريفا سبيكتور سيمون وأديد داويشا (Adeed Dawisha) إدخال ساطع الحصري (Sadi‘ al-Husri)، أحد رواد حركة الوحدة العربية، الوحدة القومية العربية والفلسفات القومية في أنظمة التعليم المدني والعسكري العراقي والاستخدام السُنِّي اللاحق للتجنيد العسكري والتعليم العسكري الإجباري لتشرب العراقيين السُنَّة القومية المتطرفة في المقام الأول.[35] كان الحصري علمانيًا ذا تأثير قوي بشكل خاص على تطور الهوية العراقية العربية السُنِّية ليس على صعيد القومية فحسب بل العلمانية أيضًا.[36]

ثم تأثر العراقيون العرب السُنَّة الذين شكّلوا قوام حزب البعث في فترة ستينيات القرن العشرين والذين استفادوا لاحقًا من تولي صدام للرئاسة ظاهريًا بالنخبوية السُنِّية التي دامت خمسة قرون؛ حيث تأثروا ثقافيًا وتشكّل وعيهم لتوقع استمرار الهيمنة السُنِّية على الدولة المركزية الخاضعة لسيطرة العاصمة العراقية بغداد. وربما الأهم من ذلك أن الهوية السُنِّية قد لا يكون لها علاقة بالتفسيرات السُنِّية للإسلام. على الرغم من أن الإسلام يظل العنصر الأهم في مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة السُنِّية والقطاع الحكومي، فإن القومية المتأثرة بالفكر العثماني والألماني والقومي العربي طغت عليه؛ وكانت الهوية العراقية العربية السُنِّية في الغالب عراقية وعربية إلى حد

---

[34] كانت توجد أيضًا انقسامات جلية بين العراقيين المتبنين لفكر الوحدة العربية والقوميين، حيث يزعم القوميون أن العراق أهم من الهوية العِرقية العربية. ومع وجود اختلافات في الهويتين، إلا أنهما كانا يدعمان الطموحات السُنِّية للحصول على السلطة المركزية في بغداد والسيطرة على الدولة والسكان العراقيين.

[35] Simon, 1986 (2004); Dawisha, 2003. انظر أيضًا Eppel, 2004, pp. 38–39.

[36] Simon, 1986 (2004); Tripp, 2007, pp. 92–93.

ما وسُنِّية من الناحية الاسمية فقط. رفض جُل العرب السُنَّة المُثُل الديمقراطية ذات النمط البريطاني والأمريكي في أواخر ستينيات القرن العشرين، وقد نجحوا في تشكيل الفلسفات والمقدسات المتميزة واختيارها للدولة العراقية. ولأن الكثير من النخب السُنِّية من العرب يخافون من الشيعة والجهات الفارسية المؤثرة عليهم ويستاؤون منهم وفي بعض الحالات ينظرون إليهم بازدراء، استفاد السُنَّة من النموذج الفريد للهوية القومية العراقية لتهميش العرب الشيعة مع السعي دومًا إلى كسب ولائهم أو تسكين مخاوفهم بإشراكهم جزئيًا في الحكومة والجيش. بدت الهوية العراقية العربية السُنِّية في عام 1968 مناهضة للهوية العراقية العربية الشيعية والتطلعات والتأويلات الشيعية تجاه الدولة بشكل مباشر.

الهوية الشيعية: 1920–1968

قاد العراقيون الشيعة الثورة ضد السيطرة البريطانية ووضعوا رؤية لدولة عربية متعددة الطوائف متماسكة قبل الثورة وفي أثنائها.[37] استطاع الشيعة التجمع حول حركة مثّلت كلاً من نخب رجال الأعمال والمجتهدين والشيعة وبعض السُنَّة، من خلال إنشاء جمعية حرس الاستقلال الشرفية.[38] على الرغم من هذا الانخراط القومي للعراقيين العرب السُنَّة (وإن كان محدودًا)، فقد تم تهميش الشيعة سريعًا في عملية تشكيل الحكومة بعد الثورة. ظل الشيعة، بعد الثورة، شركاء ثانويين أو من الدرجة الثالثة في نظام الحكم ولم تتحقق رؤية المجتهدين بإقامة دولة أكثر ثيوقراطية وإن لم تكن بالضرورة متأثرة بالفارسية أو حتى تخضع لهيمنة الشيعة. وجد العراقيون الشيعة، على مدار الأعوام الثمانية والأربعين التالية، أنفسهم مهمشين بشكل متزايد، وتعرضوا في الكثير من الأحيان للقمع من النظام الذي يقوده السُنَّة.[39] في ظل استمرار ترسيخ السُنَّة للمفاهيم العلمانية والقومية، ظل العرب الشيعة المتمركزون في وسط وجنوب العراق، على سبيل

[37] .Nakash, 1994, pp. 64–77

[38] .Tripp, 2007, pp. 40–41; Simon and Tejirian, 2004, locs. 1003-1016, Kindle لقد كان الأشراف أتباع الشريف حسين بن علي (Sharif Husayn Ibn Al) قائد الثورة ضد العثمانيين من عام 1916 إلى 1919.

[39] تشير مار إلى أن الشيعة ربما تجاوزوا التمثيل السُنّي في مناصب الحكومة العليا أثناء الحرب العالمية الثانية نظرًا إلى انخراط النخبة السُنِّية فيها (Marr, 2012, p. 57). Nakash, 1994, Marr, 2012, and Adeed Dawisha, *Iraq: A Political History*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009, Kindle. جميعهم يوثقون بعناية تراجع العلاقة بين النخب المركزية السُنِّية والشيعة المتواجدين في الجنوب.

المثال النجف والكوت وكربلاء والناصرية والديوانية والبصرة، يرون أن الشيعة الإمامية تُمثِّل الهوية التنظيمية المنطقية للدفاع عن النفس ولمعارضة الحكومة المركزية غير الممثلة وللحكم الذاتي شبه المستقل.[40]

على عكس السُنَّة، التي تتصور عمومًا وجود علاقة شخصية بين العبد وربه، فإن الشيعية العراقية تتمحور حول الإمامية والمجتهدين. كما هو الحال في إيران، أتاح هذا الأمر تشكيل إطار عمل تسلسلي منظم منح الشيعة بدوره قدرة أكبر على التنظيم والاحتفاظ بالسيطرة على الخطاب السياسي والديني. علاوة على ذلك، فإن الرواية الشيعية للرجولة والضحية التي منشؤها الممارسات الموروثة عن علي وحسين قد وفَّرت خلفية وملازمة مفيدة لمواصلة دور الضحية على أيدي الحكومة المركزية وحتى عن طريق الاعتداءات الخارجية من ضغط القبائل الوهابية السُنِّية شمالاً من الجهة التي تُسمى المملكة العربية السعودية الآن.[41] لذلك، بينما أصبح المذهب السُنِّي العراقي أقل أهمية باعتباره هوية دينية وربما أصبح له دور ثانوي أو ثالثي من حيث الهوية السياسية الدينية، زادت أهمية المذهب الشيعي وتماسكه مع استمرار العراقيين الجنوبيين في المعارضة.[42]

أدى خوف النخب السُنِّية من المعارضة الشيعية إلى سلسلة من الإجراءات القانونية والعسكرية ضد المجتهدين الشيعة والقيادة السياسية طيلة هذه الفترة. طردت الحكومة المركزية المجتهدين الشيعة، في حالات عديدة، مما اضطرهم إلى الانتقال إلى إيران ومن ثم أصبحوا أقرب للإيرانيين نوعًا ما.[43] يشير إسحاق ناقش (Yitzhak Nakash) إلى أنه في الوقت الذي أدى ذلك إلى تقوية العلاقة بين الإيرانيين والشيعة العراقية، إلا أنه لم يفضِ إلى تحقيق التجانس الشيعي عبر الحدود. وعلى عكس ذلك، حافظ الشيعة العراقيون على مبادئهم ووجهات نظرهم المميزة. وقد تلاشت وانحسرت سلطة المجتهدين وتأثيرهم خلال عام 1968؛ لكن عند تولي البعثيين زمام الحكم، كانت الشبكات الدينية والسياسية الشيعية في الجنوب شيئًا واحدًا في الأساس. بينما ازدهرت

---

[40] يؤكد نقاش، 1994، وآخرون أن هناك اختلافات كبيرة بين الشيعة العراقية والشيعة الفارسية، وتختلف الشيعة الإمامية العراقية في كلا السياقين السياسي والديني عن الشيعة الفارسية (الإيرانية).

[41] Nakash, 1994, p. 78.

[42] وقد حدث هذا على الرغم من أوجه الضعف النسبي في *الوقف* الشيعي العراقي أو الوقف الديني بالمقارنة مع *الوقف* الشيعي الإيراني. انظر Nakash, 1994.

[43] Nakash, 1994, pp. 82-83.

الهوية الدينية الشيعية، اندمجت مع الهوية الإقليمية بطريقة اندماج المذهب السُنِّي العراقي مع الهوية القومية ذاتها.[44]

انخرط الكثير من الشيعة في الهويات البديلة في فترة ما بعد عام 1920. ظهرت الشيوعية العراقية في أواخر عشرينيات القرن العشرين في البصرة والناصرية اللتين تهيمن عليهما الشيعة وتطورت تدريجيًا لتشمل الأكراد والسُنَّة العرب بصورة أساسية في كركوك وبغداد. في نهاية المطاف، اختارت الدولة التي يهيمن عليها السُنَّة عددًا من المبادئ اليسارية للحزب الشيوعي العراقي. وقد برز الحزب الشيوعي العراقي بوصفه حركة اجتماعية بدافع مقاومة الاستعمار والصراع الطبقي، وظل بمعزل عن القضايا الطائفية المضطربة التي ظهرت وتطورت طيلة القرن العشرين بصورة جزئية على الأقل. حافظ الشيعة الذين شكلوا الحزب الشيوعي العراقي أو انضموا إليه على هوياتهم الشيعية، مع ادعاء الأعضاء الأبرز الولاء الأساسي للحزب. وتصنف الأصلية الإثنية نشاط الحزب الشيوعي العراقي باعتباره وسيلة لصرف الأنظار عن الطبيعة الأساسية للشيعية العربية العراقية. ومن ناحية أخرى، لا يوفر الحزب الشيوعي العراقي الذي يضم مختلف الأصول العِرقية والطوائف هوية تنظيمية مختلفة فحسب، بل يظهر رغبة شيعية في إيجاد دافع مشترك مع العراقيين غير العرب وغير الشيعة.[45]

بعد ثورة 1920 أو الانتفاضة، حدثت نقطة التحول الرئيسية الأخرى في هوية الشيعة حتى عام 1968 بعد انقلاب الضباط الأحرار عام 1958. حيث وصفت مار، 2012، صحوة الشيعة في العراق، بأن المجتهدين وغيرهم من زعماء الشيعة زادوا من معارضتهم على نحو سريع ضد القمع الذي مارسته الدولة في ظل دكتاتورية الرئيس العراقي السُنِّي عبد الكريم قاسم (Abd al-Karim Qasim). كتبت مار قائلة: "إن علمانية النظام الشديدة ودعمه للسياسات اليسارية سرعان ما أثارا رد فعل من جانب العناصر الشيعية المحافظة وأحدثت صحوة دينية في أوساط الشباب الشيعي".[46] وشكّل نشطاء المعارضة حزب الدعوة الشيعي الجنوبي بقيادة محمد باقر الصدر (Muhammad Baqr al-Sadr)، والد زوجة السياسي العراقي المعاصر وقائد الميليشيا العراقية مقتدى الصدر (Muqtada

---

[44] Visser, 2008a, p. 18.

[45] Ilario Salucci, *A People's History of Iraq: The Iraqi Communist Party, Workers' Movements, and the Left 1924–2004*, Chicago: Haymarket Books, 2003 (tr. 2005). تقدم وصفًا مفصلاً عن تطور الحزب الشيوعي العراقي وأنشطته.

[46] Marr, 2012, p. 103.

al-Sadr).[47] وقد رسخ تشكيل حزب الدعوة العديد من عناصر المعارضة الشيعية الطويلة الأمد فيما يمكن أن يكون قوة سياسية دائمة وطائفية في المقام الأول والتي من شأنها أن تنقسم في نهاية المطاف إلى العديد من الحركات السياسية الشيعية المتنافسة، ويشمل ذلك المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق. تزامنت ديناميكية التوحيد الطائفي هذه ظاهريًا مع الانقسامات الداخلية الشديدة والعنيفة أحيانًا في كل من المعسكرين السُنِّي والشيعي خلال عام 2015.

فهم الهوية العراقية من عام 1920 إلى عام 1968

تتسم روايتا الهوية الطائفية هاتان بالدقة بوجه عام، ويقدِّم الشعورُ المتبادل من انعدام الثقة المتولد من عام 1920 حتى عام 1968 جزءًا مهمًا من الإطار العام لاستعراض الانقسام السُنّي الشيعي الحالي. ومع ذلك، شكّل العديد من العوامل الأخرى ما يمكن أن يكون تحليلاً أدق للهوية العراقية في فترة ما قبل البعث. أولاً، شهدت هذه الفترة الحفاظ على مجموعة من الهويات المتنافسة أو نشأتها أو ظهورها. كانت القبلية تسبق الإسلام، وقد تضاءلت قليلاً بسبب التسوية وإضفاء الطابع المؤسسي والتوحيد العِرقي الطائفي.[48] واستمرت الإقليمية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقبلية أيضًا بوصفها هوية عراقية حيوية، حيث تميل القبائل إلى الوجود في كيانات شبه متجانسة على الأقل في معظم المناطق الريفية. كان معظم العراقيين يلحقون إما *نسبهم* القَبَلي أو الإقليمي أو اللقب بمسماه الغربي بأسمائهم الرسمية ولا يزالون يفعلون ذلك، وكلاهما يشير إلى وجود الهوية القبلية والإقليمية ويعززها.[49] وقد أثرت الهويات الأخرى المتنافسة أيضًا على عملية صنع القرار، ويشمل ذلك المناطق الحضرية مقارنة بالمناطق الريفية. وكان هذا مرتبطًا على نحو خاص بالنخب السُنِّية في بغداد الذين كانوا يرون أنفسهم أسمى من الفلاحين *السُنَّة* والشيعة على حد سواء، وكان مرتبطًا أيضًا بشيعة الجنوب الذين كانوا يصفون العراقيين المتمدنين على استياء منهم في أحد أوصافهم بطبقة *الأفندية* الذين

---

[47] انظر Patrick Cockburn, *Muqtada: Muqtada al-Sadr, the Shia Revival, and the Struggle for Iraq*, New York: Scribner, 2008; Tripp, 2007, and Marr, 2012، من بين آخرين.

[48] انظر Judith Yaphe, "Tribalism in Iraq, the Old and the New," *Middle East Policy*, Vol. 7, No. 3, 2000, pp. 51–58; and Nakash, 2003، من بين آخرين.

[49] انظر Beth Notzon and Gail Nesom, "The Arabic Naming System," *Science Editor*, Vol. 28, No. 1, 2005، للاطلاع على توضيح مُفصَّل عن طرق التسمية العربية.

كانوا يتبنون سلوكيات غربية مُريبة.[50] يقدم ياف (Yaphe) 2000، وخادم 2012، وناقش 1994، وفيسر 2008a، وأغلب المؤرخين الآخرين المُشار إليهم في هذا الفصل أدلة قوية تفيد بأن الهويات القبلية والإقليمية أثرت بقوة على صناعة القرار الفردي والسلوك الجماعي خلال ثورة 1920 وفي أوقات مختلفة حتى عام 1968.[51] ومع أنه من غير الممكن تقديم حجة تجريبية تُفيد أن النزعة القبلية أو الإقليمية قد طغت على الطائفية في أي مكان أو زمان بعينه، فإن الأدلة التجريبية التي تفيد بأن الهوية الطائفية قد طغت على الهوية القبلية أو الإقليمية في صنع القرارات الفردية ليست موجودة بالقدر ذاته. حسبما هو مشار إليه في القسم السابق، لقد برزت *الشيوعية* أيضًا في شكل هوية سياسية مهمة بدأت بحركة طلابية صغيرة في عام 1924 وبلغت ذروتها في أواخر خمسينيات القرن العشرين.[52] وقد أدى الشيوعيون وقادتهم السياسيون أدوارًا مهمة في الأحداث الرئيسية خلال القرن العشرين، وأظهر العراقيون الشيوعيون السُنَّة والشيعة من العرب والأكراد كيف أمكن للعراقيين الالتفاف حول هوية اجتماعية وسياسية بديلة.[53]

أصبحت الهوية الطائفية نقطة ارتكاز لقدر كبير من المنافسة بين الأقاليم، لكن القضايا العملية والاقتصادية مثل ملكية الأراضي والحصول على الخدمات مثّلت أيضًا عوامل دفع لصنع القرار خلال الفترة من 1920 إلى 1968. تسبب مسؤولو الحكومة المركزية في بغداد في حدوث سلسلة متتالية من الانتكاسات الاقتصادية لمواطني الجنوب، ونخص بالذكر الشيعة العراقيين، عندما أصدروا قانون تسوية الأراضي عام 1932[54] وقانون الإصلاح الزراعي لإعادة التوزيع عام 1958،[55] حيث أصبح قانون الإصلاح

[50] *أفندي* كلمة تصف وجهاء المثقفين والأثرياء في العديد من مجتمعات الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط. وفي هذه الحالة، ربما كان الشيعة يستخدمون هذا المصطلح لربط النخب السُنِّية المتحضرة بالعثمانيين. انظر، على سبيل المثال، Lukitz, 1995, p. 133.

[51] Visser, 2008a.

[52] انظر Dawisha, 2003; Salucci, 2003 (2005); F. Haddad, 2011; and Marr, 2012.

[53] John F. Devlin, "The Baath Party: Rise and Metamorphosis," *American Historical Review*, Vol. 96, No. 5, 1991, pp. 1396–1407; Salucci, 2003 (2005); F. Haddad, 2011; Marr, 2012. يصف حداد كيف استغل أتباع حركة الوحدة العربية العراقية علاقة الشيوعيين العراقيين مع شيوعيين حزب توده الإيراني لوصف المسافرين العراقيين بأنهم "من غير العرب". انظر F. Haddad, 2011, loc. 945, Kindle.

[54] "Lazma Law No. 51 of 1932," *Iraq Government Gazette*, No. 23, June 5, 1932, pp. 423–424.

[55] Government of Iraq, "Agrarian Reform Law of the Republic of Iraq," No. 30, Baghdad, Iraq, October 1958.

الزراعي لإعادة التوزيع أداةً للاستيلاء على الأراضي.[56] ومن المحتمل أن العرب الشيعة في جنوب العراق ممن يمتلكون أي حصة في الأراضي، كانوا يستندون في قراراتهم المستقبلية جزئيًا إلى هذه السياسة الاجتماعية والاقتصادية. في الواقع، كان *مالك الأرض* يتمتع بهوية عراقية قادرة على التعايش مع الشيعة أو الجنوبيين أو أي هويات أخرى، وقد يتصرف أي مالك للأراضي ضد المصالح السائدة للقادة الطائفيين في أي وقت. كما يتم غض الطرف عن فكرة أن يتصرف العراقيون ضد مصالح القادة الطائفيين بحكم الواقع أو بحكم القانون في الكثير من المعالجات الظاهرية للهوية العراقية. لكن النقاش ومار ودويشة وغيرهم من المؤرخين يظهرون أن هذه التحولات كانت شائعة.

أخيرًا وربما الأهم بالنسبة للتحليلات الحالية، سادت فترات من الوحدة الحقيقية على نطاق واسع بين الطوائف، وحدثت حالات لا حصر لها من التعاون بين الطوائف على المستوى الفردي، والكثير من حالات الانقسام بين الطوائف خلال الفترة موضوع البحث. كانت ثورة 1920 ضد الاحتلال البريطاني الحدث الأول والأبرز في التعاون. أشعل العراقيون الشيعة العرب الجنوبيون فتيل الثورة وشكلوا غالبية المقاتلين الذين حققوا نجاحًا ضد البريطانيين وصولاً إلى الحلة في أقصى ما أمكنهم الوصول إليه شمالاً، بينما كانت المعارضة السُنِّية مُجزّئةٌ بشكل أكبر. ومع ذلك، يصف كاظم 2012، ونقاش 1994 وآخرون كيف تعاون الشيعة والسُنَّة ضد البريطانيين في حركة قومية شاملة غير طائفية، وإن كانت غير رسمية أيضًا. على الرغم من أنه كان يوجد الكثير من النقاط السلبية اللاحقة للوحدة بين الطوائف، وخاصة بدءًا من منتصف أربعينيات القرن العشرين حتى منتصف خمسينياته، حيث رسّخ السُنَّة سيطرتهم على الدولة؛ كان حزب البعث العراقي، في نشأته، منظمة مؤلفة من جميع الطوائف في الأساس. كان حزب البعث يضم ثمانية أعضاء شيعة عراقيين بحد أدنى من المؤسسين البارزين، من بينهم فؤاد الركابي (Fu'ad al-Rikabi) وعلي صالح السعدي (Ali Salih al-Sa'adi). ساعدوا على تمكين الحزب وتحويله من مؤسسة ناشئة إلى نخبة حاكمة في أقل من عقدين فقط.[57] وكانت الانقسامات داخل الطوائف منتشرة خلال الفترة من عام 1920 إلى عام 1968. على سبيل المثال، توضح داويشا كيف أن تزوير الانتخابات وإقرار قانون التجنيد الإلزامي الشامل في عام 1934 دفع العديد من القادة السُنَّة البارزين إلى التفكير في الإطاحة بالحكومة؛ وكيف

---

[56] انظر، على سبيل المثال، Marr, 2012, p. 41.

[57] انظر Dawisha, 2009, p. 174؛ وMarr, 2012, pp. 114–115، من بين آخرين. غادر الركابي الحزب في عام 1963 (Dawisha, 2003, p. 224).

أن الانقلابات اللاحقة والانقلابات المضادة كشفت جميعها عن وجود انقسام عميق بين الطوائف.[58]

الطائفية في عهد البعث وغيرها من "المذاهب" الأخرى

حافظ البعثيون العراقيون على السيطرة المتواصلة على الدولة منذ انقلاب عام 1968 حتى غزو التحالف بقيادة الولايات المتحدة عام 2003، أولاً تحت القيادة المشتركة بين البكر وصدام معًا، ثم تحت قيادة صدام وحده من عام 1979 حتى 2003. كان التصور السائد عن الأيديولوجية البعثية في أربعينيات القرن الماضي في سوريا أنها وسيلة سامية لتحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية، وسرعان ما أضحت نزعة قومية مناهضة *للشعوبية* يشوبها التوجس.[59] تحولت البعثية في العراق تحولًا كاملًا بحلول عام 1968 إلى هوية قومية صارخة، وفاشية من الناحية العملية، وعلمانية.[60] أصبحت البعثية العراقية بحلول أوائل سبعينيات القرن العشرين أكثر من مجرد هوية تنظيمية استخدمها العراقيون السُنَّة العرب في تكريت في المقام الأول لتحقيق مركزية السلطة وتضييق الخناق على المقاومة والسيطرة على أجهزة الحكومة والسكان. ظل بعض الشيعة في عضوية حزب البعث، لا لشيء إلا لشغل بعض مناصب السلطة القائمة، وللعمل كرموز برلمانية ووزارية للشيعة الريفيين في الجنوب كتعويض جيد، أو لأن البديل عن عضوية الحزب كان الاستبعاد من جميع فرص الحكومات المجزية الأخرى. تباعدت البعثية العراقية كثيرًا عن البعثية السورية، التي جاء البعثيون العراقيون السُنَّة لربطها بشيعة إيران والتوسع الجيوسياسي الإيراني. لم تستمر العداوة بين البعثيين العرب السُنَّة العراقيين والشيعة الإيرانيين في الزيادة فحسب بل وصلت لأوجها في ظل نظام البكر-صدام، ثم انفجرت باندلاع حرب شاملة بعد استيلاء صدام على السلطة عام 1979. كان هذا الصراع الخارجي المستمر، المتجذر في الصراع الصفوي العثماني الذي استمر لقرون، سيواصل التأثير على العلاقات بين السُنَّة والشيعة العراقيين وفي تقوية الانقسامات الطائفية

[58] .Dawisha, 2009, loc. 671, Kindle

[59] كان مصطلح شعوبية مصطلحًا يستخدمه البعثيون، بمثابة فزاعة أو ربما البعبع، ممثلًا الشيعة أو غير البعثيين أو الفرس أو الغربيين أو أي شخص آخر لا يتفق مع الأيديولوجية البعثية. شعوبي هي نقل حرفي فضفاض للفرد المنتمي للشعوبية (مكية، 1989، الصفحات من 216 إلى 220).

[60] .Devlin, 1991; Marr, 2012; Tripp, 2007, pp. 183–228; Makiya, 1989 (1998), p. 16

داخل الدولة في الوقت ذاته. ومع ذلك، تُعد التفسيرات البديلة للسلوك ونظريات الهوية البديلة مرتبطة أيضًا بفهم الطائفية في ظل حكم البعثيين في الفترة الممتدة من عام 1920إلى عام 1968.

معارضة الشيعة وتمردهم

على الرغم من أن بعض العراقيين العرب الشيعة كانوا منضمين إلى حزب البعث أو خدموا في الجيش أو تجنبوا النشاط السياسي الطائفي، فإن ارتياب البعثيين السُنَّة وممارستهم للقمع كان سيدفع الشيعة في النهاية إلى التمرد. ففي الوقت الذي شن فيه البكر وصدام حملة على السُنَّة في الأنبار وأماكن أخرى، من أجل إحكام السيطرة على هيكل الحزب وإعادة فرق الضباط مثيرة القلاقل في السابق إلى الصف، واصلت النخبة السُنِّية النظر إلى الجنوب، وعلى نطاق أوسع إلى الشيعة، باعتبارهم تهديدًا مركزيًا للنظام. ويبدو أن إصدار مرسوم آخر واسع لإصلاح الأراضي في عام 1969 (بعد إصدار قوانين 1932 و1958) كان يهدف إلى تقويض الثقة داخل المجتمع الشيعي، كاشفًا النقاب عن البوادر التي يرى بعض المحللين أنها بمثابة أجندة بعثية مناهضة للجنوبيين والشيعة.[61] أدت ثورة 1979 الإيرانية إلى تسريع وتيرة الارتياب الشديد الذي انتاب البعثيين، خاصة عندما أطاح صدام حسين بالبكر وتولى سدة الحكم. فقد كان البكر أكثر اعتدالاً تجاه الشيعة من صدام.[62] أججت اعتقالات زعماء الشيعة البارزين وإقامة المحاكمات الصورية لهم وطردهم وإعدامهم المشاعر المعادية للحكومة (ومن ثم المعادية للبعثيين والسُنَّة). أدى قمع الاحتفالات الدينية الشيعية واستهداف القيادة الدينية الشيعية – وخاصة إلقاء القبض على محمد باقر الصدر وتعذيبه وقتله في عام 1980 – إلى إذكاء حدة المعارضة الشيعية، وترجيح كفة حزب الدعوة، وتهيئة الأجواء لحدوث تصدعات داخلية في نهاية المطاف بين حزب الدعوة والصدريين.[63]

---

[61] أشار أماتسيا بارام (Amatzia Baram) إلى أن هذا المرسوم أدى أيضًا إلى الاستيلاء على أجزاء كبيرة من بعض الأراضي السُنِّية. أدى هذا إلى ممارسة العنف ضد قبيلة الجبور (Amatzia Baram, "Neotribalism in Iraq: Saddam Hussein's Tribal Policies 1991–1996," *International Journal of Middle East Studies*, No. 29, 1997, pp. 1–31, pp. 4–6).

[62] Marr, 2012, pp. 177–178.

[63] Marr, 2012, pp. 170-175.

ترى داويشا أن صدام كان يعتبر حزب الدعوة "سبيلاً لتحقيق طموحات آية الله [الإيراني] في العراق [وبمثابة] خطر داهم على نظامه السياسي".[64] وقد حدا تفسير صدام لتلك المعطيات به إلى أن غزا إيران بدافع الخوف والعدائية الطائفية في المقام الأول، ومما حفزه على ذلك أيضًا مظاهرات الشيعة في الفترة من 1979 إلى 1980 وأعمال الشغب والاغتيالات التي طالت مسؤولين بعثيين. لكن أشار باحثون آخرون، مثل كارش 1990، وتريب 2007، إلى أن القومية والتنافس الجيوسياسي كانا أكثر بروزًا في اتخاذ صدام لقراره. وفق هذا التفسير، كانت الهوية القومية والحاجة العملية أو ربما الجشع تمثِّل الدوافع الرئيسية للسلوك العنيف وليس العداء الطائفي. ومهما كانت أسباب الغزو العراقي، فإن الحرب بين إيران والعراق في الفترة من عام 1980 إلى عام 1988 كانت ستساعد على ترسيخ الجوانب العملية للتنافس السُنِّي الشيعي وإقناع العديد من السياسيين والباحثين بأن الصراع الصفوي العثماني السُنِّي الشيعي الذي استمر لقرون لم يكن مستمرًا فحسب، بل كان في تزايد أيضًا.

كان لتأسيس فيلق بدر المناهض للبعثيين في أوائل ثمانينيات القرن العشرين عواقب بعيدة المدى على جميع العراقيين. خلال الفترة المتبقية من عهد البعثيين، كانت المناورات الجيوسياسية بين العراق وإيران تسودها نبرة طائفية قوية، كما أن الإجراءات الانتقامية المتبادلة التي نفذها الجانبان حتى بعد نهاية الحرب الإيرانية العراقية (بما في ذلك التسلل الخفي والعنف المباشر) تسببت في تأجيج المخاوف الطائفية. كان الشيعة يمثلون عملاء فارسيين في عقلية صدام شديدة الارتياب، بينما اعتبرت *المرجعية* الإيرانية أن العراقيين العرب السُنَّة البعثيين يجسدون العلمانية ومعاداة الشيعة والقومية العربية.[65] ألهبت هذه الحرب الخارجية المستمرة مع إيران المُضطرمة حينًا والهادئة حينًا آخر الهويات والمخاوف الطائفية وعززتها في المعسكرين السُنِّي والشيعي في العراق.

لم يتوان صدام وأتباعه من العرب السُنَّة البعثيين منذ عام 1980 حتى عام 2003 عن ممارسة أعمال العنف المعادية للشيعة والجهود الخفية بالقدر غير الكافي على الجانب الآخر للحفاظ على ما يسميه فنار حداد، 2011، "القومية الشيعية وبناؤها". تضمن هذا غالبًا تناول الهوية القبلية الشيعية التي تمثِّل جانبًا من جوانب الهوية العراقية العربية الجنوبية الذي غالبًا ما كان يتم تجاهله في التحليلات المعاصرة.[66] وخلال الحرب العراقية

---

[64] Dawisha, 2009, loc. 4147, Kindle.

[65] يشير مصطلح *المرجعية* إلى القيادة الدينية الإيرانية.

[66] يتعامل بارام، 1997، بدقة مع القبلية على أنها هوية منفصلة مرتبطة بجميع العراقيين العرب.

الإيرانية، بذل صدام جهدًا لإظهار تدينه، وزادت حكومته من التبرعات *للوقف* الشيعي لتشجيع التطوع الشيعي.[67] في الواقع، شارك الآلاف من الجنود العراقيين الشيعة العرب في الحرب ضد إيران، وذلك لأسباب منها أنهم جُندوا وهُددوا ولكن ربما من ناحية أخرى بسبب الحماسة القومية. بحلول منتصف تسعينيات القرن العشرين، اختفت هذه المشاعر الطائفية المصطنعة جزئيًا على المستوى الوطني تقريبًا. كانت الانتفاضة، التي انطلقت بقيادة فيلق بدر بعد حرب الخليج بدافع من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق في عام 1991، بمثابة ثورة طائفية شيعية ضد الدولة العربية السُنِّية البعثية عمومًا وفقًا لما أورده نقاش 1994، ومار 2012 وغيرهم من الباحثين.[68] وعلى الرغم من أن بعض الشيعة أيدوا الحكومة وامتنعوا عن المشاركة، إلا أن فشل الثورة والقمع الوحشي الذي أعقب ذلك قد عزّز الهوية العربية الشيعية الجنوبية ومعارضتها للدولة بشكل أكبر.[69] كتب مار قائلًا: "كانت العزلة عن النظام بين السكان الشيعة في الجنوب أكبر من أي وقت مضى منذ تأسيس الدولة".[70] بحلول منتصف تسعينيات القرن العشرين، كان البعثيون قد اختاروا القومية لتخدم مصالحهم، وجعلوها أمرًا صعب المنال للشيعة من غير البعثيين الشيعة المختارين. وعلى الرغم من مواصلة صدام محاولة إشراك الشيعة، مقدمًا القيم القبلية على القيم الطائفية أو القومية في المقام الأول، كشفت تصرفاته وسياساته نواياه الحقيقية.[71] في أعقاب الانتفاضة، بذل المجتهدة والسياسيون الشيعة جهودًا سريعة الخُطى ترمي إلى إعادة تشكيل القومية بحيث تصب في مصلحة العرب الشيعة الجنوبيين.

[67] يقدم مكية، 1989، وآخرون حججًا مقنعة بأن هذا التدين الظاهر حديثًا كان أداة عملية للقمع وتوطيد ركائز الدولة بدلاً من كونه انعكاسًا حقيقيًا للإيمان بالتعاليم الإسلامية السُنِّية أو التعاليم الإسلامية بشكل أوسع نطاقًا.

[68] كان هذا أيضًا تمردًا كرديًا وسُنِّيًا جزئيًا. وكانت جميع الانتفاضات المتنوعة في العراق معقدة، ومر معظمها بمسارات عِرقية وطائفية بطريقة أو بأخرى. ولأن هذه الدراسة تتناول الصراع العربي السُنِّي الشيعي، فإن هذا الفصل لا يتطرق صراحة إلى المشاركة الكردية في الأحداث المتنوعة.

[69] Baram, 1997, pp. 8–9.

[70] Marr, 2012, p. 232.

[71] انظر على سبيل المثال، Baram, 1997, p. 20.

الهويات السُنِّية والقبلية والعسكرية داخل الدولة البعثية

أحكمت النُخب السُنِّية في بغداد وتكريت، خلال فترة حكم حزب البعث، قبضتها الشاملة على الدولة سالكة دروب الوحشية والترهيب والتعذيب وإجراءات الدولة الأمنية المتغلغلة.[72] وعلى الرغم من معاناة الشيعة والأكراد بشكل أكثر مباشرة في ظل حكم صدام، كانت علاقة السلطات البعثية المركزية مع السكان العرب السُنَّة في الغرب والشمال الغربي معقدة. فقد كان صدام وقيادته العليا يرون أن الفلاحين السُنَّة وزعماء القبائل والطبقة المتوسطة الدنيا في المنطقة الوسطى ومنطقة الشمال الأوسط يمثلون تهديدًا على الدولة. يوضح بارام وآخرون أن جهود البكر وصدام كان الهدف منها استئصال شأفة الهوية القبلية في جميع أنحاء العراق أو إضعافها على الأقل. لقد فشلت هذه الجهود عمومًا، واستبدلت بتسخير صدام القيادة القبلية واستفادته من القانون والهوية القبليين لتحقيق غاياته.[73] كان الضباط العسكريون السُنَّة، ومعظمهم من ذوي الانتماء البعثي، أيضًا يشكلون مصدر قلق دائم على النظام. فعلى الرغم من إحكام البعثيين سيطرتهم على العسكريين واستمالتهم، فإن الجهود التي بذلها العرب السُنَّة لفترة طويلة للاستفادة من العسكريين ليكونوا قوة قومية ولدت أيضًا اعتزازًا كبيرًا بالخدمة العسكرية. ظل *الضابط العسكري* يتمتع بالهوية العراقية في حد ذاته، وكانت تلك الهوية منبع خوف لصدام وكبار البعثيين من غير العسكريين.[74] امتزجت هذه الهوية أيضًا مع الصوفية النقشبندية، وهو أمر أو ممارسة تجاوزت حدود الهوية الدينية وأصبحت

---

[72] انظر Makiya, 1989 (1998); Tripp, 2007; Marr, 2012; Dawisha, "'Identity' and Political Survival in Saddam's Iraq," *Middle East Journal*, Vol. 53, No. 4, 1999; and F. Haddad, 2011. من بين آخرين.

[73] Keiko Sakai, "Tribalization as a Tool of State Control in Iraq: Observations on the Army, the Cabinets and the National Assembly," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 109–135; Hosham Dawood, "The 'State-ization' of the Tribe and the Tribalization of the State: The Case of Iraq," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 83–108; and Faleh A. Jabar, "Sheikhs and Ideologues: Deconstruction and Reconstruction of Tribes Under Patrimonial Totalitarianism in Iraq, 1968–1998," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 53–81, provide the best description of this effort and its outcome. انظر أيضًا Baram, 1997, p. 3.

[74] Jabar, 2003, pp. 80–81.

مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمشاعر المضادة للنظام في الفترة ما بعد عام 2003.[75] بعد سقوط صدام، كان لهذا المزيج من الهوية البعثية والقومية والأنبارية النينوية والقبلية والصوفية أن يحظى بأهمية كبيرة كتلك الأهمية التي حظيت بها الهويات القومية والقبلية والإقليمية الجنوبية الشيعية.

كان العرب السُنَّة في المناطق الغربية المتمثلة في محافظة الأنبار التي تُمثِّل مصدر التجنيد الأساسي للجيش العربي السُنِّي، ليسوا على وفاق تام مع السيطرة المركزية على مدار تاريخهم. وكان صدام متقلبًا بالقدر ذاته في معاملته للسُنَّة من قاطني المناطق الطرفية، مما حدا بخروج بعض الأنبارين في عام 1995 في ثورة كبيرة ضد الدولة.[76] وقد انتشرت الحركة التي بدأت صغيرة بسرعة لتشمل العرب السُنَّة من كل من اتحادي الدليمي والشمر القبليين وأفراد الجيش العراقي.[77] وقد التف العرب السُنَّة في الأنبار، الذين يدعمون صدامًا من حيث المبدأ، حول الهوية القبلية وتفسيرهم الخاص للهوية القومية. وقد شكّل الأنباريون السُنَّة حركة أبناء قبيلة الدليمي المسلحة، في إيذان بسلسلة من الحركات التي يقودها الأنباريون في فترة ما بعد عام 2003. وقد مُنيت هذه الثورة بهزيمة منكرة على الرغم من الدعم الذي حصلت عليه من وحدة جيش الحرس الجمهوري المتمردة.[78] وفي أعقاب الثورة، زاد صدام من جهوده لاستيعاب الهوية القبلية، من خلال إعادة تنظيم القيادة القبلية في إطار المجلس الأعلى لرؤساء القبائل الجديد (1996). وقد أدى هذا إلى نشأة ما يشير إليه المسؤولون الأمريكيون غالبًا في فترة ما بعد عام 2003 "بالشيوخ المزيفين" الذين أُطلق عليهم هذا الوصف لأنهم ادعوا سلطة أو سؤددًا لا يملكانه. وعلى الرغم من إضعاف الهوية القبلية واستمالتها في الوقت ذاته

[75] Michael Knights, “The JRTN Movement and Iraq’s Next Insurgency,” West Point, N.Y.: Combating Terrorism Center, 2011; Quil Lawrence, “U.S. Sees New Threat in Iraq from Sufi Sect,” National Public Radio, June 17, 2009.

[76] Baram, 1997, p. 6; David Wurmser, *Tyranny’s Ally: America’s Failure to Defeat Saddam Hussein*, Washington, D.C.: American Enterprise Institute Press, 1999.

[77] محافظة الأنبار كانت تُسمى محافظة الدليم في السابق، وهذا الاسم كان يطلق عليها حسب التوزيع الجغرافي المركزي للاتحاد القبلي ذي الصلة مجازًا. يعيش الكثير من أفراد قبيلة شمر أيضًا في الأنبار، ويرتبط الكثير من أفراد قبيلة الدليم ارتباطًا وثيقًا بقبيلة شمر في أجزاء أخرى من العراق وفي جميع أنحاء المنطقة.

[78] يقدم وارمزر (Wurmser)، 1999 أحد أفضل أوصاف هذه الثورة. وتعتبر الاستشهادات الواردة لدى بارام، 1997، أكثر شمولية، على الرغم من أن جميع مراجع هذه الانتفاضة تقريبًا مأخوذة من مصادر ثانوية وليست من مصادر أساسية.

خلال حكم حزب البعث، واصلت الهوية القبلية إضعاف الطائفية حينًا أو تعزيزها حينًا آخر مع اندماج الهويات وتحولها في أعقاب غزو عام 2003.

الطائفية بعد حزب البعث

كما هو الحال لفترة ما قبل عام 2003، توجد طريقتان لاستعراض الطائفية بعد عام 2003. يُصور أحد التفسيرات الطائفية الجلية صورة فظيعة لتفكك سريع وربما لا يمكن إصلاحه على صعيد المجتمع والدولة تحفزه وتزكيه الانقسامات الدينية طويلة الأمد بين العرب السُنَّة والشيعة. يتسم الكثير من عناصر هذا التفسير بالدقة، وفي فوضى فترة الاحتلال، أدت الهوية الطائفية بأشكالها المتنوعة دورًا مهمًا وكبيرًا في تشكيل السلوك الفردي والجماعي في الكثير من الحالات. ومع ذلك، ينقسم العراقيون العرب، بالنسبة للجزء الأكبر، على أسس طائفية لأن الطائفية توفر "المستوى" الأكثر ملاءمة وفائدة للهوية؛ وكانت هذه أيضًا حربًا أهلية إقليمية بين الغرب والشمال الغربي من جانب والوسط والجنوب الشرقي من جانب آخر على أرض الواقع. وأصبحت الطائفية المتحالفة إقليميًا وسيلة تنظيمية للدفاع الجماعي عن النفس.

وصف فنار حداد كيف يمكن أن تتحول الهوية الطائفية من الابتذال والسلبية إلى شكل مهيمن وعدائي.[79] ذكر توبي دودج، 2012، أن هذا هو بالضبط ما حدث في أعقاب الغزو. يمزج التحليل البديل الهويات المختلفة معًا، ويشمل ذلك الطائفة والقبيلة والمنطقة والجماعة المتمردة والحزب السياسي ومالك الأرض والضابط العسكري وربما، الأهم من ذلك، القوميين العراقيين. توفر هذه النظرة التحليلية أملاً أكبر لمستقبل العراق، لكن ربما توجد حجة مكافئة في الدرجة أو أكبر تشير إلى أن ترسيخ الهوية الطائفية في فترة ما بعد البعث واستغلال الهوية الطائفية لتبرير العنف الشديد دفع العرب المسلمين العراقيين إلى تجاوز نقطة المصالحة الوطنية.

تقدم لمحة عن الديناميكيات الطائفية الشاملة بعد عام 2003 صورة صارخة لحاضر العراق ومستقبله. أدى تفعيل الحرية العراقية بالكامل، وفي أغلب الاحتمالات بشكل دائم، إلى قلب موازين القوى التي استمرت قرونًا في المجتمع العربي العراقي. كانت النخبة السُنِّية، التي حظيت بتوجيه ورعاية وتمكين العثمانيين والبريطانيين، تحظى بالسيطرة الجزئية أو الشاملة تقريبًا على سلطة الدولة حتى عام 2003. لم يألف

---

[79] F. Haddad, 2011, p. 25.

ضباط الجيش والفلاحون والعمال الحضريون وشيوخ القبائل ومديرو الأعمال من السُنَّة السيطرةَ غير المباشرة والاسمية على الدولة فحسب، وإنما ألفوا معظم الامتيازات والمزايا التي تكفلها السلطة والسيطرة. لا يمكن المبالغة في تقدير تأثير تشكيل هذا التطلع الثقافي: لا يؤمن معظم السُنَّة إيمانًا عميقًا بأنهم مفضلون للسيطرة على العراق فحسب وإنما يؤمنون أيضًا (كما هو موضح في الجزء الأول من هذا الفصل) بأن أعدادهم تتجاوز بكثير التقديرات الأكثر احتمالاً للسكان العرب السُنَّة الفعلية. لقد كان خروج السُنَّة من السلطة سريعًا وصادمًا، وحسبما يصف هذا الفصل، غير مقبول البتة لقوم ألفوا الوضع الراهن.[80] وعلى الجانب الآخر، ربما لم يكن لدى الشيعة، الذين تشكلت معارضتهم التبعية على مدار حوالي 200 عام ومن خلال سرديات المظلومية الدينية والتاريخية ومن خلال ما لاقوه من قمع عنيف من حزب البعث ليس بالبعيد، أمل في النصر. وعلى الرغم من سعي بعض حكماء الشيعة، مثل آية الله العظمى علي السيستاني، إلى تحقيق سلام دائم وحتى المصالحة، فإن بعض الشيعة الذين تولوا السيطرة على الدولة ورد أنهم تبنوا أساليب تكتيكية وحشية أخذوها عن البعثيين السُنَّة - تشمل التطهير الطائفي والتعذيب والقتل - للحفاظ على السيطرة على الدولة. وتسبب ذلك في جنوح السُنَّة غير المنظمين فيما يبدو إلى المعارضة الدائمة للدولة التي كانوا يسيطرون عليها في السابق.

إعادة تنظيم السُنَّة في المعارضة

ساق فنار حداد تفسيرًا دقيقًا ومعقولاً ومنطقيًا لرد فعل العرب السُنَّة العراقيين على صدمة النظام للغزو في كتابه الصادر عام 2011 *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity* ومقاله الصادر بتاريخ 2014 "Reinventing Sunni Identity in Iraq After 2003". وقد أشار إلى أنه قبل عام 2003، لم تكن هناك هوية عربية سُنِّية عراقية يمكن الحديث عنها، على الأقل ليس من الناحية الطائفية الدينية. كان مصطلح سُنِّي أحد الأوصاف الكثيرة التي ربما يستخدمها العراقي العربي في تحديد هويته الذاتية، وليس هوية متجذرة قائمة على المعتقد. لقد كانت الهوية السُنِّية العراقية مكبلة بالقومية والوحدة العربية والقبلية والبعثية أو معزولة عنها أو مستغلة منها بشكل شامل لدرجة أنه لم يكن لها معنى موضوعي مميز. نظرًا لسيطرة السُنَّة على الدولة لفترة طويلة، لم يتعرضوا للضغط مطلقًا لإقامة تنظيم جماعي فعّال

[80] انظر على سبيل المثال، Fanar Haddad, “Reinventing Sunni Identity in Iraq After 2003,” *Current Trends in Islamist Ideology*, Vol. 17, 2014, pp. 70–101, p. 81.

للحفاظ على الذات أو المعارضة.[81] بعد الغزو وحَلِّ كلٍّ من الحكومة والأجهزة الأمنية اللذين يسيطر عليهما السُنَّة، تحول جميع العراقيين العرب الذين كانوا من السُنَّة أيضًا إلى موضع الأقلية قاصرة اليد وهو وضع غير مألوف وغير مريح لهم.[82]

عاد الكثير من العراقيين العرب السُنَّة على الفور إلى الهوية القبلية في المناطق الريفية التي تشمل محافظات الأنبار ونينوى وصلاح الدين ذات الأغلبية السُنِّية.[83] كانت الهوية القبلية ملائمة بشكل خاص للتنظيم الذاتي المحلي والدفاع عن النفس لأنها كانت متاحة فعليًا ولأن القبائل حصلت في الفترة من منتصف تسعينيات القرن العشرين إلى أواخره على أسلحة كبيرة – بما في ذلك المدفعية – من النظام ومن الأنشطة غير القانونية.[84] ولكن عندما أصبح جليًا أن الشيعة يسيطرون على مقاليد الدولة، أضحى من الضروري تنظيم الصف بشكل يتجاوز المستوى القبلي. لقد فشل السُنَّة دومًا في الالتفاف حول حركة سياسية متماسكة ولو بدرجة طفيفة وممثلة على نطاق واسع نظرًا للإعلان عن تفكيك حزب البعث الذي يهيمن عليه السُنَّة وحظره، ولأن السُنَّة لم يكن لهم مشاركة حقيقية أو واسعة النطاق في التنظيم السياسي. يميل رموز السلطة الذين يتمتعون بقوة الإرغام الحقيقية والجذب الشعبي من بين بعض عناصر النظام السُنِّي إلى أن يكونوا من البعثيين رفيعي المستوى والمستبعدين بحكم القانون من المشهد السياسي بعد إصدار أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم 1.[85] يوضح دودج، 2012، فشل الحزب الإسلامي العراقي وجبهة الوفاق العراقي في تحقيق أي دعم شعبي حقيقي، حتى لو أخذنا بعين الاعتبار النجاحات السياسية المختلفة. في ظل غياب التنظيم السياسي، وفي مواجهة زيادة الاستياء السياسي والعنف

---

[81] F. Haddad, 2014, p. 74. الهويات القبلية والإقليمية تحل محل الهوية السُنِّية الطائفية في عهد البعثيين. انظر على سبيل المثال، Baram, 1997.

[82] يصف دودج، 2012، هذه العملية بتفاصيل واضحة ومقنعة.

[83] انظر على سبيل المثال، Gary W. Montgomery and Timothy S. McWilliams, eds., *Al-Anbar Awakening Volume II: Iraqi Perspectives from Insurgency to Counterinsurgency in Iraq, 2004–2009*, Quantico, Va.: Marine Corps University Press, 2009.

[84] وصف كل من بارام 1997 ودودج 2012 كيف أن ديناميكيات منتصف وأواخر تسعينيات القرن العشرين بين النظام وشيوخ القبائل أدت إلى انتشار الأسلحة وحيازتها.

[85] الأمر رقم 1 الصادر عن "سلطة الائتلاف المؤقتة: اجتثاث حزب البعث من المجتمع العراقي"، بغداد، العراق، 2003.

الاجتماعي، باتت الهوية العربية العراقية السُنِّية تقوى تدريجيًا ثم تطورت من عام 2003 حتى عام 2015.

استغرق الأمر عدة سنوات حتى يصدق على السُنَّة هذا التعريف. في البداية، كان الممثلون الوطنيون مترددين في تحديد أي قضية من الناحية الطائفية.[86] يعزى ذلك جزئيًا على الأقل إلى الجهود الحثيثة التي يعود تاريخها إلى العثمانيين، والحصري والبعثيين لاحقًا، لإزالة كلمة الطائفية من المعجم الوطني للعراق؛ وكان يُنظر إلى الإقرار بالطائفية عمومًا على أنه يعود بالفائدة على الشيعة والفارسية وليس السرديات القومية السُنِّية.[87] بدأ الكثير من السُنَّة مع مرور الوقت، وخاصة أولئك السُنَّة الذين نصَّبوا أنفسهم أو تم تعيينهم ممثلين سياسيين، في تبني سردية الشيعة للمظلومية قبل عام 2003. لقد عكسوا تقريبًا، وإن لم يكن عن غير قصد، الأدوار مع الشيعة الذين قمعتهم النخبة السُنِّية البعثية ذات يوم.[88] ومن الأمور التي ساهمت في تعزيز الشعور بالعزلة والمظلومية الجهات الفاعلة الخارجية (سيأتي ذكر المزيد حول ذلك لاحقًا)، والفشل المتواصل للنخب السياسية السُنِّية، وزيادة الارتياب والقمع من الحكومة ذات القيادة الشيعية التي سنَّت سياسات ودعمت إجراءات، تشبه السياسات البعثية في الحقبة السابقة، والتي هي موضوعة خصيصًا لإثارة معارضة عنيفة.

بالرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة للحد من الطائفية، ترسّخ لدى الكثير من السُنَّة أنهم حُرموا من امتيازات الدولة بالكامل بنهاية الاحتلال الذي قادته الولايات المتحدة في كانون الأول (ديسمبر) 2011.[89] أثبتت نتائج الانتخابات البرلمانية التي أُجريت عام 2010، والتي مكنت الشيعة من السيطرة على الحكومة بشكل فعال، أنها القشة الأخيرة للسُنَّة الذين بدؤوا بعد سبع سنوات من التنظيم الذاتي غير الفعّال والتمرد في التكتل على المستوى

---

86 F. Haddad, 2014, pp. 81–82.

87 F. Haddad, 2014, p. 97، من بين آخرين.

88 F. Haddad, 2014, p. 82.

89 Priyanka Boghani, “In Their Own Words: Sunnis on Their Treatment in Maliki’s Iraq,” Public Broadcasting Service, October 28, 2014; Kurt Sowell, “Iraq’s Second Sunni Insurgency,” Hudson Institute, 2014.

الشعبي حول سلسلة من المظالم المبررة في الغالب.[90] تم تفكيك الجيش العراقي، الذي امتنع، بحسب دودج (Dodge)، عن المشاركة في النزاع المدني الطائفي في عام 2006، وأُعيد تعبئته بضباط شيعة موالين ولكن غير مؤهلين عمومًا. فقد شهد الجيش، الذي كان، لفترة طويلة، معقلاً وفخرًا للسلطة السُنِّية، تحولاً ليصبح رمزًا للقمع المعادي للسُنَّة. كانت المعارضة قوية على نحو خاص في محافظة الأنبار التي تبلغ نسبة السُنَّة فيها 99 بالمئة، والتي تلقت القليل نسبيًا من الأُعطيات الممولة من النفط والموزعة في بغداد والجنوب والمناطق الكردية والتي عانت بشكل كبير خلال تمرد 2008–2003.

بدأ العراقيون العرب السُنَّة في محافظات الأنبار وكركوك ونينوى، بدءًا من عام 2012، سلسلة طويلة من الاحتجاجات الاجتماعية والسياسية ضد نظام بغداد بقيادة رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي. وصلت هذه الاحتجاجات ذروتها باشتباكات عنيفة في مدينة الحويجة في أوائل عام 2013، ثم قمع عدواني للمتظاهرين في الرمادي في أواخر عام 2013.[91] اندلعت في محافظة الأنبار أوائل عام 2014 ثورة كاملة، واستولى تنظيم الدولة الإسلامية على الفلوجة وأجزاء أخرى من الأنبار. وبحلول الصيف، خضعت الموصل لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، وانهار الجيش العراقي كله تقريبًا في الغرب والشمال الغربي. واعتبارًا من عام 2015 تم استبعاد السياسيين السُنَّة أو أصبحوا مُهمشين عمومًا في عملية صنع القرار في الدولة. واصل السُنَّة التعبير عن مظلوميتهم على أيدي الدولة الشيعية، والآن على أيدي ميليشيات شيعية تكتسب المزيد من الثقة بمرور الوقت. ورفضوا في الوقت ذاته الرضوخ لوضعهم باعتبارهم أقلية. ومع ذلك، كشفت بيانات وسائل التواصل الاجتماعي في محافظة الأنبار في عامي 2013 و2014 عن غياب شبه كامل للدعاية الطائفية. وبالمقابل، كان السُنَّة في الأنبار يصيغون أطر تمردهم ضد الدولة من الناحية التاريخية والقومية، مستحضرين صور صدّام ومحافظين على

---

[90] انظر Ben Connable, “A Long Term Strategy for a Democratic Iraq,” *War on the Rocks*, June 30, 2014، للحصول على قائمة بهذه المظالم.

[91] انظر على سبيل المثال، Tim Arango, ’Dozens Killed in Battles Across Iraq as Sunnis Escalate Protests Against Government,“ *New York Times*, April 23, 2013; and Kamal Namaa, ’Fighting Erupts as Iraq Police Break up Sunni Protest Camp,“ Reuters, December 30, 2013.

مطالبهم ببغداد.[92] قد تظهر الهوية السُنِّية في العراق ولكنها ظلت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالهويتين القومية والإقليمية، على الأقل اعتبارًا من منتصف عام 2015.

نضال الشيعة من أجل تحديد هوية ذات أغلبية متماسكة وشاملة

كان العراقيون العرب الشيعة في الجنوب، والذين ربما يشكلون أغلبية كبيرة من السكان قبيل الغزو الذي قادته الولايات المتحدة في عام 2003، الأكثر استعدادًا للمساعدة في استبعاد البعثيين من السلطة. تختلف القومية الشيعية، في تفسير فنار حداد، تمامًا عن التعبير البعثي السُنِّي للهوية القومية.[93] عندما دمَّرت الإجراءات العسكرية الدولة العراقية، قدمت القومية الشيعية قائمة نظيفة تقريبًا يمكن للشيعة، الذين فوضتهم سلطة الائتلاف المؤقتة مبدئيًا، من خلالها أن يبدؤوا في عكس سوء حظهم الدائم والسيطرة على الدولة كأغلبية حقيقية (وإن لم تثبت على أرض الواقع). كان للشيعة بالفعل هوية طائفية قوية، على عكس السُنَّة، يمكنهم الالتفاف حولها والاستفادة منها في تولي مقاليد الحكومة والأجهزة الأمنية. أدَّى الضغط المستمر من الدولة ذات القيادة السُنِّية، الذي استمر ما يقرب من قرنين، إلى التحام كل من *الحوزة* والحركات السياسية الشيعية، مما أدى إلى ارتباط الطائفية الشديد بالهوية السياسية والإقليمية و(تفسيرهم) للهوية القومية. وللأسف، توجد ثلاثة عوامل قد تعيق، وأحيانًا قد تشل، ما قد يكون تصحيحًا ناجحًا وانتصارًا للتوازن الطائفي في العراق.

أولاً، لقد تعرض الشيعة للقمع بعنف وقسوة لمدة طويلة جدًا لدرجة أنه ترسَّخ لديهم كراهية النخبة السُنِّية البعثية وانعدام الثقة المبرر فيها.[94] تمكَّن بعض الشيعة من تجزئة هذه المشاعر والسماح بفكرة قيام دولة عِرقية طائفية موحَّدة، ومواصلة التفاعلات واسعة النطاق على مستوى القواعد الشعبية والشيوعية مع العرب السُنَّة

---

[92] تم التوصل لهذه النتيجة المستخلصة من تحليل منظم لشهور محددة من بيانات على تويتر (Twitter) من محافظة الأنبار والتي نُشِرت عبر الإنترنت في الفترة من كانون الأول (ديسمبر) 2013 إلى آب (أغسطس) 2014.

[93] F. Haddad, 2011; V. Nasr, 2007.

[94] Marr, 2012, p. 300.

والأكراد وغيرهم من العراقيين.[95] ومع ذلك، رأى عدد كبير من النخب الشيعية انعكاس عام 2003 فرصة لتوحيد الشيعة وتحقيق المنفعة لهم على حساب السُنَّة. في المقابل، حقق الكثير من العرب السُنَّة مآرب أكثرِ زعماء الشيعة عدوانية وارتيابًا من خلال تبني خطاب معادٍ للشيعة والمشاركة في أعمال عنف بين الطوائف.[96] ظهرت بعض الحالات الأولى للتطهير الطائفي على أيدي اللاجئين العرب السُنَّة من الفلوجة عام 2004 أثناء فرارهم إلى غرب بغداد وشروعهم في مهاجمة السكان الشيعة. وهذا أعطى زعماء الشيعة ذريعة للقمع في البداية، ثم كبح السُنَّة وحرمانهم من مزاياهم.

ثانيًا، كانت خبرة الشيعة في الحكم قليلة أو معدومة. على الرغم من أن الكثير من الشيعة كانوا منضمين إلى حزب البعث وتقلدوا مناصب عليا في الحكومة والجيش، تم استبعاد هؤلاء الشيعة عمومًا من المشهد السياسي في الفترة ما بعد عام 2003. لم تكن النخبة الشيعية الناشئة تضم سوى عدد قليل جدًا من السياسيين الشيعة الذين يتمتعون بالخبرة في المناصب القيادية أو الإدارية العليا. ولذلك، اتسم العقد الأول من الحكم الذي يهيمن عليه الشيعة بالفوضى وانعدام الكفاءة والفساد. مما جعل للمحسوبية السياسية أهمية أكبر من الحكم. أدَّى هذا النقص العام في الكفاءة وانتشار المحسوبية للطبقة السياسية الشيعية المنقسمة كليًا إلى تعزيز تصورات العرب السُنَّة بأن العرب الشيعة كانوا غير قادرين على قيادة الدولة العراقية. وهذا بدوره عزز الأجندة القومية العربية السُنِّية الدائمة المناهضة للحكومة.

ثالثًا، على الرغم من التماسك الأكبر نسبيًا للهوية العربية الشيعية مقارنة بالهوية العربية السُنِّية، كانت معاناة الشيعة من التصدع الشديد مستمرة، وبقوا كذلك في منتصف عام 2015.[97] بدأت الانقسامات القديمة بين كل من حزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والصدريين تظهر نتائجها الكاملة في أعقاب الغزو. تمكَّن مقتدى الصدر من تمثيل جانب من هوية الشيعة يتركز في النجف وكربلاء في حالة الصدر، والاستفادة مما وصفه فيسر 2008a، ونقاش 1994، على نحو مناسب على أنه نوع

---

[95] قُدم دليل قولي على هذه العلاقات الطائفية الأخيرة إلى أحد مؤلفي هذه الدراسة خلال مقابلات بحثية متعددة لمشروع مستمر لمؤسسة RAND بين عامي 2013 و2015. قاتلت الميليشيات السُنِّية أيضًا إلى جانب الميليشيات الشيعية والجيش العراقي الذي يهيمن عليه الشيعة في محافظة الأنبار في عام 2015.

[96] F. Haddad, 2013.

[97] انظر Marr, 2012, pp. 308–310، وغيره.

من النزعة الإقليمية الشيعية.[98] استفاد المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي تحول اسمه إلى المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، من فيلق بدر للحصول على السلطة والحفاظ عليها حتى عام 2010. يرى كل من الشيعة والسُنَّة أن المجلس الأعلى الإسلامي العراقي وفيلق بدر امتداد مقنع خفي للهوية والنفوذ الإيرانيين في العراق، مما أدى إلى خروج بعض الطوائف العربية الشيعية المتشددة من هذا المشهد. علاوة على ذلك، ترتكز قاعدة دعم المجلس الأعلى الإسلامي العراقي في البصرة؛ ويغلب على البصريين الطابع الفيدرالي وليس القومي، وتصبغ هذه الهوية الإقليمية السياسات الطائفية والسياسية التي ينتهجها المجلس الأعلى الإسلامي العراقي.[99] صاغ المجلس الأعلى الإسلامي العراقي وحزب الدعوة الإسلامية جبهة سياسية شبه موحدة لقيادة العراق في عهد رئيس الوزراء المالكي، والآن تحت قيادة حيدر العبادي. لكن حزب الدعوة الإسلامية ألقى بظلاله على المجلس الأعلى الإسلامي العراقي منذ انتخابات 2010. لا يكشف هذا التدهور داخل الطائفية عن تصدعات في الهوية السياسية الشيعية فحسب، بل يكشف أيضًا عن سرديات الهوية الإقليمية والخارجية الأساسية التي تؤثر على سلوك العراقيين العرب الشيعة.

انتُخِبَ المالكي، وهو شيعي عربي من منطقة قريبة من كربلاء بالعراق، بدعم من الولايات المتحدة في عام 2006 واستمر في السيطرة على الدولة حتى منتصف عام 2014. بذل المالكي، في السنوات القليلة الأولى التي أمضاها في منصبه، عددًا من الجهود العلنية والمضنية للتخلص من المخاوف السُنِّية وكبح جماح الصدر والشيعة الآخرين الذين اعتبرهم ساخطين خطرين. ربما ساهمت تصريحاته الأولية التي ألقاها وهو في منصبه عامي 2006 و2007 في التأثير على الكثير من السُنَّة لإتاحة فرصة لحركة الصحوة التي ساعدت على كبح جماح التمرد السُنِّي الذي تهيمن عليه القاعدة في العراق.[100] أقرت حكومة المالكي، في عام 2008، قانون سلطة الائتلاف المؤقتة، التي منحت بعض السلطة لحكومات المقاطعات؛ وكان هذا جهدًا واضحًا لمعالجة شكاوى السُنَّة وللمساعدة على توجيه بعض النشاطات السياسية الشيعية الإقليمية المستمرة في الجنوب.[101] أطلق المالكي "عملية صولة الفرسان" في البصرة عام 2008 لكبح جماح الصدر، وربما كهدف ثانوي، لإظهار عزم المالكي على تشكيل دولة موحدة عِرقية طائفية.[102] ومع ذلك، أوضح

[98] انظر V. Nasr, 2007؛ وCockburn, 2008؛ وMarr, 2012؛ وDodge, 2012.

[99] انظر على سبيل المثال، Visser, 2008a.

[100] انظر، على سبيل المثال، Montgomery and McWilliams, 2009.

[101] انظر Marr, 2012, p. 322، وغيره.

[102] انظر Marr, 2012, pp. 322-323، وغيره.

المالكي سياساته بعبارات طائفية متزايدة بالتزامن مع بدء توتر العلاقات مع الولايات المتحدة بعد عام 2008 حيث قوض الميليشيات السُنِّية بعد الصحوة بشكل مباشر، وهاجمها في بعض الحالات، متراجعًا بذلك عن النوايا الحسنة للمواءمة بين الطوائف التي أبداها في الفترة من منتصف عام 2006 وحتى عام 2008. تسارعت وتيرة اغتراب السُنَّة بعد انسحاب الولايات المتحدة في كانون الأول (ديسمبر) 2011، وترسخ لدى كل من النخبة والقاعدة الشعبية السُنِّية من العراقيين العرب أن المالكي ليس فقط زعيمًا معاديًا للسُنَّة بقوة، ولكنه أيضًا أداة للأنشطة الإيرانية المناهضة للعرب والسُنَّة.

أثبتت الدولة ذات القيادة الشيعية، اعتبارًا من منتصف عام 2015، عجزها عن إتاحة فرص المصالحة الحقيقية للسُنَّة.[103] لقد تبددت الآمال المعقودة على أن يتمكن رئيس الوزراء الجديد العبادي من عكس سياسات المالكي الطائفية إلى حد كبير لأن العبادي كان مدينًا بالفضل بدرجة أكبر للزعماء الإيرانيين الذين اتضح أنهم كانوا سعداء بالسماح للسُنَّة العرب العراقيين بالاستمرار في تمردهم.[104] واستمرت هوية الشيعة في تأدية دور مركزي وضامن للعرب الشيعة في بغداد وفي أرجاء الجنوب والجنوب الشرقي، لكنها تطورت أيضًا إلى هوية للهيمنة السياسية والاجتماعية التي تظهر بشكل متزايد على أنها تتعارض مع الهوية العراقية العربية السُنِّية. لم يؤدِّ ظهور الميليشيات الشيعية لمواجهة تنظيم الدولة الإسلاميَّة إلى تغيير الهوية الشيعية العربية العراقية فحسب، ولكنه دفع أيضًا إلى تكوين مليشيات مناهضة للسُنَّة. ومن الأمور التي ظلت غير واضحة: إلى أي درجة سيكون العراقيون العرب المقيمون في وسط العراق وجنوبه وشرقه، ومعظمهم من الشيعة، متقبلين للمصالحة الوطنية بمرور الوقت.

التأثير الخارجي: تأثير الولايات المتحدة وإيران ودول الخليج على الهوية العراقية

عند العودة إلى الماضي، من الصعب ألا نرى تدخل الولايات المتحدة في سياسات الهوية العراقية لما بعد عام 2003 سوى أنه أمر مُجحف. أعطت الإجراءات الأولى التي اتخذتها

---

[103] على الرغم من إصدار رئيس الوزراء العبادي عدة إعلانات منذ توليه منصبه في عام 2014، لم يتمكن (حتى منتصف عام 2015) من سن تشريعات إصلاحية كبرى قد تؤدي إلى مزيد من المصالحة. لم يعالج إجراء مكافحة الفساد في آب (أغسطس) 2015 المظالم السُنِّية بشكل مباشر. انظر Haider al-Abadi, “PM’s First Package of Reforms to COM,” official text, Government of Iraq, August 9, 2015.

[104] سيسمح التمرد السُنِّي في غرب العراق وشمال غربه بزيادة التدخل الإيراني في العراق وزيادة نفوذ زعماء الشيعة الموالين لإيران بمرور الوقت.

سلطة الائتلاف المؤقتة، والتي شملت اجتثاث حزب البعث وتفكيك الجيش الذي كان يُهيمن عليه السُنَّة وضم الشخصيات الشيعية المغتربة والتي لا تحظى بشعبية وإدخالها في عملية الحكم. الانطباع الفوري والقوي بأن الغزو والاحتلال كان هدفه إبعاد العراقيين العرب السُنَّة عن السلطة والنفوذ.[105] وقد أدى اجتثاث حزب البعث وتفكيك الجيش أيضًا إلى إعطاء انطباع، وإن لم يكن متعمدًا، بأن سلطة الائتلاف المؤقتة كانت تعاقب جميع السُنَّة على التجاوزات السابقة التي ارتكبتها النخبة السُنِّية. توصلت سلطة الائتلاف المؤقتة إلى تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة بقيادة إياد علاوي (Ayad Alawi)، وهو شيعي يحظى بشعبية بين الطوائف، بمباركة الأمم المتحدة والجهات المؤثرة الخارجية الأخرى ونفوذهما.

ربما كان إياد علاوي مرشحًا مقبولاً لقيادة العراق، ولكن الولايات المتحدة وشركاؤها شجعوا العراقيين على تقوية الهويات على أسس عِرقية طائفية من خلال اتباع نهج عِرقي طائفي صارم في تقسيم السلطة داخل مجلس الحكم العراقي.[106] أثر هذا على جميع العراقيين، لكنَّ تكوين مجلس الحكم العراقي، الذي يضم 13 من الشيعة وخمسة من السُنَّة وخمسة من الأكراد وتركمانيًا واحدًا وآشوريًا واحدًا، جعل الأغلبية للشيعة والأقلية للسُنَّة أمرًا واقعًا بصورة رسمية.[107] بعد حل سلطة الائتلاف المؤقتة بوقت طويل، استمر قادة الائتلاف في بذل الجهود لتحقيق الاستقرار في العراق من خلال دعم ما بدا أنه توزيع عادل للسلطة على أسس عِرقية طائفية، وفرض تقديرات مُرجحة عن بيانات السكان العراقيين على نظام سياسي سُنِّي ممانع. استفاد السياسيون الشيعة من هذه السياسات الأمريكية للسيطرة على الدولة، والتي بدورها أججت مشاعر الغضب بين السُنَّة ضد الشيعة والولايات المتحدة.

والأدهى من ذلك أن سياسة الولايات المتحدة والتحيز الجلي تجاه الشيعة تراجع في ظل اكتساب التمرد زخمًا وتحدي السُنَّة للوضع الراهن الجديد.[108] وبدأ القادة العسكريون والسياسيون الأمريكيون في التودد إلى السُنَّة وحاولوا كبح جماح الزعماء السياسيين الشيعة وقوات الأمن الشيعية وقادة الميليشيات. وتقوي هذه التقلبات الظاهرة الهوية الطائفية حيث بدأ زعماء الشيعة يشعرون بالعزلة عن الولايات المتحدة ومن ثم أصبحوا

---

[105] انظر، على سبيل المثال، CPA 2003.

[106] Tripp, 2007, pp. 267–286; Marr, 2012, pp. 288–345.

[107] F. Haddad, 2011, loc. 3214, Kindle.

[108] انظر Marr, 2012, pp. 296-331، وغيره.

أكثر عرضة لانتقامات السُنَّة. كما أن دعم الولايات المتحدة المباشر لحركة الصحوة العربية السُنِّية وتشكيل ميليشيات أبناء العراق، التي تكونت من حوالي 100,000 فرد مسلح، دفع بعض الشيعة إلى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة كانت تعطي بسذاجة للسُنَّة وسائل كفيلة لإسقاط الدولة الشيعية.[109] أعادت هذه الميليشيات أيضًا إلى الأذهان استخدام النخبة السُنِّية لوحدات ميليشيا الحرس الوطني لقمع الشيعة في القرن العشرين.[110] ربما كانت الإجراءات التي اتخذها المالكي ضد الصحوة وأبناء العراق تهدف إلى التخفيف من مخاوفه وقلق ناخبيه.

ورد بمزيد من التفصيل في هذه الدراسة مناقشة أن النشاط الطائفي في العراق، الذي كان بإيعاز من الجهات الفاعلة الإقليمية من الدول مثل إيران والمملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، كان له أثر تدميري بالقدر ذاته لأثر الولايات المتحدة والأمم المتحدة وإن كان بدرجة أقل نحو السُنَّة والأكراد والعراقيين الآخرين. تعود المخاوف الإيرانية من العراق إلى الصراع الصفوي العثماني، وذلك من وجهة النظر الجيوسياسية. بدأت السياسات الإيرانية المعاصرة بشأن العراق في الظهور في أوائل القرن العشرين عندما بدأت الحكومة العراقية الجديدة في طرد المواطنين الإيرانيين الذين كانوا يعيشون في جنوب العراق. فقد دعمت إيران في النصف الثاني من القرن العشرين إنشاء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وفيلق بدر للتأثير في السياسات العراقية وللمساعدة في تقويض الدولة البعثية. من الناحية العملية، شاركت إيران بشكل مباشر في حرب سياسية سرية وخفية وصريحة في العراق منذ ثمانينيات القرن العشرين.[111] بعد عام 2003، استخدم القادة الإيرانيون ببساطة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (الذي سُمي بعد ذلك المجلس الأعلى الإسلامي العراقي) وفيلق بدر للتأثير على العراق من داخل الحكومة الجديدة. كما ساعدوا على تأجيج التمرد ضد الولايات المتحدة من خلال تسليح الميليشيات الشيعية بالصواريخ الثقيلة والأجهزة المتفجرة المرتجلة المتطورة، مما أبعد الولايات المتحدة عن الشيعة في أوج التمرد.[112] منح الدعم الإيراني للشيعة ووجود مستشارين وخبراء إيرانيين في مجال الأعمال في بغداد

---

[109] انظر Marr, 2012, p. 310، وغيره.

[110] انظر، على سبيل المثال Dawisha, 2009, loc. 3431, Kindle.

[111] انظر، على سبيل المثال، Joseph Felter and Brian Fishman, *Iranian Strategy in Iraq: Politics and "Other Means*," West Point, N.Y.: Combating Terrorism Center, U.S. Military Academy, October 13, 2008.

[112] Felter and Fishman, 2008.

السُنَّةَ نبرةً حاشدةً في المعارضة. أصبح الشيعة "صفويين"، وأصبح الشيعة العراقيون "دمى لإيران" من وجهة نظر السُنَّة الأكثر تشددًا ثم من وجهة الكثيرين على الصعيد الشعبي.[113] كان لإيران وجود عسكري علني في شمال ووسط العراق من منتصف عام 2015، ويبدو أن الحكومة العراقية تثق في دعم إيران أكثر من دعم الولايات المتحدة.[114] لقد أدى الدعم الإيراني المباشر والصريح للميليشيات المناهضة للسُنَّة مثل عصائب أهل الحق إلى أن يعتقد الكثير من العراقيين السُنَّة بأن إيران عازمة على مساعدة الشيعة العراقيين في تطهير العراق من سكانه السُنَّة.[115] كما هو الحال بالنسبة لأفعال الولايات المتحدة في العراق، كانت كل الأفعال الإيرانية تقريبًا إما أفعال ضارة غير مقصودة أو في هذه الحالة أفعال ضارة متعمدة ضد السُنَّة والأقليات الأخرى.

ربما كان تدخل العرب السُنَّة الخليجيين ضارًا بالقدر ذاته. فعلى الرغم من أن تورط الخليج في العراق كان أكثر غموضًا من التدخل الأمريكي والإيراني، يوجد دليل يثبت أن الجهات المانحة الثرية من الخليج وبعض الدول قدموا الدعم المباشر للمتمردين السُنَّة.[116] وربما كانت دوافع هذا الدعم متنوعة، لكن العديد من القادة الخليجيين والمحللين ينظرون إلى الحرب الدائرة في العراق على أنها صراع مركزي بين السُنَّة والشيعة وعلى أنها حرب محتملة بالوكالة بين العرب السُنَّة والإيرانيين الشيعة. إذا تمكن العرب السُنَّة في دول الخليج من دعم ثورة عراقية ضد الشيعة، وربما حتى الإطاحة بالنظام الذي يقوده الشيعة والمدعوم من إيران، فستتقهقر إيران إلى الوراء وسيكون لها نفوذ أقل في الخليج ومن ثم تقل فرصة تهديدها دول الخليج العربي. على الرغم من أن هذا التحليل يتطلب فرضية ما، فإنه يناسب الخطاب العلني الموجود في البيانات مفتوحة المصدر.[117]

---

[113] ظهرت هذه المصطلحات والصور المرتبطة بها باستمرار في مراجعة منشورات تويتر (Twitter) المتاحة للجمهور من مناطق السُنَّة في العراق في الفترة من أواخر عام 2013 إلى أواخر عام 2014.

[114] Michael Knights, Philip Smyth, and Ahmad Ali, “Iranian Influence in Iraq: Between Balancing and Hezbollahzation?” Washington, D.C.: Washington Institute, June 21, 2015.

[115] أظهر المحاورون العراقيون السُنَّة هذه المشاعر إلى مؤلف الفصل في سلسلة من المقابلات ورسائل البريد الإلكتروني والمناقشات غير الرسمية في الفترة من كانون الأول (ديسمبر) 2013 وآب (أغسطس) 2015.

[116] انظر، على سبيل المثال “Saudis Reportedly Funding Iraqi Sunni Insurgents,” *USAToday*, December 8, 2006.

[117] يدعم هذه الافتراضات مراجعة شاملة لبيانات تويتر (Twitter) العامة وتقاريره الإخبارية ومقاطع الفيديو التي نشرها عراقيون على يوتيوب (YouTube) في الفترة من كانون الأول (ديسمبر) 2013 إلى آب (أغسطس) 2015.

العنف بين الطوائف وأثره على الهوية

أدخل الغزو العراقَ في دائرة مستمرة من العنف عالي الحدة والعنف منخفض الحدة الدائر حتى منتصف عام 2015. الأسباب المنطقية وراء أعمال العنف معقدة وتختلف من فعل إلى آخر ومن هدف إلى هدف. يُنسب قدر كبير من العنف السُنِّي والشيعي في الفترة بين عامي 2003 و2008 إلى قوات التحالف وربما كان قد تأثر فقط بالطائفية بشكل بعيد أو عن طريق الصدفة. ومع ذلك، بدأت وتيرة استهداف العراقيين العرب السُنَّة والعرب الشيعة بعضهم في التزايد بدءًا من منتصف عام 2004. يقول دودج، 2012 وآخرون: إنه بحلول منتصف عام 2006 كان العراق قد دخل في خضم حرب أهلية طائفية شاملة. وتوجد أدلة كثيرة تدعم هذه الادعاءات. على الرغم من أن أرقام الضحايا من المدنيين من العراق مشكوك في دقتها - حيث أظهرت دراسة استقصائية للبيانات المتوفرة أجريت عام 2008 نطاق تلك الأرقام بين 34,832 و793,663 من مختلف المصادر - فلا يوجد أدنى شك في أن العراقيين العرب السُنَّة قتلوا الآلاف من العراقيين العرب الشيعة، والعكس بالعكس، خلال الفترة من عام 2004 إلى عام 2008.[118] وإن الكثير من عمليات القتل هذه كان يحركها العداء الطائفي بشكل علني. استغل قادة المتمردين السُنَّة، مثل أبي مصعب الزرقاوي (Abu Musab al-Zarqawi)، مخاوف العرب السُنَّة من الهيمنة الشيعية والفارسية بوصف الشيعة مرتدين خطرين يجب قتلهم.[119] وصف القادة السياسيون المتطرفون من الشيعة وقادة الميليشيات السُنَّة باعتبارهم فاشيين بعثيين يسعون إلى إعادة الشيعة إلى موقع العبودية.[120]

كما ذُكر سابقًا في هذا القسم، يعكس العنف بين الطوائف أثناء الحرب الهويات الطائفية العربية الإسلامية. أدى الخوف إلى أعمال القتل؛ وأجج القتل مشاعر الخوف، التي أدت، بدورها، إلى المزيد من أعمال القتل. وشجّعت كلاً من مشاعر الخوف وأعمال القتل العراقيين العرب على البحث عن هويات قد توفّر لهم أقصى درجات الأمن والاستقرار. لم يكن الشيعة بحاجة إلى الكثير من المبررات لكي يصلوا إلى الهوية الشيعية المتشددة؛ فقد كانت جميع المعطيات متوفرة. وكانت الخيارات أقل وضوحًا للسُنَّة. أعلن عدد قليل

---

[118] Hannah Fischer, *Iraqi Civilian Death Estimates*, Washington, D.C.: Congressional Research Service, RS22537, August 27, 2008.

[119] Emily Hunt, "Zarqawi's 'Total War' on Iraqi Shiites Exposes a Divide Among Sunni Jihadists," Washington, D.C.: Washington Institute, November 15, 2005.

[120] انظر، على سبيل المثال، Cockburn, 2008.

جدًا من السُنَّة انتماءهم لجماعات سياسية سُنِّية أو حركات اجتماعية.[121] ومع ذلك، انضم الكثير من السُنَّة، أو نشطوا في تأييد، أو أيّدوا بشكل سلبي إما الجماعات القومية المتمردة، مثل كتائب ثورة العشرين وجيش الإسلام، أو الجماعات الطائفية الإقليمية، مثل أنصار السُنَّة أو تنظيم القاعدة (الأكثر شيوعًا).

كانت الجماعات القومية تميل إلى تركيز جهودها ضد التحالف، في حين قسّم تنظيم القاعدة في العراق مجهوداته ضد التحالف والعرب الشيعة. لذلك، كان السُنَّة الذين تحالفوا مع الجماعات القومية يميلون إلى الالتزام بشكل قومي من الهوية السُنِّية، في حين أن من ركنوا إلى تنظيم القاعدة في العراق ربما كانوا يميلون على نحو أكثر للمذهب السلفي الجهادي الذي كان يرى الشيعة، في السياق العراقي، تهديدًا رافضيًا، وذلك على المستوى الأعلى من التحليل. ومع ذلك، فإن الكثير من السُنَّة الذين تحالفوا مع تنظيم القاعدة في العراق لم يفعلوا ذلك لأنهم آمنوا برسالة الزرقاوي المؤيدة بشدة للسُنَّة والمناهضة للشيعة، ولكن لأن تنظيم القاعدة في العراق كان أقوى جماعة متمردة في المنطقتين الغربية والشمالية الغربية أو لأن تنظيم القاعدة في العراق وفر فرصًا لنهب المجتمعات السنّية المحلية. علاوة على ذلك، رأى المتعصّبون داخل تنظيم القاعدة في العراق أيضًا أن القوميين السُنَّة، لا سيما الصوفيين الذين شكّلوا جزءًا كبيرًا من العديد من الجماعات البعثية القومية الرئيسية، مرتدين. لذلك، كانت أكثر الجماعات السنّية المتمردة ظهورًا في العلن، على عكس المعتاد، معادية للسُنَّة ولا تمثل بوضوح أي هوية سُنِّية حقيقية.[122]

تجلّى عجز تنظيم القاعدة عن تحفيز السُنَّة في صحوة الأنبار.[123] قرر الأنباريون السُنَّة الذين عانوا على أيدي كل من التحالف وتنظيم القاعدة في العراق، في النهاية، مواجهة تنظيم القاعدة في العراق ومساعدة التحالف في تأمين غرب العراق. عادت الصحوة، التي يُشار إليها عادةً باسم الصحوة السُنِّية، إلى حركة أبناء قبيلة أحمد الدليمي عام 1995. كانت دوافع الانضمام إلى الصحوة لا تعد ولا تحصى؛ حيث شملت الدوافع والهويات السُنِّية والقبلية والإقليمية والاقتصادية من الدوافع والهويات. انتشرت

---

[121] ويتضح هذا في نتائج الانتخابات خلال عام 2010، وكذلك عدم قدرة أي حزب سياسي سُنِّي على حشد السكان العراقيين من العرب السُنَّة.

[122] لا تزال تحليلات دوافع السُنَّة للتمرد في العراق مستمرة. انظر على سبيل المثال، Montgomery and McWilliams, 2009, and Sterling Jensen, *Iraqi Narratives of the Anbar Awakening*, London: King's College, thesis, 2014.

[123] انظر، على سبيل المثال، Montgomery and McWilliams, 2009.

هذه الحركة في الوسط والشمال الغربي حيث تشكلت جماعة أبناء العراق وجماعات من السكان المحليين المعنية للدفاع ضد مختلف جماعات المتمردين ومجموعات الميليشيا. بعد أن بدأ المالكي في تقويض الميليشيات السُنِّية، عادت الحركات المتمردة إلى الحياة. ستخرج جماعتان، إحداهما قومية والأخرى جهادية سلفية، من الانهيار البطيء المنتظر لمليشيا الصحوة. الأولى هي جماعة جيش رجال الطريقة النقشبندية وهي جماعة قومية سُنِّية يقودها ضباط عسكريون بعثيون سابقون. والأخرى هي تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، التي تطورت لاحقًا لتصبح تنظيم الدولة الإسلامية.

ونظرًا لإخفاق زعماء الشيعة المعينين سياسيًا في الجيش العراقي أو فشلهم في مواجهة هجوم تنظيم الدولة الإسلامية عام 2014، تدخلت ميليشيات شيعية طائفية بشكل مكثف لرأب الصدع.[124] تحوّلت أيضًا هذه الميليشيات التي تشمل جيش المهدي التابع للصدر، وصمدت وتوسعت. يقود الصدر الآن سرايا السلام ولواء اليوم الموعود، بينما نما فيلق بدر وعصائب أهل الحق من حيث الحجم والقوة بمساعدة قوة القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني.[125] اعتبارًا من منتصف عام 2015، أصبحت الحكومة العراقية معتمدة على الميليشيات الشيعية ليس من أجل تأمين المناطق الحضرية الرئيسية فحسب ولكن أيضًا للقيام بعمليات هجومية ضد تنظيم الدولة الإسلامية. تزداد الميليشيات انفتاحًا بشأن صلتها بإيران، وتوقيرها للمرشد الأعلى، وكراهيتها للعرب السُنَّة. استقطبت قوة وتأثير الميليشيات الشيعية وعلاقتها العلنية بإيران عشرات الآلاف من المجندين الشيعة وروعت العرب السُنَّة في الوقت ذاته. وفي الوقت الراهن، على الأقل، سخّر تنظيم الدولة الإسلامية سردية السُنَّة، واختارت الميليشيات المدعومة من إيران سردية الشيعة. مثل ما حدث في عام 2015 في العلاقات الطائفية في العراق حيث تأزمت ووصلت لمستوى جديد.

تداعيات الانقسام الطائفي على الدولة العراقية والمنطقة

بدا أن تشدّد الهويات الطائفية بين العراقيين العرب المسلمين، في منتصف عام 2015، يمثّل دلالة على انتقال السلطة في الدولة. يفترض الكثير من المحللين بالفعل أن

[124] انظر على سبيل المثال، Matt Bradley and Ghassan Adnan, "Shiite Militias Win Bloody Battles in Iraq, Show No Mercy," *Wall Street Journal*, December 5, 2014.

[125] انظر على سبيل المثال، C. J. Chivers, "Answering a Cleric's Call, Iraqi Shiites Take Up Arms," *New York Times*, June 21, 2014.

استقلال الأكراد هو اقتراح "بالتوقيت وليس بالاحتمالية".[126] يبدو جنوب وشرق العراق، ظاهريًا على الأقل، معسكرين موحَّدين للشيعة مدعومين من إيران يدعمان عمليات الاستيلاء على الأراضي التي تقودها الميليشيات في المناطق المختلطة سابقًا مثل محافظة بابل الشمالية ومحافظة ديالى. يبدو أن غرب العراق وشماله الغربي يضم أقلية سُنِّية متشددة تدعمها الدول العربية في الخليج، ويدفعها البعثيون، تدعم تنظيم الدولة الإسلامية بصورة نشطة أو سلبية. بغض النظر عن قصر هذه النظرة أحادية اللون وعدد كبير من الهويات ومحركات السلوك الأخرى ذات الصلة بالمشكلة الحالية، من الضروري استكشاف الخيار الفيدرالي وإمكانية تقسيم العراق بالكامل إلى ثلاث مناطق منفصلة.

يبدو أن الانجذاب إلى الفيدرالية يرجع إلى قبولها لواقع عِرقي طائفي معين وتصحيحها لخطأ إمبريالي غربي غير مقبول على أرض الواقع: وهو إقامة دولة عراقية من المفترض استحالة إقامتها. ومما لا شك فيه أن النقد اللاذع والعنف الدائر في منتصف عام 2015 جعلا من الصعب تخيل بديل. لقد تم بالفعل اتخاذ بعض الخطوات لانتقال السلطة إلى الفيدرالية، ويشمل ذلك إقرار قانون السلطات المؤقتة لعام 2008. قد يكون العراق قادرًا على إيجاد الاستقرار الطبيعي من خلال إضفاء الطابع الرسمي على الفصل الفيدرالي الحالي مع الإبقاء على مزايا الحكومة المركزية. لكن الخيار الفيدرالي غير واقعي لسوء الحظ. من شأن الإعلان عن سياسات فيدرالية أن يسرِّع على الفور التطهير العِرقي الطائفي الجاري بالفعل على طول الخطوط الأمامية بين الميليشيات الشيعية والجيش العراقي وأجهزة الأمن الكردية وتنظيم الدولة الإسلامية.[127] وسيكون هناك سباق لتأسيس إقليم قبل إنشاء حدود فيدرالية جديدة. ومن المرجح أن يعاني المدنيون السُنَّة في ظل هذه الظروف، ولن تؤدي هذه المعاناة إلا إلى إطالة أمد التمرد السُنِّي المستمر ضد الدولة وإشعال فتيله.

بمجرد الانتهاء من التطهير المتسارع، سيجد السُنَّة أنفسهم أقل تمثيلاً في الحكومة المركزية، وبدون توافر موارد اقتصادية يمكن الحديث عنها، ومدن متضررة،

---

[126] انظر على سبيل المثال، Zalmay Khalilzad, “Get Ready for Kurdish Independence,” *New York Times*, July 13, 2014.

[127] تعرض التحليلات التنبئية في هذا الفصل آراء الخبراء المستنيرة للمؤلفين.

ودعم ضئيل للغاية من الحكومة المركزية في أغلب الاحتمالات.[128] وبالنظر إلى إحجام الحكومة المركزية في السابق بقيادة الشيعة عن تمويل التنمية وإعادة الإعمار في المحافظات التي يسيطر عليها السُنَّة، فمن غير المرجح أن يتم توزيع إيرادات الحكومة المركزية من النفط على الأنبار أو نينوى أو صلاح الدين أو حتى الأجزاء السُنِّية المتبقية من تأميم وديالى. علاوةً على ذلك، هناك احتمال كبير بانخفاض عائدات النفط المركزية. ومن شأن زيادة استقلال الأكراد من خلال الفيدرالية أن تجعلهم أكثر استقلالية وليس أقل. سيعزف الأكراد على أقل تقدير عن تقاسم الإيرادات من المناطق الغنية بالموارد الحالية ومن تلك التي استولوا عليها خلال القتال الأخير. وفي الجنوب، تسنح فرصة جيدة بالقدر ذاته لأن تسعى البصرة للتفاوض ليس فقط بشأن زيادة الاستقلال ولكن ربما حتى على انتقال السلطة على المستوى المحلي. فمن شبه المؤكد أن يسعى قادة البصرة إلى الحفاظ على سيطرة أكبر على دخل النفط الكبير في المحافظة. وفي الختام، ستؤدي الفيدرالية إلى تفاقم مشكلات العراق ولن تحلها.

يمثل تقسيم العراق على أسس طائفية وإقامة دول كردية وسُنِّية وشيعية جديدة مستقلة – الحل الكامل للعراق كأمة – مشكلة بالقدر ذاته. وعلى الرغم من مطالبة بعض السُنَّة بمزيد من السلطة الفيدرالية، لا توجد حتى أقلية ملحوظة من السُنَّة تسعى إلى تدمير الدولة العراقية. وبدلاً من ذلك، يسعى الكثير من السُنَّة إلى استعادة السيطرة على الدولة بدافع من التوقعات الثقافية والاعتقاد السائد بأن تقديرات عدد السكان تقلل من شأن التمثيل السُنِّي بشكل كبير. تعتبر القومية، وليست السلطة أو التمرد المناهض للقومية، الدافع الأساسي وراء المعارضة العربية السُنِّية. وبالمثل، لا توجد مؤشرات على أن أقلية شيعية كبيرة تسعى إلى تفكك العراق بشكل كامل. لم يُعبِّر سوى القادة الأكراد عن اهتمامهم بالانفصال عن الدولة، لكن حتى هذه الطموحات قد أضعفتها المخاوف الأمنية والتحديات الاقتصادية غير المتوقعة.[129] كما لا توجد وسيلة عملية لتقسيم بغداد أو المناطق المحيطة بالعاصمة بدون اللجوء إلى فرض عنف عِرقي

[128] هناك جدل مستمر حول كمية النفط والغاز الطبيعي الموجود في باطن الأرض في محافظة الأنبار وغيرها من المحافظات التي يهيمن عليها السُنَّة. سيستغرق استخراج الموارد في هذه المناطق وقتًا واستثمارًا كبيرين، حتى لو كانت هذه الموارد كافية للحفاظ على دولة مستقلة أو شبه مستقلة. انظر على سبيل المثال، John Leland and Khalid D. Ali, “Anbar Province, Once a Hotbed of Iraqi Insurgency, Demands a Say on Resources,” *New York Times*, October 27, 2010.

[129] انظر على سبيل المثال، Isabel Coles, “Iraq Chaos Fuels Kurds’ Independence Dream, but Hurdles Remain,” Reuters, July 6, 2014.

استثنائي. إن تفكيك العراق من شأنه أن يؤدي إلى حدود مصطنعة متساوية من شأنها أن تخلق مشكلات جسيمة مثل اتفاقات سايكس بيكو، والمعاهدة الأنجلو-عراقية، إن لم يكن أكثر من ذلك.

يفرض تشدد الهويات الطائفية في العراق مشكلة خطيرة للمنطقة وللقوى الخارجية الواقعة في شرك الصراعات الجيوسياسية الإقليمية. ونظرًا لأن التصور الخارجي للهوية العراقية غالبًا ما يكون مبسطًا واختزاليًا، فإن السعوديين والإيرانيين وغيرهم من القوى الإقليمية الكبرى يهرعون جميعًا في اعتبار العنف الشديد بين الطوائف في العراق مؤشرًا واضحًا على أن العراق هو بؤرة لحرب إقليمية بين السُنَّة والشيعة. تهرع الحكومات الغربية، التي تسعى إلى وضع حد سريع للنزاع، أيضًا إلى تعريف المشكلة بأبسط العبارات (كما فعلت في عام 2003)، متجاهلةً قرونًا من التاريخ العراقي وتعقيدات الهوية التي يعتقد فنار حداد وفيسير وغيرهم من الباحثين في الشأن العراقي أنه يجب التفكير فيها بإمعان. تسبب العنف الدائر بين الطوائف في خلق دائرة مغلقة من الخوف والقتل داخل العراق كما تسبب في خلق دائرة مماثلة في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ترى الدول السُنِّية كتلة موحدة للشيعة في جميع أنحاء إيران والعراق وسوريا ولبنان وتحاول مواجهة نفوذ الشيعة من خلال تمويل الجماعات السلفية الجهادية المتطرفة. ومن ثم تعزِّز هذه الجماعات مخاوف الشيعة من الهيمنة السُنِّية والعنف. فتدعم إيران تدخل حزب الله اللبناني في العراق، ويبدو أن بعض السُنَّة يذهبون أبعد من ذلك بتمويل "تنظيم الدولة الإسلامية" لأنه يبدو الخيار الأقل سوءًا في العراق. وما دام أن استقرار العراق مزعزع، من المرجح أن تستمر دائرتا الخوف والقتل المغلقتان هاتان – الخارجية والداخلية – في الاستمرار وإزكاء بعضهما لبعض الوقت.

الاحتمالات المستقبلية

هناك خطابات مضادة لفكرة الانقسام الطائفي المانوي في العراق. يعرض فنار حداد، 2011، منظورًا مختلفًا يمكن من خلاله النظر إلى الهوية العراقية. فهو يرى أن الهويات تتعايش وتنتشر وتتفاوت شدتها بمرور الوقت. من خلال هذا المنظور، قد يُعرّف السُنِّي في مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار في العراق، بأنه سُنِّي منتسب إلى الصوفية، أو أنباري، أو رمادي، أو فرد في الاتحاد القبلي، أو فرد قبلي، أو عضو في جماعة متمردة غير متفرغة، أو فرد ثانوي، أو ضابط عسكري سابق، أو محترف، أو سياسي، أو والد، أو أخ، أو أخت، أو ابن

أو ابنة، وباعتباره وطنيًا، وكل ذلك في الوقت ذاته.[130] لأن هذه الهويات تصدق على عراقي واحد، فهي تندمج وتكتسب معنى من بعضها البعض. تصبح القومية قوميةً سُنِّية أو ربما قومية سُنِّية أنبارية. وبالمثل، فإن الشيعي من مدينة الصدر قد يُعرف بأنه شيعي، أو شيعي إمامي ينتسب إلى مدينة أو بلدة أو قبيلة أو أسرة أو حزب سياسي أو مجلس أعمال، أو قومي. في عام 2015، كانت الهوية الطائفية هي الهوية العراقية الأكثر وضوحًا، لكنها ليست الهوية العراقية الوحيدة. وهذا يوحي بأمل ضعيف على الأقل للسلام في مرحلة ما بعد الطائفية، وربما للمصالحة الدائمة وإعادة التوحيد.

توجد أيضًا أمثلة عملية على العلاقات بين الطوائف خلال بعض اللحظات الأكثر عنفًا بين الطوائف. كان الحزب الإسلامي العراقي التابع للسُنِّي طارق الهاشمي (Tarek al–Hashemi)، على الرغم من فشله في نهاية المطاف وبرغم من طرد المالكي للهاشمي من العراق، فقد كان مؤيدًا لفكرة التعددية الطائفية. ربما لم يُثبت الشيعي إياد علاوي أنه أكثر قادة العراق ديناميكية أو نجاحًا، لكن قوته في البقاء وتقبل العراقيين السُنَّة له أمر ملحوظ في عصر الانقسامات الطائفية الصارخة. يتألف أعضاء مجلس القبائل والأعيان في العراق الذي يقوده السُنَّة، وهو تكتل افتراضي لكبار الشخصيات القبلية العراقية، من 50٪ من السُنَّة و50٪ من الشيعة.[131] وعلى الرغم من مرور سنوات من التطهير العِرقي الطائفي المتأجج أحيانًا والخافت أحيانًا، لا يزال الكثير من السُنَّة والشيعة مرتبطين ارتباطًا وثيقًا من خلال الزواج والقبيلة. يعبِّر كلٌّ من تحالفي قبيلة الدليمي وشمر عن الانقسام الطائفي. يعيش بعض المهجّرين (النازحين داخليًا) من السُنَّة العرب العراقيين في مناطق شيعية منذ مطلع عام 2016، خاصة في منازل الشيعة أو مساكن الحسينية المخصصة عادةً للحجاج الشيعة. على الرغم من ورود ما يفيد بارتكاب جماعات شيعية مسلحة التطهير العِرقي للمناطق السُنِّية، مثل جرف الصخر، ومنعها المهجّرين (النازحين داخليًا) السُنَّة من العبور إلى المناطق الآمنة في عامرية الفلوجة، ربما ورد أيضًا

---

[130] للحصول على تحليل مفصل لهذه الحجة في سياق تحليل الاستخبارات العسكرية، انظر: Ben Connable, Military Intelligence Fusion for Complex Operations, Santa Monica, Calif.: مؤسسة RAND، OP-377-RC، 2012.

[131] يتولى إمارة هذه الجماعة ماجد عبد الرزاق العلي سليمان الدليمي (Majed Abed al-Razzaq al-Ali Suleiman al-Dulaymi).

ما يفيد بأن الآلاف من المهجّرين (النازحين داخليًا) السُنَّة يعيشون بأمان بشكل عام في منازل الشيعة والحسينيات في جنوب العراق.[132]

عند تحقيق الأمن والاستقرار الحقيقيين، ليس هناك أدنى شك من أن عوام السُنَّة وعوام الشيعة سيبدؤون مرة أخرى في الاندماج على المستوى الشعبي. لم تكشف المقابلات التي أُجريت مؤخرًا مع شيوخ القبائل العراقية السُنِّية وضباط الجيش السابقين وأفراد مجتمع الأعمال فقط عن شعور قوي بالقومية وإنما كشفت أيضًا عن إيمان راسخ بالقومية الطائفية. وعلى الرغم من أنه كان من الصعب تصور عراق طائفي عِرقي موحد في منتصف عام 2015، فإن تصور إمكانيات بديلة للفوضى أو الفيدرالية أو تفكيك الدولة على نحو مستمر هو عبارة عن خطوة مهمة في تجاوز التفسير السطحي للهوية العراقية الذي ما زال يعيق كلاً من صنع القرار العراقي والدولي.

بسبب سيطرة الشيعة الآن على الدولة تقريبًا بالكامل، وبسبب تفكك السُنَّة للغاية وعدم تنظيمهم، سيقع على القيادة الشيعية اتخاذ الخطوة الحقيقية الأولى نحو المصالحة الوطنية. لقد أعرب السُنَّة عن مظالمهم بشكل أكثر وضوحًا عام 2015 عما كان عليه الحال خلال احتلال الولايات المتحدة.[133] ربما لا يمكن إجراء مفاوضات للمصالحة لأنه لا يوجد سياسيون سُنَّة يمثلون غالبية كبيرة من العراقيين. لذلك، يجب تفعيل صفقة المصالحة الشيعية من خلال الأمر الواقع المكثف والمقنع. وسيشمل ذلك إطلاق سراح السجناء وتمويل واسع لإعادة الإعمار وسحب كل من الجيش العراقي وقوات الميليشيا الشيعية من المناطق السُنِّية. سيؤدي وجود تنظيم الدولة الإسلامية إلى تعقيد هذه الخيارات إلى حد كبير، ولكن إذا تم ذلك في الوقت المناسب، سيساعد السُنَّة على طرد الجماعة من العراق أو إعادتها إلى مرحلة سكون ما بعد عام 2008. إن الأمل الحقيقي في المصالحة الذي يستند إلى تغييرات قانونية واقتصادية على مستوى الدولة، وليس المكافآت للنخب السُنِّية، هو المسار الوحيد المعقول إلى الصحوة الثانية التي دعا إليها الكثير من المحللين الغربيين. في الوقت ذاته، سيتعين إعادة صياغة الدستور العراقي المكتوب بشكل سيئ لضمان حماية الأقليات الحقيقية، والقضاء على الفرص المتاحة للحكومة لاستغلال قوانين مناهضة البعثيين ضد السُنَّة، وللتعامل بشكل أكثر فعالية وواقعية مع فروق القوة على صعيد الطوائف والأعراق في العراق.

---

[132] هذا التقييم الصادر عام 2016 مستمد من مناقشات مع كبار القادة السياسيين العراقيين والقادة السياسيين الشيعة في بغداد بالعراق في منتصف آذار(مارس) 2016.

[133] كونابل، 2014.

ستمنح هذه العملية السياسيين السُنَّة القدامى والجدد على السواء فرصة للمُضي قدمًا في محاولة لإثبات حقوق الأقليات الحقيقية للسُنَّة.

لا يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية العقبة الأكبر التي يجب التغلب عليها في تحقيق الاستقرار والأمن في العراق. وبالأحرى، تتمثل أكبر العقبات في إحجام الشيعة عن الثقة بالسُنَّة وإحجام السُنَّة عن قبول كونهم أقلية على أرض الواقع. فكلا نوعي المخاوف ضارب بجذور عميقة في التاريخ العراقي. وقد يصعب تذليلها، لكن بدائل محاولة إعادة التوحيد إما تحمل القدر ذاته من السوء أو أسوأ بكثير.

لقد أظهر هذا الفصل أنه على الرغم من معاناة العراق من انقسامات طائفية مستمرة، لا يوجد شيء مستعصٍ على الحل أو غير قابل للتغيير حول هذه المشكلات. ويمكن أن توجد الطائفية في العراق بجانب القومية والإقليمية والقبلية وغير ذلك من "الهويات المذهبية" الكثيرة دون أن تتسبب بالضرورة في تقسيم الدولة العراقية. كما أن التباين الأزلي القائم في العراق وإن كان غير مستساغ إلا أنه يمكن استيعابه كما هو الحال في الدول الأخرى. بدلاً من التركيز على الطائفية باعتبارها سببًا في المشكلات الحالية في العراق، قد يجد المراقبون أنه سيكون من الأجدى التفكير في تعميق الهوية الطائفية على أنها نتيجة لعقود من الحوكمة الفاسدة والقمعية والتدخلات الخارجية.

بالطبع، قد تُساق حجة قوية تفيد بأن الهوية الطائفية تعتبر حاسمة في السياسة العراقية وستظل كذلك. يبدو أنه لا يمكن إنكار أن الطائفية العِرقية ستؤدِّي دورًا قويًا وربما مهيمنًا في السياسة العراقية، على الأقل في المستقبل المنظور. لن يُنسى قمع السُنَّة للشيعة لمدة قرنين بالتقريب قريبًا، ولن يُنسى أيضًا العنف الشديد الذي حدث في الحرب الأهلية 2007–2006، أو الأقرب عهدًا وهو اضطهاد الحكومة للسُنَّة. مع ذلك، يشير تاريخ الطائفية في العراق إلى أنه لم يفُتِ الأوان لتفادي تقسيم الدولة.

لا تتعلق الهوية السُنِّية في العراق بالتفسيرات السُنِّية عن الإسلام، ولم يحدد السُنَّة في المقام الأول الأسس الطائفية حتى زمن بعيد من القرن الماضي. وربما كان هذا صحيحًا أيضًا مع الشيعة العراقيين في العقد الأول من القرن التاسع عشر: كانت هناك مرحلة كان يمكن لحكومة الدولة العثمانية احتواء الشيعة بدلاً من إجبارهم على التنظيم الذاتي بناءً على أسس طائفية. ففي عام 2015، أقر رئيس الوزراء العبادي علنًا أن إصلاح الحكومة هو السبيل لتحقيق الاستقرار وبقاء الدولة وأن المصالحة مع السُنَّة أمر أساسي لهذا المسعى.

في حين زادت الحوكمة السيئة والتدخل الكارثي الطائفية حدةً في العراق، قد يعرض تحسين الحوكمة والحد من الدعم الخارجي التطفلي سبيلاً لتحقيق الاستقرار في نهاية المطاف. قد يكون هذا صحيحًا في العراق وفي مناطق أخرى في الشرق الأوسط التي مزقها الصراع الطائفي حاليًا.

الطائفية في سوريا

مقدمة

يُرجَّح استمرار الحرب الأهلية السورية، التي بدأت في عام 2011، في المستقبل القريب، مع وجود احتمالات لا تنذر بخير للتوصل إلى حل سياسي. تؤدي الطائفية بين السنَّة، والعَلَويين وغيرهم من الشيعة، ومجموعات الأقليات الأخرى دورًا متزايدًا في ضمان تمادي النزاع السوري، لكن من قبيل التبسيط يمكن الإشارة إلى الهوية الطائفية باعتبارها مصدرًا رئيسيًا للانتفاضة ضد بشار الأسد أو باعتبارها الدافع الوحيد لاستمرار العنف. تؤثر كيفية تصوُّر الصراع، سواء أكان قائمًا على الطائفية أو على عوامل أخرى، تأثيرًا مهمًا على السياسات التي تضعها الولايات المتحدة وتتابعها في سوريا والمنطقة كافة.

ولا يزال نظام بشار الأسد يسيطر على المناطق الاستراتيجية المهمة للغاية لقاعدة الدعم، أي العاصمة (دمشق)، وأجزاء من إدلب وحلب والمنطقة الغربية على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط والمناطق المتاخمة التي تربط بينهما، وذلك بفضل التدخل الروسي وزيادة الدعم الإيراني. نجحت جماعات المعارضة في مواجهة القوات الحكومية في المناطق الريفية والمدن الصغيرة شمالاً وجنوبًا وشرقًا، وعلى الرغم من ذلك تسود حالة من التفكك في أوساطهم وكثيرًا ما يتناحرون فيما بينهم لفرض الهيمنة. وتشمل الأمور التي تزيد من تعقيد المسألة بشكل ملحوظ كلاً من القوة المتنامية للجماعات الإسلامية المتطرفة، لا سيّما داعش والنصرة، وتورُّط القوى الإقليمية المُتنافِسة، علاوة على الولايات المتحدة وروسيا. وتصل الخسائر التي يتكبدها سكان سوريا البالغ عددهم 22 مليون نسمة بسبب ذلك إلى أبعاد كارثية فعليًا تمثلت في

مقتل أكثر من 250,000 شخص، وأكثر من مليون جريح، ونزوح نصف السكان (3 ملايين نسمة في البلدان المجاورة).[1]

في هذا الفصل، نرى أن استخدام الحكومات والجماعات للطائفية بفعالية لتعزيز الدعم لأجنداتهم السياسية يظل عاملاً واحدًا فقط من عدة عوامل تكمن وراء الصراع في سوريا، رغم أهميته التي تبدو آخذة في الازدياد. وهذه العوامل الأخرى، التي تتضمن الجغرافيا والموقع والضرورات السياسية والاختلافات الطبقية والولاءات القَبَلية، تغذّي الطائفية في سوريا وتقتات عليها كذلك. علاوة على ذلك، فإن الأسس التاريخية لسوريا لا تجسِّد بالضرورة الطائفية في الصراع على أنها بديهية. وقد دفع ذلك أحد الباحثين إلى وصف الحرب السورية بأنها "شبه طائفية".[2] ولكن كلما استمر الصراع السوري تحت تأثير هذه الأجندات، زاد احتمال تراجع أطراف النزاع عن التفضيلات الطائفية. ويمكن أن يُقال هذا أيضًا عن اللاجئين السوريين في البلدان المجاورة وفي جميع أنحاء المنطقة، مما قد يزيد من عدم الاستقرار في المنطقة، لا سيّما في لبنان.

وعقب إلقاء نظرة عامة على المزيج الذي يجمع بين الجماعات العِرقية والدينية في سوريا الحديثة، يُقدم هذا الفصل تاريخًا موجزًا للعديد من الطوائف فضلاً عن كيفية تطوُّر أوضاعهم في المجتمع في ظل الفترات الرئيسية لحكم ما قبل الاستقلال وما بعده. بعد ذلك، يصف هذا الفصل دور الرابطة الطائفية في سياق انتفاضة 2011 ضد بشار الأسد، وكذلك كيفية تطوُّر هذا الدور سريعًا مع ظهور عوامل أخرى على ساحة النزاع. وأخيرًا، يُحدِّد هذا الفصل عددًا من تداعيات العامل الطائفي في سوريا والمنطقة الأوسع نطاقًا ويعرض الاحتمالات المستقبلية.

التكوين الديني والعِرقي في سوريا: الأغلبية من العرب السُنَّة ولكن ثمّة تنوُّع كبير موجود

يُشكِّل السُنَّة نسبة تبلغ 68.4 بالمئة من سكان سوريا، مع وجود نسبة تقرب من 13 بالمئة من السُنَّة الأكراد، وتعود النسبة المتبقية من السُنَّة إلى العرب. ينتشر العرب السُنَّة في جميع أنحاء سوريا، كما هو مُبيَّن في الشكل 4.1، في حين يقيم الأكراد في الغالب في الأجزاء الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من البلاد بالقرب من الحدود التركية.

---

1 انظر UN News Centre, "News Focus: Syria," غير مؤرخ؛ و Uri Friedman, "Almost Half of Syria's Population Has Been Uprooted," *Atlantic*, August 2014.

2 Christopher Phillips, "Sectarianism and Conflict in Syria," *Third World Quarterly*, Vol. 36, No. 2, March 24, 2015, p. 357.

الشكل 4.1
توزيع الجماعات الدينية والعِرقية في سوريا

RAND *RR1681-4.1*

وفي السياق ذاته، تُمثِّل طائفة العَلَويين، وهي أكبر الطوائف التالية للسُنَّة، نسبة تبلغ 11.3% من سكان سوريا، في حين يُمثِّل المسيحيون نسبة 11.2%. يتمركز العَلَويون في المنطقة الجبلية الغربية لجبل النصيرية على طول ساحل البحر المتوسط بين الحدود التركية من الشمال والحدود اللبنانية من الجنوب. بينما يتمركز المسيحيون (معظمهم من الأرثوذكس الشرقيين) في الشرق، بين هذه السلسلة الجبلية ومدن إدلب وحماة وحمص، كما توجد تجمُّعات في الجنوب الغربي بالقرب من دمشق ودَرعا، وكذلك في اتجاه الشرق بالقرب من دير الزور والحَسَكة. تُمثِّل الطائفة الإسماعيلية والشيعة الاثنا عشرية نحو 3.2 بالمئة، ويُشكِّل الدروز النسبة ذاتها. ويقيم الشيعة بصورة رئيسية بالقرب من حلب وإدلب وحماة وحمص، في حين يقطن الدروز في الجنوب على طول الحدود مع الأردن وإلى الغرب المتاخم للحدود اللبنانية وهضبة الجولان التي ضمتها إسرائيل. أما النسبة

المتبقية البالغة 2.6 بالمئة من السكان تتألف من الشركس والتركمان وغيرهم.[3] لا توجد منطقة متجانسة تمامًا، وتختلط المجموعات الإثنية الدينية في معظم المناطق، أو بالأحرى كانت تختلط حتى اندلاع الحرب الأهلية.

بينما تناقش هذه الدراسة في الجزء الأول منها الاختلافات بين السُنَّة والشيعة، يُعتبر من المهم، فيما يخص وضع سوريا، التركيز على جماعة الطائفة العَلَوية. العَلَويون هم طائفة ارتبطت بالمذهب الشيعي لأسباب مختلفة (انظر القسم التالي)، ولكن في الواقع لديها مبادئ وممارسات منفصلة، وقد تجنَّبها كل من السُنَّة والشيعة بصورة جزئية في الماضي جرّاء مخالفتها للعقيدة المُتبعة. نشأت العقيدة العَلَوية في القرنين العاشر والحادي عشر وتبنَّت الممارسات الوثنية والشيعية والمسيحية.[4] تأسست هذه الطائفة على يد محمد بن نصير البكريّ النميّري (Muhammad Ibn Nusayr al-Bakri an-Namiri)، ويُشار إلى العَلَويين باسم "النصيرية" لا سيّما من جانب العناصر الجهادية أو السلفية السُنِّية بنيّة الازدراء، وقد اتخذت مدينة اللاذقية موطنًا لها على البحر المتوسط والمجتمعات الجبلية المحيطة بها. ساهمت سلسلة جبال النصيرية في فصل العَلَويين جغرافيًا عن الطوائف الأخرى وسمحت لهم بالحفاظ على هوية متجانسة حتى العصر الحديث، مما دفع المؤرخين إلى وصفهم، مثل الدروز في لبنان، باسم *"الأقلية المُمركَّزة"*.[5]

دور الهوية الطائفية في سوريا قبل ثورة 2011

تاريخيًا، مثَّلت الاختلافات الدينية أو العقائدية حول الخلافة الإسلامية أو حول مخالفة العقيدة الإسلامية المتبعة دافعًا أقل في الخلافات بين الطوائف في سوريا (ولبنان) مقارنةً بعوامل أخرى يغلب عليها "الطابع العملي". ورغم أن الابتداع الديني بدا بصورة دورية مصدرًا للنزاع المحتدم بين المجتمعات، إلا أن العوامل الأخرى، بما في

[3] Michael Izady, “Syria: Religious Composition (Summary),” map, Columbia University Gulf 2000 Project, 2015.

[4] تبنَّى العَلَويون أفكار الثالوث المقدس من الوثنية، وعقيدة عبادة علي (ابن عم النبي محمد وصهره) من المذهب الشيعي، والتصوف من المذهب الإسماعيلي، وكذلك استخدام النبيذ في المراسم والاحتفال بعيد الميلاد من المسيحية. انظر Farouk-Alli, 2014, p. 209.

[5] مصطلح شائع أطلقه المؤرخ ألبرت حوراني، وتُعتبر *الأقلية المُمركَّزة* هي التي تُشكِّل نسبة كبيرة من السكان في منطقة محدودة أو مقيّدة جغرافيًا. انظر Farouk-Alli, 2014, p. 210.

ذلك الجغرافيا والموقع والضرورات السياسية والاختلافات الطَبَقية وعدم المساواة الاقتصادية، دفعت أيضًا الطوائف في سوريا إلى التجمُّع في وضع تحفُّز دفاعي أو إلى انتقاد معارضيها أو تشويه سمعتهم. على مدار جانب كبير من تاريخهم وحتى العصور الحديثة كان العَلَويون، على سبيل المثال، طائفة أقلية انفصالية عانت في كثير من الأحيان من الحرمان الاقتصادي، والعزلة الجغرافية، والاضطهاد أحيانًا أخرى. نشبت الطائفية بشكل رئيسي بين العَلَويين والسُنَّة عندما نشأت في التاريخ السوري، وأحيانًا كانت تطول الجماعات الشيعية والدروز والمسيحيين.

بداية الهوية الطائفية في مرحلة ما قبل الاستقلال في سوريا

بينما تغطي هذه الدراسة في بدايتها الكثير من التاريخ الطائفي في المنطقة، من المهم هنا أن نلاحظ أن بعض الأحداث الرئيسية في تاريخ سوريا المبكر كانت تنذر بالبيئة الطائفية السائدة اليوم. ظلت منطقة اللاذقية وضواحيها بمعزل عن الأسلمة الشاملة أثناء جهود الحكام المختلفين لجعلهم يعتنقون الإسلام الصحيح، مما سمح للطائفة العَلَوية غرب جبل النصيرية بالتوسُّع بمرور الوقت واقتباس الطقوس من الشيعة مع الحفاظ في الوقت ذاته على هوية منفصلة. لكن التوتّر العَلَوي السُنّي تفاقم بصورة كبيرة في الحروب الصليبية، حيث وجَّه السُنَّة الاتهام للعَلَويين (والمسيحيين) بدعم الأوروبيين، واستمروا في اتهامهم حتى القرن الرابع عشر عندما أصدر العالم السُنّي تقي الدين أحمد بن تيمية (Taqi ad-Din Ahmad Ibn Taymiyyah) فتوى بإعلان النصيرية، كما وصفهم،

> أكثر كفرًا من اليهود والمسيحيين. . . . وليس ثمّة شك في أن قتالهم . . يُمثّل دلالة عظيمة على الطاعة (للّه) حيث إنه أفضل من محاربة المشركين و "أهل الكتاب" [اليهود والمسيحيين] الذين لا يقاتلون المسلمين.[6]

أدى تجنيد العَلَويين في الجيش في عهد العثمانيين في منتصف القرن التاسع عشر إلى كسر العزلة الجغرافية التي وفَّرها جبل النصيرية و"كانت الخطوة الأولى نحو التحوُّل الاجتماعي واندماج العَلَويين في الأجهزة المؤسسية للدولة وكذلك في النسيج

[6] مقتبس من: Nazib Ayubi, *Political Islam: Religion and Politics in the Arab World*, London: Routledge, 1993, pp. 88–89. يُعتبر تأثير ابن تيمية في الحركة الجهادية حاليًا عميقًا للغاية حيث يصوُّره البعض مرجعًا فكريًا للدولة الإسلامية في العراق والشام.

الاجتماعي الأوسع نطاقًا للمجتمع السوري أيضًا".[7] في الوقت ذاته، انطوى التقدُّم الغربي للمصالح السياسية والاقتصادية المتعلقة بإضعاف الإمبراطورية العثمانية على مناصرة المجتمعات الدينية الفردية في سوريا. وحفَّز توفير التعليم (وتنامي القومية العلمانية بين المثقفين العرب) رغبة العَلَويين في الاندماج مع التيار الرئيسي للمسلمين مما قادهم إلى إعلان أنفسهم أتباعًا للإسلام الشيعي.[8]

ومع ذلك، كما ذكر سابقًا، سعى الفرنسيون خلال الانتداب على سوريا ولبنان في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي إلى إضعاف التطلعات القومية المتزايدة للأغلبية السُنِّية وذلك من خلال زيادة حدة الانفصالية الطائفية والانقسام في سوريا.[9] ارتقى الفرنسيون بالوضع الاقتصادي والسياسي للعَلَويين وعرضوا الحكم الذاتي لكنهم لم ينجحوا في قمع الرغبة العَلَوية المتنامية في الاتحاد مع الجماعات الأخرى في دولة سورية واحدة. مهَّدت كل من معاهدة الاستقلال الفرنسية السورية لعام 1936 والفتوى التي أصدرها مفتي فلسطين بأن العَلَويين يعتبرون مسلمين، الطريق أمام التكامل السياسي والاجتماعي رغم بعض الجهود التي بذلها العَلَويون الانفصاليون لمقاومة الحكومة القومية، التي يهيمن عليها السُنَّة، بصورة عنيفة قبل الاستقلال السوري عام 1946 وبعده.[10] بحلول هذا الوقت، كان العرب السُنَّة يهيمنون على فرق الضباط في الجيش السوري ويسيطرون على الحكومة، في حين شكَّل العَلَويون نسبة كبيرة جدًا من جنود الصف العاديين في الجيش.[11] استقطب الجيش الأقليّات من الخلفيات المحرومة وعمل على ارتقائهم اقتصاديًا واجتماعيًا على نحو تصاعدي، و في الوقت ذاته، تجنبت

---

[7] Farouk–Alli, 2014, p. 212.

[8] Farouk-Alli, 2014, p. 213.

[9] League of Nations, "Mandate for Syria and the Lebanon," London, July 24, 1922. في الواقع، أكَّد الفرنسيون على الخلافات الطائفية كذريعة للانتداب. انظر Daniel Neep, *Occupying Syria Under the French Mandate: Insurgency, Space and State Formation*, Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2012, p. 26.

[10] انظر Eyal Zisser, "The Alawis, Lords of Syria: From Ethnic Minority to Ruling Sect," in Ofra Bengio and Gabriel Ben-Dor, eds., *Minorities and the State in the Arab World*, Boulder, Colo.: Lynne Riener Publishers, 1999, pp. 131–133; and Farouk-Alli, 2014, pp. 213–216.

[11] Ayse Tekdal Fildis, "Roots of Alawite-Sunni Rivalry in Syria," *Middle East Policy Council*, Vol. 19, No. 2, Summer 2012.

النخب السُنِّية في المناطق الحضرية خدمات جنود الصف العاديين حيث اعتبرتها "غير مميزة اجتماعيًا".[12]

ساهم الاندماج المجتمعيّ بين الطوائف، التي تطورت تحت راية القومية في مرحلة ما قبل استقلال سوريا، في تمهيد الطريق أمام تأسيس جمهورية مُوحَّدة. لكنه لم يمحُ آثار قرون من تهميش العَلَويين أو كراهية السُنَّة للعَلَويين باعتبارهم أدنى اجتماعيًا وغير مستحقين للتقدم. ويرسي ذلك الأساس للتوتر الطائفي الكامن في ظل أنظمة الأسد.

الهوية الطائفية في سوريا الحديثة: من الاستقلال إلى حكم حافظ الأسد

شكَّل العقد الذي أعقب الاستقلال السوري في عام 1946، فترة من عدم الاستقرار السياسي وعدم اليقين حيث أطاح عدد من الانقلابات بسلسلة من الحكومات في دمشق. تم تأسيس حركتين مهمتين في سوريا وهما الإخوان المسلمون وحزب البعث حيث كان لهما تأثير بارز على التطوُّر السياسي والطائفي في البلاد. نشأت جماعة الإخوان في سوريا خلال ثلاثينيات القرن الماضي باعتبارها حركة اجتماعية وتأسَّست في الأصل في مصر عام 1928. كان توجهها، ولا يزال، إسلاميًا طائفيًا وسُنيًا وهو ما قادها في وقت لاحق إلى الصراع مع نظام حافظ الأسد. على النقيض من ذلك، رسّخ حزب البعث، الذي أسَّسه مسيحي يُدعى ميشيل عفلق (Michel Aflag)، جذوره في كل من سوريا والعراق في أربعينيات القرن الماضي مع التركيز على العلمانية والاشتراكية. كان للحزب دور فعَّال في صعود العَلَويين إلى السلطة في سوريا لاحقًا (رغم سلطته الأقل من سلطة الجيش) ويُعزى الفضل في ذلك إلى أجندته غير التمييزية التي استقطبت طوائف الأقليات. توسَّع نطاق الحزب بسرعة في منطقة اللاذقية وكان بمثابة وسيلة لدمج العَلَويين الأكثر تعليمًا في النظام السياسي السوري. بحلول الوقت الذي أطاح فيه حزب البعث بالحكومة عام 1963، كان العَلَويون قد انضموا مع غيرهم من الأقليات إلى السُنَّة للوصول إلى فرق الضباط في الجيش والمناصب العليا لحزب البعث واندمجوا في المجتمع بصورة كبيرة. في الوقت ذاته، ظهرت نخبة حضرية وطبقة متوسطة يتألف

[12] Farouk-Alli, 2014, p. 217.

معظمهما من السُنَّة، ولكن يشملان أيضًا هذه الأقليات. يُمثل ذلك الوقت المجاملة الطائفية النسبية في سوريا.[13]

بعد فترة من عدم الاستقرار في ظل حكومة حزب البعث، تولى أحد هؤلاء الضباط العَلَويين، حافظ الأسد، السلطة في عام 1970. شدد حكمه، حتى وفاته عام 2000، على معاداة الإمبريالية وإعادة توزيع الثروة على الطبقات الكادحة، وكذلك أكّد على القومية العربية والحنين إلى مجد الإمبراطوريات العربية القديم. وقد سعى ظاهريًا لتهدئة الانقسامات الطائفية من خلال العلمانية، ولكنه اختار أيضًا مجموعات طائفية مختلفة وطور شبكات ميراثية لتعزيز حكمه. علاوة على ذلك، اعتنق مذهب الرمزية الإسلامية باعتباره وسيلة لجذب الدعم السُنّي، بما في ذلك الصلاة في المساجد السُنّية والذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج مثل الزعماء المسلمين الآخرين في الشرق الأوسط. أعلن العَلَويون التابعون له عن طائفة شيعية تحت رعاية رجل دين إيراني مؤثر في لبنان، آية اللّٰه موسى الصدر (Ayatollah Musa Sadr)، مما ساعد على تشكيل المصالح السياسية المشتركة بين العَلَويين والنظام من جهة والأقلية الشيعية الصغيرة في سوريا من جهة أخرى، ووضع الأساس لتحالف استراتيجي مع إيران. ساعد كل ما سبق الأسد، مُتَّبع المنهج العلماني، على تعزيز مكتسباته الإسلامية، لكن استخدامه للدين "لم يكن أكثر من أداة مفيدة للتأثير في السياسة".[14]

كانت علمانية حافظ الأسد وخياره المشترك للطوائف المختلفة في سوريا عاملاً أساسيًا في بقائه وسلطته من خلال تهميش وضعه باعتباره من أقلية عَلَوية مع تصوير الطائفة العَلَوية على أنها التيار السائد. ومع ذلك، كان حكم الأسد من خلال الدوائر الشخصية المناصرة له. ورغم تعيينه للسُنَّة في مناصب رئيسية، بما في ذلك وزير دفاعه المُعيّن منذ فترة طويلة، مصطفى طلّاس (Mustafa Tlas)، كانت العضوية الأساسية للنخبة الحاكمة ممتدة ظاهريًا إلى عائلته وقبيلته والطائفة العَلَوية. أنشأ الأسد "دولة *المخابرات*" والتي شملت مستويات متعددة من الجهاز الأمني لضمان تحديد التهديدات الداخلية والقضاء عليها، ولو بالعنف في بعض الحالات. ومن الجدير بالملاحظة أن بعد مرور ثلاث سنوات من الصراع الداخلي ضد الإسلاميين وُصف بأنه

---

[13] انظر Steven Heydemann, *Authoritarianism in Syria: Institutions and Social Conflict 1946–1970*, Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1999.

[14] انظر Farouk-Alli, 2014, p. 219. كما أضاف الأسد تعديلًا على الدستور السوري الذي ينص على أن الرئيس يجب أن يكون مسلمًا، وهو شرط طرحه مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا في خمسينيات القرن العشرين.

"وشيك من حرب أهلية". قمعت حكومة حافظ الأسد انتفاضة مستوحاة من جماعة الإخوان المسلمين في حماة في شباط (فبراير) 1982 قمعًا دمويًا، وحاصرت المدينة لمدة شهر تقريبًا وقتلت ما يقدر بنحو 20,000 شخص، وهو الحدث الذي قضى بصورة أساسية على الإخوان المعادين للعلمانية بوصفهم قوة سياسية في سوريا.[15] خاطر الأسد، حتى مجزرة حماة، بفقدان دعم قطاعات كبيرة من قاعدته التأسيسية، بما في ذلك عمال القطاع العام والطبقة الوسطى الحضرية.[16] استخلص ابنه بشار الأسد الدروس المستفادة من هذا الفصل في التاريخ السوري حيث يتضح ذلك في ردود فعله الوحشية على انتفاضة 2011.

داخليًا، حافظت حكومة حافظ الأسد على قبضتها المُحكَمة على السلطة من خلال عدد من الاستراتيجيات المُعقَّدة التي نفَّذها حزب البعث. وفي الوقت الذي منح فيه حافظ الأسد جماعات الأقليات امتيازات وإمكانات وصول، بما في ذلك طائفته العَلَوية، فقد أدام العلمانية مع تمكين شبكات رجال الدين السُنَّة التي توافق عليها الحكومة. وقد عمل من الناحية الاقتصادية على تأمين ثروات طبقات التجار السُنَّة والمسيحيين مقابل تقديم ولائهم له. كما استخدم الطائفية للتقسيم والسيادة لكن تحت ستار الوحدة الوطنية والعلمانية. وعلى الصعيد الخارجي، فإن تركيز حافظ الأسد على قضايا القومية العربية ومقاومة إسرائيل، بما في ذلك دعم الجماعات الشيعية مثل حزب الله اللبناني والجماعات الإسلامية الفلسطينية السُنِّية مثل حماس وحركة الجهاد الإسلامي، ساعد على استقطاب دعم ذي قاعدة عريضة وعلى صرف جهات المراقبة الانتباه عن حقيقة وجود أقلية حاكمة في سوريا من خلال التأكيد على القومية غير الطائفية. ووطَّد حافظ الأسد كذلك علاقة استراتيجية وثيقة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية عندما تم حل الاتحاد السوفيتي، راعي سوريا منذ أمد طويل، في أوائل التسعينيات.[17]

لقد كان استخدام حافظ الأسد للقومية والعلمانية وسيلة للحفاظ على قبضته المحكمة على السلطة لمدة 30 عامًا، وهناك قطاعات كبيرة من المجتمع السوري

[15] Volker Perthes, *The Political Economy of Syria Under Assad*, London: I. B. Taurus and Company, 1997, p. 136.

[16] Perthes, 1997.

[17] Emile Hokayem, *Syria's Uprising and the Fracturing of the Levant, Adelphi Series*, Vol. 53, No. 438, June 14, 2013, p. 18. انظر أيضًا Heydemann, 1999.

"تم دمجها ظاهريًا في النظام وخطابه القومي الشامل".[18] ولكنه استمد قوته أيضًا من استغلال المصالح الجماعية. ويستند جوهر قاعدة سلطته إلى أساس عَلَوي. وقد استفادت هذه الطائفة كثيرًا في فترة حكمه على الصعيدين الاقتصادي والسياسي سواء، وهو الأمر الذي أدى إلى غضب دفين لدى العديد من السوريين وارتباطهم بالنظام الحاكم ارتباطًا لا سبيل للخروج منه.[19] أدت هذه الامتيازات وهذا الغضب، الذي ارتفعت حدته خلال حكم بشار الأسد ابن حافظ، إلى غرس بذور الطائفية لاحقًا أثناء الحرب الأهلية من خلال تقديم جماعات سُنِّية متطرفة لروايات مناهضة للطائفة العَلَوية ومناهضة للنظام تستقطب فئات أوسع نطاقًا من الجماهير السورية.

الهوية الطائفية المعاصرة في سوريا في عهد بشار الأسد

واصل بشار الأسد تطبيق سياسات والده واستراتيجياته بعد وفاته عام 2000، وتبنى كذلك سياسات اقتصادية متحررة أدت إلى حرمان قاعدة السلطة التقليدية لآل الأسد من الحقوق بين السكان الريفيين والطبقة العاملة إلى جانب إدامة الفساد بل وتعميقه وانتشار "حالات عدم المساواة القائمة على سياسة المتن – الهامش".[20] ساعد الإحباط إزاء محسوبية الحكومة السورية وعدم قدرتها على تقديم الخدمات الأساسية للمهمشين، وليس التوتر الطائفي أو العداوة، على تأجيج الاحتجاجات الأولية في آذار (مارس) 2011.

وفي سياق متصل، شجعت تصرفات بشار في العقد السابق للثورة أيضًا على إنشاء بيئة يسهُل فيها استغلال الطائفية بشكل أكبر لدعم أجندات سياسية وأيديولوجية بمجرد أن تحوَّل النظام العام إلى صراع مفتوح. ولتوطيد سلطته، عزل بشار المتعصبين السنَّة من إدارة والده في عام 2005 لصالح أفراد عائلة الأسد، مما زاد من هيمنة العَلَويين على النظام. ثانيًا، أثرت سياسات بشار الاقتصادية نخبة جديدة سيطر عليها العَلَويون تتفاخر بثروتها و"أصبحت رمزًا واضحًا لتجاوز النظام" وزادت من العداوة والضغينة بين

---

[18] Phillips, 2015, p. 366. لمعرفة المزيد حول طريقة خيار الأسد المشترك لقطاعات كبيرة من المجتمع السوري باستخدام العلمانية والقومية، انظر Perthes, 1997; and Hanna Batutu, *Syria's Peasantry, The Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1999.

[19] Farouk-Alli, 2014, p. 220.

[20] Benedetta Berti and Jonathan Paris, "Beyond Sectarianism: Geopolitics, Fragmentation, and the Syrian Civil War," *Strategic Assessment*, Vol. 16, No. 4, January 2014, pp. 22–23. انظر أيضًا Bassam Haddad, *Business Networks in Syria: The Political Economy of Authoritarian Resilience*, Stanford, Calif.: Stanford University Press, 2012.

الطوائف الأخرى التي بدأت تستاء من العَلَويين بسبب ما يستمتعون به من استحقاقات اقتصادية وسياسية.[21] وقد ساعد ذلك على ربط المجتمع العَلَوي ربطًا لا ينفصم عن نظام الأسد. ثالثًا، تخلَّت الحكومة بشكل متزايد عن الخدمات الاجتماعية وغيرها من الخدمات على المستوى المحلي حيث تولى شؤونها مجموعات غير حكومية يتم تحديدها على أساس الدين أو الطائفة. وأخيرًا، فإن سياسة بشار في العراق التي تهدف إلى إضعاف احتلال الولايات المتحدة ومصالحها في العراق عن طريق تيسير نقل المقاتلين الجهاديين تركت الباب مفتوحًا أمام عودة هؤلاء المقاتلين إلى سوريا وانتشار أيديولوجياتهم المتطرفة.[22]

بينما لم تبدُ الطائفية واضحة ظاهريًا في العقد الأول من حكم بشار، أكدت الأعمال الميدانية لأحد علماء الأنثروبولوجيا في سوريا في تسعينيات القرن العشرين على عودة الانتماء الطائفي الذي لا يستند إلى الدين أو لمخالفة العقائد المتبعة ولكن إلى مجموعة عوامل تتمثل في المصلحة المجتمعية والطبقية والمنطقة.[23] ومن الجدير بالملاحظة أن العَلَويين، الذين كانوا يومًا مضطَهَدين، مروا "بتحوُّل مذهل للثروة خلال فترة تعيها الذاكرة" حيث حلوا محل النخب الحضرية التقليدية (يُعد أغلبهم من السنَّة ولكن بالانتماء فقط). وفي ضوء ذلك ذكرت الكاتبة أن "كل مجموعة تعوِّل على مزِيّة الأخرى: يرمي العَلَويون إلى الازدهار الدائم للأمراء التجار في دمشق [السُنَّة]، في حين يتطلع الدمشقيون [السُنَّة] إلى تحكم العَلَويين الجيد في الترخيص والتهريب".[24] وبذلك، فإنه رغم أن العداء الطائفي لم يكن سمة رئيسية للمجتمع السوري في عهد بشار، إلا أن وجوده باعتباره تيارًا خفيًا سمح بظهوره على الساحة لاحقًا عندما أدت العوامل السياسية إلى انهيار العلاقات بين المجتمع المدني والحكومة.

الطائفية في سوريا بعد ثورة 2011

بدأت الانتفاضة ضد نظام بشار الأسد في صورة تمرد غير طائفي (أو تمرد متعدد الطوائف) ضد الحكم الاستبدادي والفساد وعدم المساواة الاجتماعية وسوء الحوكمة.

---

[21] Phillips, 2015, p. 367.

[22] Phillips, 2015, pp. 366-368.

[23] انظر Christa Salamandra, “Sectarianism in Syria: Anthropological Reflections,” *Middle East Critique*, Vol. 22, No. 3, 2013, pp. 303–306.

[24] Salamandra, 2013, p. 305.

واعتمدت عملية حشد الجماعات الداخلية المختلفة على المنطقة التي يعيش فيها أعضاء الجماعات وعلاقتهم بالحكومة أكثر من الاعتماد على الانتماء الديني. وينطبق ذلك بصفة خاصة عند النظر إلى بداية الانتفاضة التي اندلعت في مدينة درعا جنوب سوريا، وهي منطقة زراعية فقيرة تضم طوائف مختلطة عانت كثيرًا من افتقار الخدمات الحكومية بموجب سياسات الأسد الاقتصادية.[25] ويُعتبر الاستياء المجتمعي هو السبب الرئيسي في تأجيج التمرد وليس الدافع الأيديولوجي أو الطائفي، رغم أن التمرد كان يغلب عليه الطابع السُنِّي. ومن الجدير بالملاحظة أن الأسد، في بعض الأحيان، وجَّه سلاحه صوب طائفته: فقد قصفت البحرية السورية مدينة اللاذقية ذات الأغلبية العَلَوية ردًا على المظاهرات المناهضة للحكومة في أغسطس 2011.[26] وعلى نحو مماثل، فمن المعروف عن تنظيم الدولة الإسلامية أنه يقاتل جماعات مسلحة سُنِّية متنافسة، بما في ذلك من يُطلق عليهم لفظ "الجهاديين"، بقدر قتالهم للشيعة وغيرهم من العناصر المسلحة غير السُنِّية.

ومع ذلك، سرعان ما اتخذ الصراع صبغة طائفية بسبب الطريقة التي استجابت بها حكومة بشار الأسد وتدخل الجهات الفاعلة الإقليمية الخارجية ذات الأجندات السياسية المتضاربة وكذلك المشاركة واسعة النطاق للجماعات المتطرفة باعتبارهم مقاتلين رئيسيين في الساحة السورية. أثارت أعمال كلا الجانبين الخصومة بين السنَّة والعَلَويين لأسباب مجتمعية وليست عقائدية. أشار غراهام فولر (Graham Fuller) إلى أن:

> المشكلة هي أنه إذا نظرنا إلى هذه الصراعات من خلال منظور ديني بالدرجة الأولى، فإننا بذلك نستعرضها باعتبارها فعليًا صراعات "بدائية"، وهي لا تقبل الحلول المنطقية مطلقًا. لكن النظر إلى تلك الصراعات باعتبارها صراعات على السلطة أو تنافس على المصالح، سيقلل، على الأقل، من المشكلة إلى مجرد قضايا صغيرة تتعلق بظروف متغيرة للحكم السياسي. من المثير للدهشة كيفية اختفاء الاختلافات الطائفية مرة أخرى سريعًا في ظل ظروف النظام الاجتماعي والرخاء، بينما يكون لأفراد كلتا الطائفتين مصالح أخرى تستقطب انتباههم بدلاً من مجرد السعي وراء التنافسات الطائفية. لكن في الوقت الحالي، لا تتوفر لدينا أي ظروف نظام اجتماعي أو رخاء؛ فقد أسفر تدمير العراق في الغزو الأمريكي والحرب الداخلية

---

[25] انظر Joshua Landis, "The Syrian Uprising of 2011: Why the Asad Regime Is Likely to Survive to 2013," *Middle East Policy Council*, Vol. XIX, No. 1, Spring 2012, p. 6.

[26] Michael J. Totten, "Assad Shells Alawite Stronghold," *World Affairs Journal*, August 13, 2011.

التي أعقبت ذلك في سوريا عن نشأة الظروف المثلى لظهور الكراهية الطائفية الحالية في أكثر أشكالها عنفًا وعاطفية.[27]

تتجلى الطبيعة المُعقَّدة للحرب الأهلية السورية في نهج وسلوك بعض القبائل في منطقة الرقة، التي يسيطر عليها الآن تنظيم الدولة الإسلامية. أما النُخَب القبلية التقليدية التي تميل إلى التأييد الظاهري للطرف الأقوى لتضمن تجنب القبيلة للعنف والقمع فهي تُمثِّل مصادر مهمة للتعبئة المحلية. قبل انتفاضة 2011، على سبيل المثال، كانت عشيرة البريج السُنِّية التابعة لقبيلة العفادلة أقرب حليف لحكومة بشار الأسد في الرقة. وفي أعقاب الانتفاضة مباشرةً، جنَّد الأسد مقاتلي البريج باعتبارهم من ميليشيا *الشّبيحة*، وهي قوة شبه عسكرية من أنصار النظام (معظمهم من العَلَويين في أجزاء أخرى من البلاد) تم إنشاؤها لقمع المظاهرات بعنف ومهاجمة النشطاء المعارضين لنظام الحكم. ومع ذلك، عندما أصبح تنظيم الدولة الإسلامية هو القوة المهيمنة في المنطقة هناك، استقطب العشيرة بفعالية وأصبح ولاء العشيرة للتنظيم. وفي منتصف عام 2014، قدمت له العشيرة شريحة مهمة من المقاتلين المحليين. لا توجد علاقة كبيرة بين الطائفية والولاءات القبلية التي تنبع من الدوافع المعقدة التي يغلب عليها الطابع البراغماتي فيما يخص الحماية الذاتية والتنافسات المحلية.[28]

استغل العديد من الأطراف الرئيسية في الصراع، الهوية الطائفية لضمان دعم الأنصار وزرع الخوف، في حين أن العناصر الأكثر تطرفًا على كلا الجانبين "يدفعها في الأصل العداء الطائفي" باعتباره مسألة أيديولوجية.[29] وهناك عَلَويون ومجموعات أقليات أخرى يعارضون حكومة بشار الأسد، وهناك سنَّة يراهنون على نجاح تلك المعارضة، وذلك لأسباب تتعلق بالمعتقد السياسي أو الرفاه الاقتصادي. من الواضح إذن أن النزاع لا ينقسم بصورة منظمة على أسس طائفية.

---

[27] Graham E. Fuller, "Why Does ISIS Hate Shi'a?" lobelog.com, December 17, 2014.

[28] Felix Legrand, "The Colonial Strategy of ISIS in Syria," *Arab Reform Initiative: Policy Alternatives*, June 2014, p. 6.

[29] M. Zuhdi Jasser, "Sectarian Conflict in Syria," *PRISM, Vol. 4: Syria Supplemental*, Center for Complex Operations, National Defense University, 2014, p. 60.

إشعال حكومة بشار الأسد فتيل التوتر الطائفي لضمان البقاء

كان رد الحكومة على الاحتجاجات السلمية في عام 2011 ردًا عنيفًا وهو الأمر الذي لم يجبر المعارضة على حمل السلاح فحسب، بل على إظهار الهوية الطائفية باعتبارها عاملاً في النزاع. لقد سعى نظام الأسد، الذي يتمثل هدفه الأسمى في البقاء، إلى تضخيم المخاوف الطائفية بين العَلَويين والشيعة للحفاظ على قاعدة أنصار قوية، وكذلك بين المسيحيين والدروز للحفاظ على حيادهم إن لم يحظوا بدعمهم. استقطب النظام دعم إيران العسكري والسياسي والمالي،[30] حيث جندّت إيران بدورها ميليشيات شيعية خارجية مستخدمةً الخطاب المعادي للسُنَّة وداعيةً إلى الدفاع عن الأماكن الشيعية المقدسة في سوريا (انظر قسم الجهات الخارجية الفاعلة لاحقًا في هذا الفصل).

وفي محاولة سابقة، استخدم النظام الخطاب الطائفي باعتباره وسيلة للإبقاء على صورة الأقليات المُحاصرة التي يعتمد رفاهها على الوحدة مع الحكومة وصورة القوى المعارضة المتمثلة في إسلاميين متطرفين مدعومين بمؤيدين أجانب. بعد فترة وجيزة من الاحتجاجات الأولية، بدأ الإعلام السوري التابع للدولة في الإشارة إلى المتظاهرين (الذين كانوا في الغالب من السُنَّة ولكن في الواقع من جميع الطوائف) باعتبارهم إسلاميين طائفيين. تم استخدام *الشَبّيحة* لتوصيل الأكياس الرملية إلى القرى العَلَوية بحجة حمايتهم من غضب السُنَّة الثائرين بالقرب منهم، لكن الهدف الحقيقي كان يتمثل في زرع الخوف في طائفة العَلَويين. في وقت لاحق، عندما دفعت خسائر ساحة المعركة النظام إلى تجنيد عناصر طائفية خارجية مثل حزب الله والميليشيات الشيعية العراقية، بدأ النظام أيضًا في إنشاء وحدات دفاع محلية على أساس طائفي بين الدروز والمسيحيين والعَلَويين وسمح بالظهور العلني للرموز الطائفية (مثل النجم الدرزي والسيف الشيعي) إلى جانب الرموز الوطنية، وهو الأمر الذي كان محظورًا قبل التمرد.[31]

تُمثل معركة عام 2013 على مدينة القصير في مُنطقة سُنِّية – شيعية مختلطة بالقرب من الحدود مع شمال شرق لبنان نقطة تحوُّل مهمة أدت إلى تفاقم الاتجاه الطائفي للنزاع. هاجمت قوات حزب الله اللبنانية القرى السُنِّية المحيطة، واستولت، بالتحالف مع وحدات الجيش السوري، على المدينة من جماعات الثوار السُنَّة في حزيران (يونيو). من الناحية الاستراتيجية، يمكن النظر إلى ذلك باعتباره محاولة من جانب نظام

---

[30] انظر Mohsen Milani, “Why Tehran Won’t Abandon Assad(ism),” *Washington Quarterly*, Vol. 36, No. 4, Spring 2013, pp. 79–93.

[31] Phillips, 2015, p. 369.

بشار الأسد لتعزيز خطوط الاتصال بغرض الحصول على الدعم من الأراضي اللبنانية. ومع ذلك، فإن دخول هذه الجماعة الشيعية المسلحة البارزة في الحرب الأهلية السورية دعمًا للنظام ساعد أيضًا على التأكيد على الطبيعة الطائفية لدعم الأسد وتكثيف الخطاب الطائفي السُنّي، لا سيّما الوارد من مصادر خارجية.[32]

يشير النظام عمومًا إلى المعارضة السُنّية التي يسيطر عليها العرب باسم *التكفيريين* الذين يشكلون تهديدًا خطيرًا على الأقليات العِرقية والدينية في سوريا.[33] وقد نُقل على لسان الأسد نفسه مرارًا وتكرارًا حديثه عن تلك القضية، فعلى سبيل المثال صرّح الأسد في اجتماع مع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية قائلًا: "يستهدف العدوان الإرهابي على المنطقة والعقلية *التكفيرية* المتطرفة الكامنة وراءه، النسيج الاجتماعي والثقافي المتنوع في المنطقة بشكل عام وسوريا بشكل خاص".[34] ولن يكون هناك سوى تمييز غير ملحوظ بين المتطرفين السُنّة في المعارضة، مثل داعش وجبهة النصرة، وبين العناصر الأكثر اعتدالاً في الجيش السوري الحر أو الائتلاف الوطني، في حال الإشارة إليهم جميعًا على أنهم "إرهابيون" والتأكيد على طبيعتهم السُنّية. في مقابلة مع صحيفة *"لو فيغارو"* عام 2013، علّق الأسد قائلاً: "نحن نحارب الإرهابيين. . . . ينتمي 90–80 في المئة إلى تنظيم القاعدة. إنهم غير مهتمين بالإصلاح أو بالسياسة. الطريقة الوحيدة للتعامل معهم هي القضاء عليهم".[35]

لقد سعى النظام إلى تضخيم الطبيعة الطائفية للعنف الذي ترتكبه المعارضة، مؤكدًا على وحشيتها كوسيلة لإذكاء المخاوف بين العَلَويين والمسيحيين والأقليات الأخرى التي لا يمكنها العيش بأمان في ظل حكومة يسيطر عليها السُنّة في سوريا.[36] فوسائل الإعلام الحكومية تنشر على نطاق واسع حالات تطهير طائفي على يد جماعات

---

[32] انظر Steven Heydemann, “Syria’s Uprising: Sectarianism, Regionalisation, and State Order in the Levant,” Fundación para las Relaciones Internacionales y el Diálogo Exterior working paper 119, May 2013; و Aaron Reese, “Sectarian and Regional Conflict in the Middle East,” Middle East Security Report 13, Institute for the Study of War, July 2013.

[33] *التكفيري* هو مسلم يتهم مسلمين آخرين بأنهم مرتدون ويستحقون الموت (Philip Smyth, *The Shiite Jihad in Syria and its Regional Effects*, Washington Institute for Near East Policy, Policy Focus 138, 2015).

[34] "الأسد: الإرهاب التكفيري يستهدف النسيج الاجتماعي والثقافي المتنوع في المنطقة" الوكالة العربية السورية للأنباء، 11 حزيران (يونيو) 2015.

[35] مقتبس من Berti and Paris, 2014, p. 24.

[36] Smyth, 2015, pp. 8-12.

إسلامية مقاتلة، في حين أن "تفجيرات السيارات المفخخة، بما في ذلك الانفجار الضخم في حي المزة 86 العَلَوي في دمشق في تشرين الثاني (نوفمبر) 2012" بدت أنها تبرر الخوف من مذبحة وشيكة على أيدي الجهاديين وهو ما يراه المتطرفون هرطقة عَلَوية.[37] في الوقت ذاته، قدَّم النظام نفسه على أنه حامي الاعتدال الديني والاستقرار لجذب "الطبقة المتوسطة الحضرية متعددة الطوائف والعدد الكبير من البيروقراطيين وموظفي القطاع العام الذين يعتمد وضعهم ومصلحتهم على النظام".[38] استقطبت هذه الرسالة هذا الجمهور، الذي شعر بأن هناك ما يبرر التهديد الذي يمثله تصاعد وزيادة نفوذ الجماعات الجهادية التي تدعو إلى الشريعة الإسلامية وقمع الأقليات. تتمثل استراتيجية النظام في الجمع بين الانقسام القائم على الهوية المجتمعية والشمولية والقومية اعتمادًا على الجمهور المستهدف من الأنصار. لقد سعى بشار الأسد إلى تحقيق توازن دقيق بين رفع عباءة الأمن ومكافحة الإرهاب والقومية لاستمالة جمهور واسع من دوائر الأنصار المحلية والدولية (خاصةً الغربية) من جهة، وإذكاء المخاوف من الاضطهاد الطائفي لجذب الأقليات في سوريا والجهات الفاعلة الخارجية مثل إيران وحزب الله من جهة أخرى.

نمو الطائفية السُنِّية المناهضة للعَلَويين والشيعة في سوريا

في الوقت الذي ظهرت فيه الجماعات الجهادية السُنِّية الراديكالية باعتبارها قوة أكثر هيمنة بين قوى المعارضة سواء على ساحة المعركة أو في نظر العامة، ظهر أيضًا نموذج من الطائفية أكثر تشددًا. وتستند أيديولوجيات هذه المجموعات في الأساس إلى نظرة مذهب الجوهرية للعالم وإلى الرفض الشديد للابتداع كما يطلقون عليه. ويُعتبر الخطاب المناهض للشيعة والعَلَويين (أو المناهض للنصيرية)، وكذلك الأيديولوجية وأعمال العنف، أشد فتكًا من تنظيم الدولة الإسلامية بوجه خاص، وقويًا من جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة لكن على نحو أكثر اعتدالاً إلى حد ما. كما ظهرت الطائفية في المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة تنظيم الدولة لفترة من الوقت حيث كان يجب على المناطق إدارة الخدمات للسكان الخاضعين لسيطرته.

عادةً ما يشير تنظيم الدولة الإسلامية إلى الشيعة باسم *الروافض* الكفار الذين يرفضون الإسلام الحقيقي، ويشير إلى العَلَويين بصفتهم *نصيريين* بنيّة الازدراء والتقليل

[37] Hokayem, 2013, p. 53.

[38] Hokayem, 2013, p. 54.

من شأنهم. صرّح مُمثِّل لتنظيم الدولة الإسلامية في فيديو أنتجه مكتب الإعلام في ولاية حماة في آذار (مارس) 2015 أن:

> "*الرافضي* [الشيعي] كافر نجس". قال الله تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ". . . . لن ننسى ما حدث في ثمانينيات القرن العشرين، أو ما فعله النظام النصيري الفاجر بالمسلمين في حماة. ولن ننسى كل قطرة دم مسلم أُريقت على تلك الأرض المباركة. فكما قال الخليفة: "والله، لنثأرن! والله، لنثأرن! ولو بعد حين. ولنرد الصاع صاعات والمكيال مكاييل".[39]

رغم أن أيديولوجية تنظيم الدولة الإسلامية وخطابه معاديان بشدة للشيعة، فقد قاتل كثيرًا مجموعات معارضة أخرى يهيمن عليها السنَّة في سوريا، وهو ما يُعتبر اختلافًا واضحًا عن مساعيها في العراق. وقد يكون الدافع وراء ذلك هو تفاني التنظيم للسيطرة على الأرض لإقامة الخلافة، وهو مسعى يجعله في مواجهة ضد الجماعات السُنِّية الأخرى في المناطق التي تخلى فيها النظام عن الأرض. علاوة على ذلك، من المهم الملاحظة أن تنظيم الدولة الإسلامية ليس لديه دولة راعية ويعتمد بشكل كبير على التمويل الذاتي. ورغم تقديم بعض أثرياء دول الخليج مساهمات مالية وقدوم متطوعين من هذه الدول للقتال تحت قيادة تنظيم الدولة الإسلامية، فإنه ليس ثمة دليل على وجود دعم مباشر من الحكومتين السعودية أو القطرية، بل إنهما، في الواقع، تريان أن تنظيم الدولة الإسلامية يُمثِّل تهديدًا لمصالحهما الخاصة. ولذلك، فإن الخطاب الطائفي السام والإجراءات التي اتخذها تنظيم الدولة الإسلامية لا ينبغي أن يُنظر إليها أساسًا على أن مصدرها خارجي.[40]

أبرم تنظيم الدولة الإسلامية، أثناء حكمه للمناطق السورية الخاضعة لسيطرته، اتفاقًا مع الأقليات الذين لم يتمكنوا من الهرب أو اختاروا عدم الفرار لأن مقاتليه هزموا قوات النظام والجماعات المتنافسة في شرق سوريا – وهو قرار سياسي صائب اتخذته جماعة متشددة أيديولوجيًا باعتباره وسيلة لحكم سكان يتسمون بالتنوع العِرقي والديني. يفرض هذا الاتفاق ضريبة خاصة (*الجزية*) على المسيحيين الباقين في الرقة ويمنعهم من عرض الرموز الدينية في الأماكن العامة أو إصلاح أو بناء كنائس جديدة أو إهانة الإسلام بأي شكل من الأشكال. كانت *الجزية* تُفرض قديمًا على المواطنين المسيحيين واليهود

---

[39] فيديو "فضرب الرقاب"، ترجمة الموقع، ولاية حماة، تنظيم الدولة الإسلامية، 28 آذار (مارس) 2015.

[40] Gause, 2014. يأتي الكثير من تمويل تنظيم الدولة الإسلامية من مبيعات البترول، والابتزاز، والتهريب.

في ظل حكم الخلفاء المسلمين الأوائل لأنهم كانوا يتمتعون بوضع خاص باعتبارهم "أهل كتاب" (*أهل الذمة*). وكان يُنظَر إلى هؤلاء الأشخاص باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ولكن لديهم حقوق محدَدة محمية بموجب الشريعة. ولكن بدلاً من العمل على حماية الأقليات، كما كان المقصود من العهد في ظل حكم الخلفاء، استغل تنظيم الدولة الإسلامية العهد كشكل من أشكال الحرمان من الحقوق.[41]

تم تخفيف حدة الخطاب الطائفي لجبهة النصرة إلى حد ما مقارنةً بخطاب تنظيم الدولة الإسلامية، مما جعله أكثر انفتاحًا إلى حد ما على تحالفات الهدنة المؤقتة مع جماعات معارضة سُنِّية أقل طائفية، رغم أنها تظل طائفية بقوة من حيث الأيديولوجية والخطاب. ويشير خطاب جبهة النصرة إلى العَلَويين باسم *النصيريين* على سبيل الازدراء (باستثناء المقابلات مع وسائل الإعلام الأجنبية)، ويدعو الشيعة باسم *الروافض* بشكل أقل تواترًا من تنظيم الدولة الإسلامية. لكن بيانات جبهة النصرة الرسمية لا تزال تؤكد أن قتل *الروافض* (الشيعة) واجب، وتوبخ تنظيم الدولة الإسلامية على عدم قتل عدد كافٍ منهم، بل إنها تعتمد على أوجه الشبه بين الشيعة وتنظيم الدولة الإسلامية في منافستها مع تلك الجماعة. وتتهم جبهة النصرة تنظيم الدولة "بالخيانة والغدر والكذب" قائلة بأن "تلك الصفات تشبه صفات *الروافض*".[42]

في مقابلة مع قناة *الجزيرة* في أيار (مايو) 2015، صرَّح أمير جبهة النصرة أبو محمد الجولاني (Abu-Muhammad al-Julani) أنه لن يتم قبول العَلَويين إلا إذا اعتنقوا مفاهيم جبهة النصرة للإسلام قائلاً بأن: "العَلَويين الذين يديرون ظهورهم للنظام، ويتوبون، ويعتنقون الإسلام سيُعتبرون إخوة وسيُغفر لهم".[43] ومن ثم فإن للعَلَويين خيار التحوُّل أو الموت. وقدَّم الجولاني للمسيحيين، في المقابلة ذاتها، خيارًا أكثر تساهلاً رغم دعم الكثير منهم لنظام بشار الأسد موضحًا سبب ذلك بقوله "أننا لسنا في حرب معهم". ووجه حديثه إليهم قائلاً: "إذا تاب المسيحيون، فسيخضعون لقوانين الشريعة وسيدفعون *الجزية*، أو الضريبة المفروضة على *أهل الذمة*. وبناءً على ذلك، تطلب جبهة النصرة اعتناق الإسلام من العَلَويين، وليس من المسيحيين. وفي المناطق الواقعة تحت سيطرتها، بدا

---

41 Charles C. Caris and Samuel Reynolds, *ISIS Governance in Syria*, Middle East Security Report 22, Institute for the Study of War, July 2014, p. 16.

42 Al-Nusra, "The Group of 'Dawlah'—and the Islamic Ruling Regarding It," SITE translation, March 5, 2015a.

43 Pieter Van Ostaeyan, "Al-Jazeera: Interview with Jabhat al-Nusra Amir Abu-Muhammad al-Julani," blog post, translation, May 27, 2015.

أن جبهة النصرة تقدم في إحدى البلدات الطعام، والكهرباء، والماء، والرعاية الصحية "من عيادة طبية صغيرة تُعالج جميع الوافدين، بغض النظر عن قسمهم بالولاء للإمارة أم لا".[44] ومع ذلك، ورغم أن الاختلافات بين تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة المتنافسين قد تترك الأخيرة أكثر قابلية للعمل مع جماعات المعارضة الأخرى، فإن كليهما يظل طائفيًا للغاية من ناحية الخطاب، والأيديولوجية، والأفعال.

استفحال الطائفية في سوريا على يد الجهات الفاعلة الخارجية

إن الصراع على السلطة بين كل من المملكة العربية السعودية، وإيران و"تكتلاتهما" في الصراع السوري أقل من أن يوصف بأنه عامل أصلي في الانتفاضة، وهو أقرب من أن يوصف بأنه عامل تحفيزي يستغل مشجعي الطائفية المتزايدة في الصراع ويوظفها في إطار التنافس الجغرافي الاستراتيجي بين البلدين. تتنافس كل من المملكة العربية السعودية السُنِّية، وإيران الشيعية على تصدر المشهد وفرض النفوذ إقليميًا، وتسعى كلتاهما إلى الاحتفاظ بأنظمتهما السياسية المتناقضة، وفرض مطالبهما المتعارضة لقيادة العالم الإسلامي. يرتبط هذا التنافس على النفوذ ارتباطًا قويًا بالطائفية في الصراع السوري، وسيتم تسليط الضوء عليه بشكل تفصيلي أكبر في الفصل السادس. يوفر تقديم الموارد والدعم من الجانبين السعودي والإيراني للقوى المتنازعة في سوريا، بالاقتران مع نداءات الشيوخ من السُنَّة أو الشيعة على كلا الجانبين بالجهاد ضد بعضهم، أرضًا خصبة لترسيخ الاتجاهات الطائفية في النزاع.

وقد قدمت طهران بشكل مدروس سيلاً من الميليشيات والمقاتلين الأجانب إلى سوريا لدعم النظام، وذلك إلى جانب دعم حكومة بشار الأسد بالمعدات العسكرية، والتدريب، والمشورة. أصبح هذا الجهد ملحًا في 2012 بعد التهديد المتزايد لبقاء حليف إيران المقرب في دمشق بسبب خسائر المعارك المتزايدة التي تكبدتها قوات الحكومة السورية.[45] عرض حزب الله اللبناني تقديم مقاتليه وخبرته الكبيرة في الحروب للمساعدة على تعزيز خطوط التواصل الرئيسية في سوريا، ولاستعادة خسائر الحكومة في الأرض في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية الحيوية. كان الدافع الأول والأخير لحزب الله هو قلقه البالغ من احتمالية خسارته لحليف قوي في دمشق، ومصدره الرئيسي للحصول على

---

[44] Geith Abdul-Ahad, "Syria's al-Nusra Front—Ruthless, Organised and Taking Control," *Guardian*, July 10, 2013.

[45] Luke Harding, Miriam Elder, and Peter Beaumont, "Assad Losing Syria War, Russia Admits for First Time," Guardian, December 13, 2012.

السلاح وغير ذلك من أشكال الدعم من طهران. كما أنه شارك في الانقسام الطائفي. لكن كان يجب عليه توخي الحذر الشديد نظرًا لوضعه في لبنان باعتباره جزءًا من الحكومة وحيث يمكن للنهج الطائفي العلني تجاه الحرب أن يُفاقم التوترات الموجودة مع طوائف الشعب اللبناني الأخرى ولا سيّما السُنَّة.

ورغم ذلك، وعلى نطاق أوسع، فقد ناشدت طهران المقاتلين الأجانب الآخرين والمجموعات للسعي نحو الجهاد الشيعي للدفاع عن إخوانهم من الشيعة ومقدساتهم لتقحمهم بذلك في الحرب الأهلية السورية في صف بشار الأسد. وظهرت منظمات الميليشيات الشيعية في سوريا مُؤلفة من مقاتلين من لبنان والعراق وباكستان وحتى أفغانستان تدفعهم رغبتهم المشتركة لقتال الجهاديين *التكفيريين* وحماية إخوانهم في المذهب.

كان العنصر الرئيسي لاستقطاب المجموعات الشيعية من الخارج هو الدفاع عن المقام المقدس ذي القبة الذهبية للسيدة زينب، أخت إمام الشيعة الثالث الشهيد الحسن بن علي بن أبي طالب (al-Hussein Ibn Ali Ibn Abi Talib) الواقع في جنوب دمشق. حاملين شعار *"لبيك يا زينب!"* تردد هتاف "لبيك يا زينب!" في جنازات المقاتلين اللبنانيين والعراقيين الذين لقوا حتفهم في سوريا، وتصدرت القبة الذهبية المميزة للمقام المشهد في لافتات الاستشهاد الشيعية.[46] وقد أعلنت مجموعة اللواء أبو الفضل العباس، إحدى أهم المجموعات الشيعية المسلحة في سوريا، في أول بيان رسمي لها في حزيران (يونيو) 2013 أن هدفها الوحيد كان "الدفاع عن المواقع المقدسة في سوريا".[47] ومع دق الحرب لطبولها، فقد ظهر أحد أشكال "موالاة الشيعة" الذي تزعم من خلاله جماعات مسلحة شيعية، بالإضافة إلى إيران نفسها، حمايتها للمواقع المقدسة علاوة على الحفاظ على المجتمع الشيعي على نطاق أكبر.[48]

وفي إطار شيطنة المعارضة، فقد أطلقت إيران والمجموعات الشيعية مثل حزب الله لقب *التكفيريين* على المعارضة.[49] لاقت هذه التعبيرات دعمًا من المرشد الأعلى

---

[46] Smyth, 2015, pp. 3–4.

[47] Smyth, 2015, Appendix 2, p. 2.

[48] Smyth, 2015, pp. 7-8.

[49] أوردت قناة المنار، وهي القناة الإخبارية الرسمية لحزب الله عدة أمثلة عن استخدام مثل هذه اللغة. انظر على سبيل المثال: "الإرهابيون التكفيريون يرتكبون مجزرة ضد السوريين الدروز في ريف إدلب"، *المنار*، 11 حزيران (مايو) 2015، و"حزب الله، والجيش السوري يتقدمان في جرود الجراجير"، *المنار*، 12 حزيران (مايو) 2015.

الإيراني والذي بالرغم من عدم إصداره فتوى عامة حول الحرب، فإن هناك أقاويل عن تشجيعه لرجال دين تابعين له لإصدار فتاويهم الخاصة التي تُبرر الجهاد في سوريا، وأصدر إلزامات (*تكليفات شرعية*) للمجموعات الشيعية المسلحة للانضمام للقتال. وكان يُنظر إلى التقاعس عن أداء هذه التكليفات على أنه عصيان لكلمة الرب.[50]

كما قدمت الجهات الفاعلة السُنِّية الخارجية، التي تشمل المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا بالإضافة إلى رجال دين بصفة فردية، دعمها بشكل غير مباشر لجماعات المعارضة السورية ودوافعهم لإيقاع الهزيمة بحكومة بشار الأسد من زاوية طائفية، على الرغم من عدم التصريح بذلك على نحو مُوحَّد. سمحت تركيا للمقاتلين الأجانب بالعبور إلى سوريا أثناء الأيام الأولى للثورة ضد بشار الأسد، ولم تسع إلا مؤخرًا لتضييق الخناق بشكل منهجي على هذه التحركات.[51] كما سعت تركيا إلى حماية الأقلية السورية التركمانية المُقدَّرة بنحو 200,000 شخص، وتُعتبر من العشائر العِرقية، وقدمت الدعم للميليشيات التركمانية.[52] سعى السعوديون إلى استغلال الطائفية في سوريا للإطاحة بحليف إيران في دمشق، إلا أنها دعمت بصورة مبدئية جماعات الثوار الأقل طائفية في سوريا، وهي الجيش السوري الحر، والمجموعات الأخرى المناهضة للأسد في سوريا والتي تجنبت التحالف مع جماعة الإخوان المسلمين التي دخلت في مواجهات مع السعوديين في الماضي. انضمت إليهم الإمارات العربية المتحدة التي سعت لدعم قوات الثوار المناهضة للإسلاميين ضد نظام الأسد، كما أنها شاركت في تحالف لتوجيه ضربات جوية ضد تنظيم الدولة الإسلامية.[53] وأفضت قلة النجاحات التي أحرزها الجيش السوري الحر على أرض المعركة بالسعوديين لتحويل بعض من دعمهم إلى جماعات سلفية ذات نزعة طائفية أكبر، مثل الجبهة الإسلامية، إلا أنهم ظلوا على موقفهم بالامتناع عن

---

[50] Smyth, 2015, p. 16. رفض آية الله العظمى، القائد الديني المبجل لدى الشيعة والمقيم في النجف بالعراق، إصدار فتوى تحض على جهاد الشيعة في سوريا. ويمكن التكهن بأن القائد الأعلى تجنب إصدار فتاوى تدعم الجهاد للأتباع حتى يتجنب الدخول في خلاف علني مع آية الله العظمى.

[51] "Turkey Cracks Down on Foreign Fighters Crossing Border to Join ISIS," CBSnews.com, September 29, 2015.

[52] استُهدفت هذه الميليشيات مؤخرًا في غارات جوية روسية. انظر Ihsaan Tharoor, "Syria's Turkmen Rebels, the Group at the Center of the Russia-Turkey Clash," *Washington Post*, November 24, 2015.

[53] Alissa Fromkin, "Part Three: UAE Foreign Policy in Iraq and Syria," *International Affairs Review*, Elliott School of International Affairs at George Washington University, March 5, 2015.

تقديم الدعم لجبهة النصرة المتصلة بالقاعدة وبالتأكيد تنظيم الدولة الإسلامية.[54] ومن ناحية أخرى، دعمت قطر، وهي عضو أيضًا في التحالف المناهض لتنظيم الدولة الإسلامية، الثوار الإسلاميين وأفادت التقارير سعيها نحو جعل جبهة النصرة أكثر جاذبية باعتبارها "أقل شرًا" من تنظيم الدولة الإسلامية.[55]

لكن في الوقت ذاته، دعمت المملكة العربية السعودية وقطر على السواء كلاً من جيش الإسلام وأحرار الشام الذين عملوا مباشرة مع جبهة النصرة ويسعون لتطبيق الشريعة الإسلامية في سوريا بأكملها. اعتبر كل من السعودية وتركيا وقطر زهران علوش (Zahran Alloush) قائدًا للمعارضة المعتدلة، وهو قائد جيش الإسلام في 2013 عند اندماجه مع الجبهة الإسلامية السورية والذي أصبح قائدًا عسكريًا للجبهة الإسلامية السورية وقُتل في 25 كانون الأول (ديسمبر) 2015 في ما يُعتقد أنه كان غارة جوية روسية. إلا أن خطابه كان سلفيًا، وكان مناهضًا شرسًا للشيعة، ودعا إلى إقامة خلافة أموية في المنطقة. صرح علوش في مقطع فيديو له في أيلول (سبتمبر) 2013 قائلاً: "سندفن رؤوس الرافضة الأنجاس في النجف بإذن الله. مجد الأمويين سيعود إلى الشام على الرغم منكم".[56] وأوردت التقارير بأن علوش التقى مرات عدة مع قادة جبهة النصرة، وقدم نموذجًا للدعم الخارجي للجهات الفاعلة السُنِّية الطائفية في سوريا.

دعا رجال الدين من السُنَّة بالخارج إلى الجهاد ضد حكومة بشار الأسد، وضد حزب الله مُلحقين تصريحاتهم بخطاب مناهض للشيعة والعَلَويين. وأحد أهم هذه التصريحات شهرة هو تصريح يوسف القرضاوي (Yusuf al-Qaradawi)، الشخصية المؤثرة ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وهو يقيم في قطر. حيث أدلى بتصريح في مايو 2013 مستخدمًا المصطلح التاريخي للطائفة العَلَوية في الاقتباس عن ابن تيمية:

> النصيرية أكفر من اليهود والنصارى كما قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية. نراهم اليوم يقتلون الناس كما الفئران والقطط بالآلاف وعشرات الآلاف. وبات الأسد هو الحاكم بأمره ومعه فئته النصيرية.[57]

---

[54] Gause, 2014, pp. 6–7.

[55] Yaroslav Trofimov, "To U.S. Allies, al-Qaeda Affiliate in Syria Becomes the Lesser Evil," *Wall Street Journal*, June 11, 2015.

[56] Ali Mamouri, "Was Zahran Alloush Really a Moderate Leader?" *Al-Monitor*, January 14, 2016.

[57] مقتبس في Farouk-Alli, 2014, p. 207.

واستطرد القرضاوي في وقت لاحق هذا العام داعيًا "كل مسلم سني كان قد تلقّى أي تدريب عسكري إلى الذهاب وقتال الشيعة والعَلَويين في سوريا" داعيًا بصفة أساسية إلى الجهاد.[58] ساعدت مثل هذه التصريحات من رجال الدين السنَّة المؤثرين على تشجيع المقاتلين الأجانب على الانضمام إلى المعركة في سوريا، عادة مع ميليشات جهادية، بما في ذلك تنظيم الدولة الإسلامية. وفقًا لما قاله أحد المقاتلين الأجانب فإن "الحرب في سوريا هي حرب بين العَلَويين والشيعة والسُنَّة. ويجب أن نمتثل لأوامر الله لمساعدة [السُنَّة]."[59] أصبح هذا السلوك ممثلًا لدوافع العديد من المقاتلين الأجانب من السُنَّة، وهو يتعارض مع دوافع الثوار والمدنيين من السُنَّة المولودين في سوريا والذين لديهم مظالم سياسية محددة ضد حكومة بشار الأسد.[60] بالنسبة للقرضاوي، ورجال الدين السُنَّة الآخرين فإن "الحرب السورية دليل على سعي الشيعة نحو بسط سيطرتهم على السُنَّة مهما كان الثمن".[61]

ارتكب النظام والمعارضة اعتداءات مرتبطة بالطائفية، لكنَّ قدرًا كبيرًا من العنف لا يزال عشوائيًا

ارتُكب العنف و"التطهير" ضد مجتمعات السُنَّة، والعَلَويين/ الشيعة في عدد من الحالات من قِبل ميليشيات داعمة للنظام من جهة، وجماعات الثوار من جهة أخرى، وصاحَب هذه الأعمال الوحشية خطابٌ متطرف مناهض للشيعة ومناهض للسنَّة زاد من حدة الانقسام الطائفي الآخذ في الاتساع. وقد أذكى هذا العنف مخاوف مجموعات الأقليات (العَلَويين، والمسيحيين على سبيل المثال) تجاه عجزهم عن العيش بأمان تحت ظل حكم السُنَّة والعكس بالعكس.

والرد العنيف لبشار الأسد على المظاهرات التي بدأت سلمية وغير طائفية ساعد على تمهيد الطريق للعنف الطائفي المتزايد في ظل توسع الصراع بمرور الزمن واتساع رقعته. آملاً في سحق معارضة العامة بسرعة في المراحل الأولى فإن نظام

---

[58] مقتبس من David Schenker, “Qaradawi and the Struggle for Sunni Islam,” *PolicyWatch*, No. 2157, Washington Institute, October 16, 2013.

[59] مقتبس من Vera Mironova and Sam Whitt, “A Glimpse into the Minds of Four Foreign Fighters in Syria,” *CTC Sentinel*, Vol. 7, No. 6, Combating Terrorism Center at West Point, June 2014, p. 7.

[60] Mironova and Whitt, 2014, p. 7.

[61] Abdo, 2013, p. 42.

الأسد "كان عليه الاعتماد على الوحدات العسكرية، وعملاء المخابرات المسلحين، والعناصر الإجرامية المساعِدة من العَلَويين غالبًا لإخماد ثورة شكَّل المسلمون السُنَّة أغلبيتها، إلا أنها بالتأكيد لم تقتصر عليهم".[62] وبفعل ذلك، فاقم النظام من الأفكار المسبقة الموجودة بين الأغلبية السُنِّية التي اعتبرت المجتمع العَلَوي بالكامل متواطئًا لبقاء النظام، وفي بقاء وضع السُنَّة المتدني سياسيًا واقتصاديًا على ما هو عليه. كما ساعد ذلك الداعمين للنظام، والمنتقدين له على حشد أنصارهم بناءً على الهوية الطائفية.

ساعد العنف المتعاقب الموجه نحو المجتمعات المتجانسة على تأجيج الأعمال الطائفية في الصراع. هناك عدد من الأمثلة ذكرتها التقارير عن وجود مجازر يبدو أنها موجهة نحو الطوائف المعارضة. حرَّض نظام الأسد، ولا سيّما مجموعاته الوحشية شبه العسكرية من *الشبيحة*، على العديد من الحوادث التي تخدم أهدافه والتي غطتها التقارير على نطاق واسع لهجمات مستهدفة ضد المدنيين السُنَّة. ففي بلدة تلدو السُنِّية الصغيرة بالقرب من الحولة في الشمال الغربي لحمص، "قُتل 108 أشخاص من المدنيين بلا محاكمة في حادثتين منفصلتين" من ضمنهم 49 طفلاً و34 امرأة في 25 أيار (مايو) 2012 من قِبل رجال مسلحين انتقلوا من بيت إلى بيت في ساعات متأخرة من الليل.[63] وهناك مزاعم بأن مُطلقي النار كانوا شبيحة من القرى العَلَوية المجاورة في جنوب الحولة. ووقعت مجزرة أخرى في قرية القبير المجاورة في الشمال الغربي من حماة، بعد مُضي أقل من أسبوعين. حيث أُطلق النار على ثمانية وسبعين مدنيًا، أغلبيتهم من قاطني القرية الصغيرة، وقُطِّعت رؤوسهم وتم حرقهم. ومُنِعَت بعثة للأمم المتحدة مُكلَّفة بتقييم الموقع أول الأمر من قِبل الجيش السوري، إلى أن سُمح أخيرًا لأفراد الأمم المتحدة بالدخول للبلدة، إلا أنه لم يكن هناك وجود لأي جثث.

---

[62] Frederic C. Hof, “Syria: Does the Threat of Sectarian ‘Cleansing’ Stay the West’s Hand?” Atlantic Council, May 17, 2013.

[63] انظر Elizabeth A. Kennedy, “Syria Massacre Victims in Houla Executed, Says UN,” *Huffington Post*, May 29, 2012; and “Houla: How a Massacre Unfolded,” BBC News, June 8, 2012.

وقد نُسبت المجزرة مرة أخرى إلى *الشبيحة*.[64] أعقب ذلك بعام، في أيار (مايو) 2013، مقتل نحو 150 مدنيًا في بلدة البيضا السُنِّية وحي راس النبع السُنِّية في مدينة بانياس (يمتد كلاهما على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط في جنوب اللاذقية)، وهذه المرة ذكرت التقارير أن المذبحة كانت بفعل الجنود السوريين بالتعاون مع *الشبيحة*، وتسببت كذلك في فرار المئات من السُنَّة من منازلهم. ومن الجدير بالذكر، أنه أعقب ذلك دعوة مشتركة على موقع YouTube من أحد قائدي الميليشيات العَلَوية، وشخصية دينية عَلَوية من أجل وضع خطط "لتطهير بانياس من الخونة" وارتبطت بخطة بشار الأسد المزعومة لتأمين بقايا دولة خاضعة لسيطرة العَلَويين في المنطقة الساحلية في حال سقطت دمشق.[65]

تورطت كذلك مجموعات مسلحة مُعارِضة للحكومة وغير تابعة للدولة في أعمال عنف طائفية، وينتمي غالبية أفرادها للسُنَّة سواء كانوا علمانيين أو متدينين. وبوجه عام، وعلى غرار التعبيرات السياسية والاجتماعية لديهم، يميل من يعلنون أنفسهم جهاديين (مثل: جبهة النصرة، وتنظيم الدولة الإسلامية) إلى ارتكاب أفظع الأمثلة في هذا الجانب. اختطف المتطرفون من السُنَّة 54 امرأة وطفلاً عَلَويًا على الأقل أثناء العمليات في منطقة اللاذقية في آب (أغسطس) 2013، وذكرت التقارير أنهم كانوا محتجزين بواسطة *المجاهدين* في ريف اللاذقية.[66] وفي شباط (فبراير) 2015، داهم تنظيم الدولة الإسلامية عددًا من القرى الآشورية المسيحية الريفية في غرب مدينة الحسكة في الشمال الشرقي لسوريا، واختطف نحو 150 مدنيًا من ضمنهم أطفال ومسنون.[67] وذكرت التقارير وقوع مجازر بصورة رئيسية ضد المجتمعات العَلَوية والمسيحية، حيث قُتل 15 شخصًا في مدينة حمص في نيسان (إبريل) 2012، و300 شخص في عقرب في كانون الأول (ديسمبر) 2012، و16 شخصًا في قرية مكسر الحصان في أيلول (سبتمبر) 2013، و45 شخصًا في بلدة صدد في تشرين الأول (أكتوبر) 2013.[68] ونشر كذلك ثوار متشددون من

---

[64] انظر Rick Gladstone, "UN Monitors in Syria Find Grisly Traces of Massacre," *New York Times*, June 8, 2012; و Ruth Sherlock and Magdy Samaan, "Syria: Full Horror of al-Qubeir Massacre Emerges," *Telegraph*, June 7, 2012.

[65] مقتبس في Elizabeth O'Bagy, "Syria Update: Assad Targets Sunni Along Syria's Coast," Institute for the Study of War, May 10, 2013.

[66] Human Rights Watch, *World Report 2015*, "Country Summary: Syria," January 2015, p. 5.

[67] وفقًا إلى المجلس السرياني الوطني السوري. انظر Suleiman al-Khalidi, "Islamic State in Syria Abducts at Least 150 Christians," Reuters, February 25, 2015.

[68] Phillips, 2015, p. 360.

السُنَّة في عام 2013 مقطع فيديو يُظهر جثثًا للشيعة في قرية حطلة وبجانبها مُقاتل يصفهم "بالكلاب" ويهدد الشيعة الآخرين بالمصير نفسه.[69]

على الرغم من أن أمثلة العنف الطائفي هذه سائدة في خطاب الجماعات الساعية لحشد الأتباع لدعم قضاياها، إلا أن هذه الجماعات لا تهيمن بالضرورة على عمليات القضاء والأمن والمفاصل القتالية في الحرب الأهلية السورية. فقتل المدنيين غالبًا ما كان بشكل عشوائي. أشارت منظمة هيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch):

> شهد عام 2014 زيادة في دموية الصراع المسلّح في سوريا في ظل تكثيف الحكومة والميليشيات الموالية للحكومة للهجمات على مناطق المدنيين والاستخدام المستمر للأسلحة العشوائية. وتستمر قوات الحكومة كذلك في عمليات الاعتقال التعسفي، وإخفاء المعتقلين، وتعذيبهم، وكثير منهم لقي حتفه في المعتقل. كما نفَّذت الجماعات المسلحة غير التابعة للدولة والمُعارضة للحكومة انتهاكات خطيرة تشمل الهجمات المُدبرة والعشوائية على المدنيين، وتجنيد الأطفال، والخطف، والتعذيب في أماكن الاحتجاز.[70]

استخدمت الحكومة السورية القنابل العنقودية، والبراميل المتفجرة في المناطق المأهولة بالسكان والتي تسيطر عليها جماعات الثوار، كما فرضت العديد من حالات الحصار التي ذكرت التقارير أنها أثرت على 200,000 شخص من المدنيين في محاولة لتجويعهم لإجبارهم على الاستسلام. شنت الجماعات المسلّحة غير التابعة للدولة هجمات عشوائية بمدافع الهاون والمدفعية على أحياء المدنيين التي تخضع لسيطرة الحكومة "ووجهت ضربات مرارًا إلى أهداف مدنية معروفة تشمل المدارس، والمساجد، والأسواق".[71] وكما ذُكر آنفًا، وقع قتال كذلك داخل الطوائف، منها على سبيل المثال الاشتباكات التي نشبت بين النخب العَلَوية وقوات الأمن الحكومية في مدينة قرداحة، مسقط رأس عائلة الأسد، في خريف عام 2012 بعدما شاركت عائلات عَلَوية بارزة في احتجاجات الشارع المناهضة للنظام.[72] وفي الآونة الأخيرة، في آب (أغسطس) 2014، ذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان أن تنظيم الدولة الإسلامية أعدم 700 من المدنيين من

[69] Reese, 2013, p. 14.

[70] Human Rights Watch, 2015, p. 1.

[71] Human Rights Watch, 2015, p. 4.

[72] O'Bagy, 2013.

قبيلة الشيتات السُنِّية التي كان يقاتلها تنظيم الدولة الإسلامية في شرق سوريا على حقلَيْ نفط كانت قد استولت عليهما.[73]

جهات رئيسية لا تدفعها الطائفية في سوريا

وجد العَلَويون أنفسهم في موقف ارتبط مصيرهم فيه ارتباطًا لا ينفك عن مصير النظام "الذي لا يزال يسعى جاهدًا لاستغلال العصبية الطائفية للحفاظ على قاعدة الدعم الخاصة به".[74] إلا أن هناك مجموعات من العَلَويين تُعبِّر عن معارضتها للنظام، وتُطالب بتأسيس سوريا مُوحَّدة ديمقراطية تعقب نظام بشار الأسد. وفي الوقت ذاته، هناك مجتمعات عربية سُنِّية تستمر في دعم نظام الأسد.

وباقتراب بداية الصراع، ذكرت كاتبة عَلَوية من المنطقة الساحلية لسوريا أن الجهاديين لم يكونوا هم المُضطهِدين لطائفتها بل قوات الأمن والدولة المسؤولين الذين "جعلوا العَلَويين يصطفون وراء النظام ويدافعون عنه" رغم "دولة الاستبداد، والأوضاع المزرية، والفساد المنتشر" تحت رعاية النظام. وقد دعت السوريين، ولا سيّما العَلَويين، إلى "نسف رواية هذا النظام المجرم عن حقيقة الثورة. . . فهذه ثورة، وليست حربًا طائفية".[75] ونذَّد بعض العَلَويين، ولا سيَما بين الطبقات الريفية الفقيرة والطبقات المهنية، بحكومة الأسد بسبب محسوبيته، وفشله في تقديم خدمات ملائمة.[76]

لا يزال هناك عناصر مهمة من السُنَّة في المجتمع السوري تدعم نظام الأسد القائم على حكم الأقلية، وعدد من الجماعات ذات الأغلبية السُنِّية المعارضة للنظام وتتحاشى الخطاب الطائفي، وتُشدِّد على الوحدة الوطنية، وتتضمن قبائل سُنِّية، والائتلاف الوطني، والجيش السوري الحر. ويحافظ النظام على الولاء من خلال بيروقراطيين من السُنَّة يعتمدون على رواتب الحكومة، ومن بعض التجار السُنَّة من الطبقة المتوسطة والأثرياء في دمشق وحلب. في حلب، ذات الأغلبية السُنِّية، عندما شنَّ الثوار هجومًا في 2012، قُسِّمَت أكبر مدن سوريا (ومركزها المالي) بالتوازي مع المستويات الاقتصادية،

[73] Oliver Holmes and Suleiman al-Khalidi, “Islamic State Executed 700 People from Syrian Tribe: Monitoring Group,” Reuters, August 16, 2014.

[74] Farouk–Alli, 2014, p. 221.

[75] من كتاب *تقاطع نيران: من يوميات الانتفاضة السورية*، ترجمة ماكس فايز (Max Weiss)، لندن: دار Haus Publishing للنشر، 2012. مقتبس في Jose Ciro Martinez, “Rebellion, Sectarian Slaughter or Civil War? Reading the Syrian Melee,” *New Middle Eastern Studies*, Vol. 3, 2013, p. 5.

[76] Martinez, 2013, p. 10.

حيث فُصلت القطاعات الغربية الغنية عن القطاعات الشرقية الأكثر فقرًا.[77] ولطالما كانت القيادة القَبَلية في سوريا صوتًا للوحدة عبر الفئات الطائفية. فمجلس القبائل العربية السورية، الذي يتكون غالبيته من قبائل سُنِّية تُعارض حكومة بشار الأسد، يُشدِّد بدوره على الوحدة الوطنية ويتحاشى الانتقاص من الشيعة أو العَلَويين. وقد أكَّد المجلس في بيان له في حزيران (يونيو) 2012 على

> الحقوق المشروعة للشعب السوري مع حق الدفاع عن النفس والمقاومة الوطنية الهادفة لإسقاط العصابة المغتصبة للسلطة بكل رموزها وعلى رأسهم المجرم قاتل الأطفال بشار الأسد. . . . وسيظل المجلس يعمل لأجل تحقيق هذا الهدف ويدفع في سبيل ذلك الغالي والنفيس *فداءً للوطن، ولوحدته، وتماسك مكوّناته من الطوائف، والأديان، والقوميات*[78] [أُضيف تأكيد].

انتقد زعيم بارز في مجلس القبائل العربية السورية، وشيخ مشايخ قبيلة البقارة الشيخ نواف البشير (Nawaf al-Bashir) الداعمين الأجانب لنظام الأسد بمصطلحات غير طائفية قائلاً أنهم "ليسوا سوى مافيا وطغاة ومقترفين للخطيئة وقتلة".[79] في عام 2014، اشتبكت قبيلة البقارة السُنِّية مع تنظيم الدولة الإسلامية، مما أسفر عن مقتل 400 شخص. أعقب ذلك عقد هدنة هدَّد تنظيم الدولة الإسلامية بخرقها في كانون الثاني (يناير) 2015 باختطاف ثلاثة من أبناء البشير.[80] ويتبنى كل من الائتلاف الوطني، والجيش السوري الحر أجندات سياسية غير طائفية، إلا أنهما أضعف مقارنةً بالجماعات الإسلامية السُنِّية المُقاتلة.

يميل السوريون الأكراد إلى الطرف غير الطائفي من المعادلة في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم. طبقًا لأحد القادة الثوار من السوريين الأكراد:

---

[77] Phillips, 2015, p. 361.

[78] مجلس القبائل العربية السورية، منشور على موقع فيسبوك (Facebook) بتاريخ 5 حزيران (يونيو) 2012.

[79] "زعيم قَبَلي سوري: مجدت الأسد تحت تهديد السلاح" رويترز، 17 كانون الثاني (يناير)، 2012.

[80] انظر Redwan Bizar, “Islamic State Abducts Sons of Tribal Leader in Eastern Syria,” ARA News, January 2, 2015a؛ وRedwan Bizar, “Islamic State Holds Meeting with Syrian Arab Tribes in Hasakah,” ARA News, January 3, 2015b.

> أدركنا بعد عام واحد من تحريرنا للأراضي الكردية في سوريا من قوات النظام، أنه سيكون من الضروري إنشاء إدارة. . . . ولفعل ذلك، ضممنا كل المجموعات العِرقية الأخرى على الأرض مثل: العرب، والأشوريين، والتركمان.[81]

أحكم حزب الاتحاد الديمقراطي الكُردي بمساعدة جناحه المسلّح، وحدات حماية الشعب الكُردي، سيطرته على عدد من الأراضي المتباينة عِرقيًا ودينيًا في شمال سوريا، وقدّم خدمات أساسية بما فيها التعليم باللغة العربية عوضًا عن اللغة الكُردية. وفي عين العرب (كوباني)، حيث يُشكل الأكراد ما يقرب من 97 بالمئة من السكان الأصليين، كان يوجد ما يقرب من 300,000 سوري من النازحين داخليًا أغلبهم من العرب. وطبقًا لأحد التقارير فإن السكان النازحين يعيشون في ظروف معيشية جيدة تحت الإدارة الكُردية، وتستمر في تلقي تعليمها باللغة العربية طبقًا للمناهج السورية لكن بدون مادة "القومية".[82] وأخيرًا، سعى السوريون الأكراد في بعض الحالات للترويج للتنوع الثقافي. دعت أعداد كبيرة من الأطفال السوريين الأكراد في سن الدراسة، كما ذكرت التقارير، إلى التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في اليوم العالمي للغة الأم، حيث قالوا: "في هذا اليوم، نُحيي نحن الأكراد الأمم جميعها في العالم، إلا أننا نخص بالذكر إخواننا الأحباء من الأخوة والأخوات الأشوريين والعرب هنا في سوريا".[83] إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الأكراد قاموا بالحشد عبر الفئات الطائفية العِرقية لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية والجماعات المتشددة الأخرى التي تهدد الأراضي ذات الأغلبية الكردية في شمال سوريا وشمالها الشرقي، واستمدت الدعم من الأحزاب السياسية العراقية الكردستانية ونسقت معهم، فضلاً عن القوات المسلحة كذلك.

وخلاصة القول أن هناك جهات فاعلة داخلية وخارجية متنوعة في النزاع السوري وجدت الطائفية وسيلة نافعة للحشد، واستخدموها لبث الخوف بين الأنصار وشيطنة "الآخرين". وفي مرحلة مبكرة، استخدم نظام بشار الأسد الخطاب الطائفي لتعزيز دعم قاعدته العَلَوية، ولضمان بقاء الأقليات الأخرى في معسكره أو على الأقل على الحياد.

---

81 "Austria: Syrian Kurds Fight al-Qa'idah on Europe's Behalf Too, Says Rebel Leader," BBC Monitoring Europe—Political, January 9, 2014.

82 "Aleppo's Kurds: Living Under Siege," *Al-Akhbar* (English), January 12, 2014. يُشبه ذلك ما فعله الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي في أقاليم العراق متعددة الأعراق التي يسيطر عليها الأكراد بعد فرض منطقة الحظر الجوي في عام 1991.

83 "Minority Kurds Promote Cultural Diversity amid Syrian Civil War," video, *Your Middle East*, February 25, 2014.

كما أن الجماعات السُنِّية المتطرفة مثل تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النُصرة، والتي تُمجد أيديولوجياتهما الأساسية العنف ضد الطوائف الأخرى، نشرت الطائفية ضد العَلَويين، والمسيحيين، والشيعة، والأقليات الأخرى. أما الجهات الفاعلة الخارجية مثل إيران والسعودية وتركيا، والجماعات غير التابعة لدولة أو الأفراد، فقد روجت، بطرق متعددة، للأجندات الطائفية باعتبارها وسيلة للدفاع عن نظام الأسد أو السعي للإطاحة به. ارتكبت المجموعات الموالية للنظام، وجماعات الثوار على حد سواء أعمال عنف على أساس طائفي، وتطهيرًا عِرقيًا. إلا أنه في خِضم أعمال العنف هذه والخطاب التي جرى النشر عنها بشكل كثيف، توجد مجموعات مهمة في سوريا لا تُحركها الطائفية ولا تُصنف بدقة ضمن الفئات المعينة التي يُدرجهم فيها المراقبون الخارجيون. فالعَلَويون المناهضون للنظام، والسُنَّة المؤيدون للنظام، وجماعات الثوار المعتدلة، والقبائل التي يستند ولاؤها إلى الحفاظ على الذات، جميعهم مراكز مضادة لما يبدو أنه حكمة شائعة حول الصراع السوري باعتباره "حربًا طائفية".

استنتاجات وتداعيات بشأن الطائفية في النزاع السوري

على الرغم من التاريخ الطويل للهوية الطائفية في سوريا، لم تكن الطائفية هي السمة الرئيسية للمجتمع السوري المتباين. إلا أن الطائفية قدمت أساسًا داعمًا يرتقي بها إلى موضع أكثر ظهورًا على الساحة في فترات النزاع، ويجعلها عُرضة للاستغلال. فقد استغلت عائلة الأسد الخطاب الطائفي لتعزيز تمسكها بالسلطة في ظل سعيها لتعزيز القومية والعلمانية لحجب حقيقة حكم الأقلية. بزيادة حدة النزاع في 2011، أصبحت الطائفية أداة جاذبة للعديد من الأجندات السياسية المُتنافِسة.

أدت الطائفية دورًا هامًا في تأجيج الصراع السوري، لكنها ليست العامل الوحيد، ولا العامل الأكثر أهمية بشكل منتظم. فمن ناحية يُوضح حُكيم (Hokayem) أنه باستمرار النزاع، يُصبح المجتمع السوري مُفككًا أكثر من أي وقت مضى وفقًا للانتماءات الطائفية:

> تُلوح الأطراف المتحاربة على نحو متزايد بالهوية الطائفية باعتبارها أداة للحماية، والحشد، والإقصاء، في الوقت الذي لم تكن فيه الطائفية هي بيت القصيد في النزاع. تعمَّقت فجوة عدم الثقة بين الجماعات الاجتماعية والطائفية المختلفة وداخلها في سوريا. والعديد من السُنَّة أنفسهم هم ضحايا لقمع يؤيده، بشكل صريح أو ضمني، العديد من المنتمين لجماعات الأقلية الرئيسية، ويرمي إلى إبقائهم بعيدًا عن السلطة. . . . من جهة أخرى، تراقب الأقليات بقلق وذعر التطرف المتنامي للمعارضة وعدائيتها المُسلَّم بها نحوهم. كان للعنف الجهادي، والحالات الفردية للانتقام الطائفي تأثير نفسي شديد على الأقليات. وهجرت العديد من العائلات العَلَوية المدن الكبرى سعيًا لتأمين قراهم، وانضمت إلى الميليشيات المدعومة من النظام، في حين بدأ العديد من المسيحيين التخطيط للهجرة إلى لبنان وما هو أبعد من ذلك. وأقامت المجتمعات الشيعية روابط وطيدة أقوى مع حزب الله في لبنان، والأحزاب الشيعية العراقية، في حين تطلع الأكراد إلى نموذج الحكم الذاتي العراقي.[84]

كلما طال الصراع، كان من الأرجح أن تبرز هذه التوترات بنسبة أكبر باعتبارها عاملاً مؤججًا للحرب الأهلية وعقبة في طريق التوصل إلى حل. أطلق مارك لينش (Marc Lynch) على هذا مصطلح "التصعيد"، والذي بموجبه و"في ظل أوضاع انهيار الدولة، والغموض، والعنف، والخوف . . تُصبح إثارة مشاعر العداوة الطائفية أسهل بكثير من تهدئتها. . . . ربما يعتقد المتاجرون بالهوية أن بإمكانهم التحكم في الكراهية بتأجيجها أو تهدئتها بما يُناسب مصالحهم، ولكن عند مرحلة بعينها، ستُصبح هذه الهويات مستدامة ذاتيًا، ومتأصلة".[85]

من جهة أخرى، لم تندلع الثورة ضد بشار الأسد في 2011 بسبب الطائفية، ولم تكن هي العامل الوحيد المؤجج لها. فالنزاع مُعقد للغاية بحيث لا يمكن شرحه باعتباره انفجارًا بسيطًا للطائفية بجذور تمتد على مدار تاريخ سحيق. وهناك فئات مهمة عبر التقسيمات الطائفية النظام أو تعارضه. وتستغل الجهات الفاعلة الخارجية الهوية الطائفية لتعزيز أجنداتها الجغرافية الاستراتيجية الخاصة بها. والمكاسب المهمة التي تجنيها عناصر المعارضة الأكثر تطرفًا، لا سيّما تنظيم الدولة الإسلامية والجماعات المرتبطة بالقاعدة، هي بمثابة ناقوس خطر لأتباع المذهب نفسه مثلما هي كذلك بالنسبة إلى طوائف الأقليات. والولاءات متداخلة وتستند أيضًا إلى الأيديولوجية

---

[84] Hokayem, 2013, p. 192.

[85] Marc Lynch, "The Entrepreneurs of Cynical Sectarianism: Why the Middle East's Identity Conflicts Go Way Beyond the Sunni-Shiite Divide," *Foreign Policy*, No. 4, November 13, 2013, p. 5.

السياسية والهوية البديلة والجغرافيا وخبرة الحرب والدوافع الاقتصادية.[86] وبالنظر إلى هذه العوامل، فمن غير الملائم إطلاق مصطلح "الحرب الطائفية" على النزاع في سوريا. فالطائفية ما هي إلا عامل واحد يختلف ظهوره على الساحة بناءً على الجهة الفاعلة، رغم وضعها المهم للغاية في التقارير المتداولة عن النزاع.

النزاع الممتد من شأنه أن يزيد من الدوافع الطائفية داخل سوريا وخارجها

رغم أن الاستنتاج الخاص بهذه الدراسة التي تتناول الحرب الأهلية السورية يدعو إلى التعامل بحذر في مسألة عزو النزاع كليًا، أو حتى بصورة رئيسية، إلى الدوافع الطائفية؛ فإنه توجد أسباب كافية تدعو إلى القلق من أن الطائفية قد تؤدي إلى تفاقم النزاع أو إلى نتائج لن توقف العنف، ومن شأنها تقويض استقرار سائر المنطقة. وتبدو إمكانية التوصل إلى تسوية مُتفاوض بشأنها بعيدة المنال حتى وقت كتابة هذه الدراسة. علاوة على ذلك، لا يبدو أن هناك جهة فاعلة مُهيمنة بصورة واضحة قادرة على فرض حل للنزاع بالقوة، في حين أن الأطراف التي يُرجح أن تُسيطر على الدولة بمضي الوقت، والمتمثلة في الحكومة السورية والقوى الجهادية ثم قوى المعارضة المعتدلة في المرتبة الثالثة[87]، في جعبتها استراتيجيات أو أيديولوجيات طائفية:

- إن "انتصار" النظام، الذي سيتمثَّل في إخراج جماعات الثوار خارج العديد من المناطق الغربية والشمالية والجنوبية لسوريا، سيترك حكم الأقلية حاضرًا في دمشق ولن يتطرق إلى المظالم السياسية والاقتصادية التي أدت لتأجيج الثورة في المقام الأول. وقد تؤدي الطائفية دورًا أكثر بروزًا في سياسة الحكومة وخطابها أكثر من الدور الذي أدته قبل الثورة بسبب "التركة" التي خلَّفتها سنوات النزاع.
- لن يُنهي "انتصار" الجهاديين في سوريا إراقة الدماء أو القمع، وسيؤدي إلى المزيد من العنف والسياسات القائمة على الطائفية. ويُرجَّح تعرُّض العَلَويين والشيعة الذين لم يفروا إلى العنف والتطهير، في حين سيكون أي مسيحي باقٍ

---

[86] Phillips, 2015, pp. 360–361.

[87] يبدو أن الجهود الأمريكية لتدريب 3,000 ثائر معتدل وتجهيزهم بنهاية عام 2015 (5,400 سنويًا بعد ذلك) تسير بخطى متعثرة حيث يوجد أقل من 100 متطوع يخضعون للتدريب حتى وقت كتابة هذه السطور. انظر Robert Burns, "U.S. Program to Train Syrian Rebels Has Fewer Than 100 Volunteers," *Stars and Stripes*, June 29, 2015.

عرضة للقمع بسبب ضريبة *الجزية* وغيرها من السياسات الإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية.

- وهناك نتيجة محتملة أخرى تشمل ظهور أراضٍ عِرقية طائفية أو دُويلات أو إقطاعيات بسبب نتائج المعركة أو انهيار النظام، مع وجود كل كيان في منطقة تحظى بتجانس نسبي على الصعيد العِرقي والديني والسياسي، أو بتجانس تاريخي، أو بسبب الهجرة. ومن ثمَّ،قد تظهر دويلة عَلَوية في المناطق الساحلية، وجبل النُصيرية، وأخرى كُردية في الشمال الشرقي، وإمارة سُنِّية سلفية جهادية في الشمال والشرق، ودُويلة سُنِّية في الجنوب بين دمشق ومرتفعات الجولان يتم تشكيلها من قِبل جماعات معارضة أقل طائفية يسيطر عليها السُنَّة. وقد تُقيم أقليات أخرى مثل المسيحيين، والدروز، والشيعة، وغيرهم في بعض من مختلف هذه المناطق أو يهاجرون على أنهم مغتربون. ولن يتوقف العنف بالضرورة لأن كل طرف يسعى إلى ترسيخ حدوده أو توسيع نطاقها. وسيعتمد مستوى الطائفية داخل كل من هذه الإقطاعيات، وفيما بينها، على الجهة الفاعلة.[88]

تجدر الإشارة إلى أن أيًا من هذه النتائج يسوف يتضمن على الأرجح إجراء نقل جماعي إضافيًا، سيكون بعض منه على الأرجح قائمًا على أساس طائفي.

لقد أثارت الحرب بالفعل توترًا وصراعًا متعلقًا بالطائفية خارج حدود سوريا. وستضيف الأردن ولبنان وتركيا مئات الآلاف من اللاجئين السوريين. والكثير من هؤلاء اللاجئين، لا سيّما في الأردن، من السُنَّة وقد تكونت لديهم الآراء عن الحرب والطوائف السورية الأخرى بدرجة لا يُستهان بها استنادًا إلى التجارب التي جعلتهم يهجرون أوطانهم. يُشير أحد الباحثين إلى أن الفئات السكانية في سوريا عاشت الحرب بطرق مختلفة عبر البلاد، وأن "ضحايا العنف العِرقي الطائفي أكثر احتمالاً لرؤية الصراع بعيون الطائفية من أولئك

---

[88] مستخلصة من ورشة عمل عُقدت في مؤسسة RAND في كانون الأول (ديسمبر) 2013 عن السيناريوهات المستقبلية البديلة لسوريا. انظر أندرو م. ليبمان (*Andrew M. Liepman*)، وبراين نيشيبوروك (Brian Nichiporuk)، وجايسون كيلمير (Jason Killmeyer)، *سيناريوهاتٌ مستقبليةٌ بديلةٌ لسوريا: التداعيات والتحديات الإقليمية بالنسبة للولايات المتحدة*، سانتا مونيكا، كاليفورنيا: مؤسسة RAND، الرقم المرجعي PE-129-RC، في 2014، صفحة 3.

الذين لم يتعرضوا له".[89] يمكن لمثل هذه الآراء أن تؤثر على تصوُّرات سكان البلدان المستضيفة، وتُعيق وضع السياسات وتطبيقها، لا سيّما وأن 80 بالمئة من اللاجئين في الأردن يعيشون خارج مخيمات اللاجئين في البلدان، والمدن.[90] وفي حالة العودة إلى الوطن، سترتفع احتمالية عمليات القتل الانتقامية، والنزاعات على الأراضي.

يتفاقم الانقسام الطائفي في الخليج الفارسيّ بفعل الطبيعة الطائفية للصراعات الآخذة في التزايد في كل من سوريا والعراق، فضلاً عن رؤى الحكومة للعالم والتي تُمثّل الدافع وراء النُهُج التي تتبناها في هذه الصراعات، وهو انقسام تمتد جذوره إلى السياسات الرسمية المُتّبعة في بعض الدول.[91] على رأس السلطة في المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين حكومات يُسيطر عليها السُنَّة مع وجود أعداد كبيرة من الشيعة (وفي حالة البحرين، يمثل الشيعة أغلبية) وتواجه كل دولة منهم تداعيات هذين الصراعين. على سبيل المثال، أعلن تنظيم الدولة الإسلامية مسؤوليته عن تفجير انتحاري في مسجد للشيعة في الكويت في أواخر حزيران (يونيو) 2015 والذي أسفر عن مقتل 27 شخصًا وإصابة أكثر من 200. ويرمي المقاتلون المتطرفون في سوريا إلى الاستمرار في الجهاد و"تحرير شبه الجزيرة العربية".[92] ويمكن أن يزداد التوتر الطائفي في هذه البلدان مُسببًا اضطرابًا، وعنفًا شبيهًا بالذي شهدته اليمن مؤخرًا.

أما لبنان، الذي تم تأسيسه على توازن طائفي هش، فقد عاش بالفعل اضطرابًا متزايدًا، وعجزًا متناميًا عن حكم الأراضي الخاضعة لسيادته على نحو فعَّال خاصةً في الشمال. فقد اندلع القتال في مدينة طرابلس الساحلية، كما اندلع في سهل البقاع معقل حزب الله، حيث اتحدت مجموعات الشيعة مع المسيحيين من السكان المحليين، ودعم قادة السُنَّة في عرسال القريبة الانتفاضة ضد بشار الأسد علانية.[93] اتخذ التعبير السياسي للشيعة في لبنان الذي يصف القتال في سوريا منحى دينيًا آخذًا في التزايد أكثر منه جغرافيًا سياسيًا. على سبيل المثال في أحد الأحياء الشيعية

---

89 .Phillips, 2015, p. 361

90 .Jasser, 2014, p. 65

91 ."Saudi Arabia Has a Shiite Problem," *Foreign Policy*, December 3, 2014

92 .Mironova and Whitt, 2014, p. 4

93 Anne Barnard, "Sectarian Wedge Pushes from Syria to Lebanon," *New York Times*, October .27, 2014

في بيروت فسَّرت منشورات الحرب السورية على أنها نهاية العالم، حيث سيندلع قتال ضد *الدجال* (المسيح الدجال الذي سيظهر قبل يوم القيامة) مرتبط بعودة *المهدي* طبقًا للإيمان بفكرة المليارية، والآخرة عند الشيعة. استقطبت هذه الصورة المقاتلين الأجانب الشيعة للقدوم إلى سوريا من بلاد بعيدة بقدر باكستان وأذربيجان.[94] وأكدت جبهة النصرة في آذار (مارس) 2015 أنها تنظر في استهداف حزب الله في لبنان، جراء عنف حزب الله المُمَارس ضد السُنَّة في سوريا. وقد أطلقت جبهة النصرة على حزب الله لقبًا ازدرائيًا مهينًا وهو حزب اللات (اللات هي إلهة العالم السفلي) مشيرةً إلى أن "غاظ حزبَ اللات أن يكون لأهل السُنَّة شوكة في مناطقهم، فحرّض الجيش على ضربها. . . لم يعد يخفى على أحد ما يرتكبه الحزب بحق أهل السُنَّة في سوريا. لذلك فإن هدفنا في لبنان في هذه المرحلة هو ضرب معاقل حزب الله الإيراني، فالحزب وكل من سانده هو هدف مشروع لنا. . . ونحن في هذه المرحلة نجمع جهودنا لدفع العدو النصيري الصائل وحلفائه".[95] ومن ثم، فإن لبنان معرض بشكل كبير لانتشار العنف الطائفي من سوريا.

ولذا، فقد استخدمت أطرافٌ مهمة في الصراع الطائفيةَ بفعالية لحشد الأنصار، مع أنه لا ينبغي اعتبار النزاع السوري بمثابة "حرب طائفية" يستند أساسها إلى عداوات طائفية. وهناك سبب وجيه للقلق من أن الطائفية قد تنمو داخل المجتمع كلما طال أمد الصراع، مما يجعل التوصل إلى حل عن طريق التفاوض أمرًا مستعصيًا، وأنها قد تنتشر خارجيًا إلى أجزاء أخرى من المنطقة حيث تكمن مصالح أمريكية هامة. إن البدائل التي تتضمن "انتصار" النظام أو المجاهدين أو انقسام سوريا إلى دويلات ذات عنف مستمر، ليست نتائج مقبولة في هذا السياق. لذلك، كلما انتهى الصراع بنتيجة مقبولة في أسرع وقت ممكن، كان ذلك أفضل.

ويشير هذا إلى مسارين للسياسات بالنسبة للولايات المتحدة. يتضمن الأول دعمًا كبيرًا للجماعات المعتدلة المناهضة للأسد في سوريا، ليس فقط ما يسمى بالثوار المعتدلين ولكن أيضًا الجماعات الأخرى التي تعاني من مظالم غير طائفية بما في ذلك العَلَويون والقبائل، إلى جانب الجهود المضاعفة للتوصُّل إلى حل تفاوضي. يجب أن يُنظر إلى الدعم الأمريكي على أنه عادل وغير طائفي. أما المسار الثاني فيتطلب وضع

---

[94] "The Escalating Shia-Sunni Conflict: Assessing the Role of ISIS," Stimson Center Conference, Middle East Program, December 15, 2014.

[95] النصرة، "بيان رقم 24: بيان يوضِّح ما جاء في مقابلة الشيخ أبي مالك الشامي، حفظه الله". تمت الترجمة بواسطة الموقع، 15 آذار (مارس) 2015b.

استراتيجية فعَّالة لهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية والآخرين في سوريا الذين لا يمكن التفاوض معهم بسبب أجنداتهم المتطرفة وأيديولوجياتهم الطائفية الحصرية. قد يؤدي الفشل في متابعة هذين المسارين إلى زيادة الطائفية في صراع قد يستمر لسنوات طويلة. ومع ذلك، فإن إدارة التوازن بين السعي لإسقاط بشار الأسد وتعرية تنظيم الدولة الإسلامية ستظل تمثل تحديًا كبيرًا.

الفصل الخامس

الاستنتاج وتداعيات في السياسات

يُزعم كثيرًا أنَّ الطائفية هي السبب الجذري للصراعات الحالية في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن الطائفية تؤدّي دورًا رئيسيًا، فإننا نعارض تصويرها على أنها صراع قديم ومستمر ومعقد بين السُنَّة والشيعة بشأن النزاعات العقائدية.

تُوضِّح هذه الدراسة أن الطائفية ظاهرة سياسية معقدة تُشكِّلها الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من الاعتبارات الأخرى بصورة أكثر من الخلافات العقائدية أو العداوة الدينية وهو ما توصَّلنا إليه باتباع نهج تاريخي واستخدام مصادر أولية وثانوية متنوعة. تدفع عوامل مُحدَّدة غير دينية الطائفية والصراع الطائفي وتؤججهما بصورة أكبر من دفع الطائفية لتلك الصراعات، وذلك وفقًا لتفاصيل تاريخ الصراع بين السُنَّة والشيعة في المنطقة، ودراسة سوريا والعراق باعتبارهما دراستي حالة، ومناقشة التنافس الطائفي الإقليمي.

وحكومات الدول والجهات الفاعلة الإقليمية مثل المملكة العربية السعودية وإيران، والجماعات المتطرفة متعددة الجنسيات، مثل تنظيم الدولة الإسلامية، تستغل الخطاب الطائفي أو الأعمال الطائفية من أجل أغراضها السياسية الخاصة. وغالبًا ما يؤدِّي قمع الدولة إلى مواجهة الأفراد أو الجماعات داخل المجتمع المدني لتهديد مُتصوَّر أو حقيقي على هويَّاتهم الطائفية. فعلى سبيل المثال، بدأت الحرب الأهلية السورية عام 2011 مُتمثِّلةً في مجموعة من المظاهرات السياسية ضد الدولة التي يقودها العَلَويون، لكن سرعان ما تحولت إلى صراع يغلب عليه الطابع الطائفي حين أطلق نظام بشار الأسد النار على المتظاهرين بشكل جماعي وأطلق سراح السجناء الإسلاميين، مما عجَّل بنشوب الحرب السورية التي نشهدها اليوم. علاوة على ذلك، فإن الجهات الفاعلة الطائفية الإقليمية والجماعات المتطرفة متعددة الجنسيات هي من تؤجج الانقسامات الطائفية

الموجودة سابقًا وتتسبَّب في تفاقم الصراعات، وإن كانت تلك الجهات والجماعات ليست السبب في الطائفية. يُمكن رؤية ذلك في العراق وسوريا على حد سواء.

يبدو أنه لا يمكن إنكار أن الطائفية العِرقية ستؤدِّي دورًا قويًا وربما مهيمنًا في السياسة العراقية، على الأقل في المستقبل المنظور. فلن يصبح ما يقرب من قرنين من اضطهاد السُنَّة للشيعة في طي النسيان قريبًا، كما لن يُنسى العنف الشديد الذي حدث في الحرب الأهلية 2007-2006 أو اضطهاد الحكومة للسُنَّة في الآونة الأخيرة. مع ذلك، يشير تاريخ الطائفية في العراق إلى أنه لم يفُتِ الأوان لتفادي تقسيم الدولة. لا تتعلق الهوية السُنِّية في العراق تمامًا بالإسلام السُنِّي، ولم تُصنف السُنَّة أساسًا على أنها مذهب طائفي حتى زمن بعيد من القرن الماضي. وربما كان هذا صحيحًا أيضًا مع الشيعة العراقيين في العقد الأول من القرن التاسع عشر: كانت هناك مرحلة كان يمكن للحكومة العثمانية فيها أن تكون أكثر شمولاً للشيعة بدلاً من إجبارهم على تنظيم أنفسهم حسب مذاهب طائفية. وفي عام 2015، أقر رئيس الوزراء العبادي علنًا أن إصلاح الحكومة هو السبيل لتحقيق الاستقرار وبقاء الدولة وأن المصالحة مع السُنَّة أمر أساسي لهذا المسعى.

في حين زاد سوء الحوكمة والتدخل الكارثي الطائفية حدَّةً في العراق، فإن تحسين الحوكمة والدعم الخارجي الأقل تطفلاً قد يوفران طريقة لتحقيق الاستقرار في نهاية المطاف. قد يَصدُق ذلك على العراق وغيره من المناطق الأخرى في الشرق الأوسط التي مزَّقتها الصراعات الطائفية حاليًا.

على الرغم من الجهود المبذولة في سوريا من قِبل العديد من الأطراف الداخلية والخارجية لتأجيج الحرب الأهلية لاستغلال التوتّر الطائفي من أجل الترويج لأجنداتهم السياسية الخاصة وحشد الأنصار، فإن الأمر سيبدو بسيطًا لو أشرنا إلى الطائفية باعتبارها المصدر الرئيسي للانتفاضة ضد بشار الأسد أو الدافع الوحيد لاستمرار العنف. بدأت الانتفاضة المناهضة للأسد باعتبارها تمردًا متعدد الطوائف، وإلى الآن، لا يزال هناك فئات رئيسية داخل سوريا (سُنَّة موالون للحكومة، وعَلَويون مناهضون للحكومة، وجماعات ذات أجندات غير طائفية) لا تحركها الطائفية. تعتبر الولاءات متداخلة وتستند أيضًا إلى الأيديولوجية السياسية والهوية البديلة والجغرافيا وخبرة الحرب والدوافع الاقتصادية.

مع ذلك، على الرغم من أننا نقترح التعامل بحذر في مسألة عزو النزاع كليًا، أو حتى بصورة أساسية، إلى الدوافع الطائفية؛ فإنه توجد أسباب كافية تدعو إلى القلق من أن الطائفية قد تجعل الحرب أكثر تعقيدًا من ناحية التوصل إلى حل تفاوضي وتؤدِّي إلى تفاقم الصراع أو إلى نتائج لا تضع حدًا للعنف وتعمل على زعزعة الاستقرار في أجزاء

أخرى من المنطقة حيث توجد مصالح حيوية للولايات المتحدة. والبدائل التي تنطوي على "انتصار" النظام أو الجهاديين أو تقسيم سوريا إلى دويلات يسودها استمرار العنف لن توقف تزايد الطائفية في هذا الإطار. ومن ثمَّ، فإنه كلما أمكن إنهاء الصراع في أسرع وقت ممكن بطريقة تتناول المصالح والمظالم السورية الرئيسية، كان ذلك أفضل.

يجب على الحكومة الأمريكية، وخاصة الجيش الأمريكي، وضع عدة عوامل في عين الاعتبار عند تحديد أفضل سياسات المشاركة في الصراعات التي تكون فيها الطائفية جزءًا من المعادلة، وذلك بعد دراسة الكيفية التي يُمكن للطائفية من خلالها أن تظهر بوجه مختلف في أماكن مختلفة. يجب أن يُنظر إلى الطائفية باعتبارها مشكلة سياسية معقدة، ومن ثم، فهي تحتاج إلى وصفات لوضع سياسات شاملة.

الإقرار بمحدودية قدرة الولايات المتحدة على التأثير في دور الطائفية في صراعات الشرق الأوسط

أولاً وقبل كل شيء، فإنه من الأهمية بمكان لصُنّاع السياسات في الولايات المتحدة استيعاب حقيقة مفادها أن قدرة الولايات المتحدة على تبديد الطائفية بصورة فعّالة ومباشرة، باعتبارها عاملاً في الصراع الإقليمي، قدرة محدودة. قد تسعى سياسات الولايات المتحدة وإجراءاتها إلى دعم الأجندات الطائفية أو غير الطائفية وتجنُّب ظهور التَحيُّز. بيد أنها من غير المحتمل أن تؤدِّي دورًا مباشرًا سواء في توسيع نطاق الهوية الطائفية أو تقليصها باعتبارها دافعًا للعنف. ومن الصعب التنبؤ بأي شيء إلا أن وقف الأعمال العدائية ووضع حل واسع النطاق للصراعات قد يُشكِّلان معًا رادعًا فعّالاً للطائفية الآخذة في النمو (إضافةً إلى احتواء أكثر الجماعات تطرفًا، مثل تنظيم الدولة الإسلامية، أو القضاء عليها). والجهود التي بذلتها الولايات المتحدة مؤخرًا للتوصُّل إلى نهج مشترك لمحادثات السلام التي ترعاها الأمم المتحدة بشأن سوريا وتقديم الدعم للعمليات العراقية ضد تنظيم الدولة الإسلامية تُشكِّل أهمية في هذا الصدد. ومن ثمَّ، فإن وصفات السياسات العامة الخاصة بنا تُركِّز على ضمان ألا تؤدِّي سياسات الولايات المتحدة إلى تأجيج الطائفية أو لعب دور في الروايات الطائفية الموجودة بالفعل عن جميع أطراف الصراع. نوصي الولايات المتحدة باستخدام نفوذها، متى أمكن، لإقناع الدول الصديقة في المنطقة بالنظر إلى تقليل الروايات الطائفية للصراعات سعيًا لإيجاد حلول مُنصِفة.

ووجود الولايات المتحدة في المنطقة ودور الجيش الأمريكي في قيادة قوات التحالف ضد تنظيم الدولة الإسلامية يمنحان الولايات المتحدة تأثيرًا ونفوذًا، ويجب على صنّاع السياسات في الولايات المتحدة استغلال مكانة الولايات المتحدة إلى حد يمكن

تطبيقه عمليًا لتشكيل رؤية استراتيجية مشتركة بين أصدقائها وحلفائها الذين يعبرون الحدود الطائفية.

تجنُّب التبسيط المفرط للأمور

الطائفية ليست متماثلة في كل بلد أو منطقة، وتتجلى بصورة مختلفة في أماكن مختلفة. يجب أن يُدرك صنّاع السياسات هذا لتجنب إطلاق تعميمات حول دور الطائفية في صراعات الشرق الأوسط من أجل صياغة نهج فريد وفعّال لكل صراع.

يجب على صنّاع القرار في الولايات المتحدة تجنُّب وضع الأشخاص والجماعات في فئات كبيرة ومبسطة لتسهيل تحديد الهوية. وبدلاً من ذلك، يجب عليهم تحديد الأفراد والجماعات التي يمكن للولايات المتحدة إيجاد أرضية مشتركة لها فيما يتعلق بالأهداف السياسية. سيتطلب ذلك عمليةً طويلة المدى وواسعة النطاق لجمع المعلومات الاستخباراتية وتحليلاً متعمقًا.

تناول القضايا السياسية المطروحة باعتبار أن الطائفية هي، عادةً، أحد ظواهر الصراع، وليست سببًا له

من المهم ملاحظة أنه على الرغم من أن المناخ السياسي بالمنطقة يفسح المجال حاليًا أمام زيادة الطائفية، فإن الطائفية قد لا تكون أهم طريقة لفهم الصراع الإقليمي، والذي يبدو، في أبسط صوره، صراعًا طائفيًا فحسب. إن النظر إلى الصراع الإقليمي من منظور طائفي بحت يمكن أن يكون فخًا عويصًا لصنّاع السياسات، لا سيَّما وأن الطوائف ليست تكتلات متجانسة.

يجب على صنّاع القرار في الولايات المتحدة تحديد الدوافع غير الطائفية للتعامل مع من "يتصرفون خارج إطار طوائفهم". وهذا يستلزم التعاون قدر الإمكان مع الجهات الفاعلة المحلية والحكومة الحالية للتخفيف من المخاوف العَمَلية التي تُسهم في الصراع.

يجب على الولايات المتحدة عدم الانحياز إلى أي جانب وإلا ستُعتبر منحازة

يتمثَّل أفضل وصف للطائفية في أنها ظاهرة ذات شقّين وهما: الطائفية الداخلية والخارجية. تُعتبر الطائفية الداخلية صراعًا أو خطابًا طائفيًا على المستوى الداخلي للدولة، وعادةً ما تكون من قادة الدولة أو الزعماء الدينيين أو المعارضين الذين يستغلون الهوية الطائفية لأغراضهم السياسية الخاصة. بالنسبة لصنّاع السياسات، تُسبِّب الطائفية الداخلية معضلة اختيار الجانب الذي يستحق الدعم والاختيار بين التدخل من

قريب أو بعيد من عدمه؛ وكما كشف التاريخ في كثير من الأحيان، فإن التحيُّز الأجنبي تجاه أحد أطراف في صراع سياسي داخلي يمكن أن يُخلِّف نتائج عكسية، لا سيّما إذا كان ذلك الصراع قائمًا على انقسامات طائفية. يجب دراسة أي تدخل بعناية، نظرًا لأن الاختيار قد يزيد الموقف سوءًا وربما يُقوض مصالح الأمن القومي للولايات المتحدة ومصالح الجماعات المتصارعة على السواء.

الاستفادة المباشرة من جهود التدريب والتجهيز وجهود التحالف للترويج إلى روايات غير طائفية ولغة حوار بين الطوائف

يأتي جيش الولايات المتحدة في طليعة الجهود المبذولة لتقديم المشورة للقوات التي تقاتل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق وتدريبها وتجهيزها، ويوفِّر وجوده، باعتباره جزءًا من التحالف، فرصة لإقامة شراكات فيما بين الطوائف والتشجيع على لغة حوار بين الشيعة والسُنَّة وغيرهما من الطوائف الأخرى في المنطقة.

يمكن أن يبدأ الجيش في النظر إلى برامج التدريب والتجهيز ليس باعتبارها وسائل لزيادة القدرة العسكرية فحسب بل أيضًا بوصفها وسيلة لتشكيل تصوُّر الشركاء للتهديد وجدوى العمل عبر مختلف المذاهب الطائفية. ويُعتبر غرس الاحترافية في التعامل واحترام حقوق الإنسان من بين الأمور الرئيسية لمكافحة الطائفية التي يبدو أنها تتزايد في المنطقة. ويمكن لمستشاري الجيش أيضًا العمل بمثابة مُحاورين بين المقاتلين المناهضين لتنظيم الدولة الإسلامية الذين ينتمون إلى طوائف مختلفة أو بين الجماعات المحلية والحكومة العراقية.

عدم المساهمة في إضفاء الطابع المؤسسي على الطائفية في المؤسسات الحكومية والمحلية

يجب على صنّاع القرار في الولايات المتحدة تجنُّب السياسات التي تضفي طابعًا مؤسسيًا على الطائفية في المؤسسات المحلية أو الحكومية. وهذا يستلزم التعاون مع القادة الملتزمين بالسعي وراء سياسات غير طائفية قائمة على التعددية. ويجب على الولايات المتحدة دعم وتشجيع المؤسسات المحلية والحكومية وتوفير الحوافز على صعيد الطوائف لتحقيق المشاركة والشمولية في المؤسسات الحاكمة.

تمر المؤسسات في جميع أنحاء المنطقة بمرحلة انتقالية منذ الثورات العربية في عام 2011. ويجب أن تتبنى الولايات المتحدة وجهة نظر بعيدة المدى مفادها أن هذه الفترة الانتقالية من المحتمل أن تكون غير مستقرة وغالبًا ما تكون عنيفة. ولكن يجب أيضًا وضع السياسات بهدف تشكيل نتائج أطول أجلاً. وهذا يعني، في العراق، تشجيع

البرامج التي تسعى إلى إصلاح الأضرار المترتبة على سنوات من عزل الحكومة العراقية للأقلية السُنِّية وإعادة دمج السُنَّة في المجتمع العراقي والحكومة والأهم من ذلك الجيش العراقي.

تحديد النُهُج الفريدة للحد من السياسات الطائفية للجهات الفاعلة الخارجية الطائفية

تستند الطائفية الخارجية إلى الطائفية على المستوى الداخلي للدولة وتتضمن تشجيع إحدى الجهات الفاعلة الطائفية على الانقسامات الطائفية داخل البلاد الأجنبية بهدف تحقيق أغراضها السياسية. يمكن أن ينطوي استمرار إضفاء الطابع الإقليمي على الطائفية على التسبُّب في انتشار الصراع في دولة واحدة إلى دول أخرى عن طريق تحريض الجماعات الطائفية داخليًا من خلال نزاعات طائفية أجنبية أو عن طريق الدعم الطائفي الخارجي. ومن المهم ملاحظة أن العديد من شركاء الولايات المتحدة في المنطقة، ولا سيما دول الخليج العربي، يرون الصراعات وحتى سياساتهم الخارجية من منظور طائفي إلى حد كبير. ويجب على صنّاع السياسات في الولايات المتحدة دعم الروايات البديلة في التعاملات مع هؤلاء الشركاء، ويشمل ذلك مشاركات القيادات العليا في المسائل السياسية والعسكرية.

المراجع

Al-Abadi, Haider, "PM's 1st Package of Reforms to COM," official text, Government of Iraq, August 9, 2015. As of August 15, 2015: http://pmo.iq/pme/press2015en/9-8-20152en.htm

Abbas, Mushreq, "Iraq's 'Sunni' Rebellion Shows Splits Between ISIS, Others," *Al-Monitor*, June 24, 2014.

Abdo, Geneive, *The New Sectarianism: The Arab Uprisings and the Rebirth of the Shi'a Sunni Divide*, Washington, D.C.: Brookings Institution, 2013.

Abdul-Ahad, Geith, "Syria's al-Nusra Front—Ruthless, Organised and Taking Control," *Guardian*, July 10, 2013. As of June 17, 2015: http://www.theguardian.com/world/2013/jul/10/syria-al-nusra-front-jihadi

Abdul-Jabar, Faleh, and Hosham Dawod, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003.

Abdulla, Namo, "The View from Kurdistan: Divide Iraq in Order to Save It," *Al Jazeera*, June 13, 2014. As of June 7, 2015: http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2014/06/iraq-isil-kurds-201461274633487455.html

Adams, Doris G., "Current Population Trends in Iraq," *Middle East Journal*, Vol. 10, No. 2, 1956, pp. 151–165.

Alaaldin, Ramj, "If Iraq Is to Survive, Then It Must Be Divided into Separate Regions," *Independent*, August 17, 2014. As of June 7, 2015: http://www.independent.co.uk/voices/comment/if-iraq-is-to-survive-then-it-must-be-split-into-ethnic-and-religious-regions-9674794.html

Ala Hamoudi, Haider, *Negotiating in Civil Conflict: Constitutional Construction and Imperfect Bargaining in Iraq*, Chicago: University of Chicago Press, 2014, Kindle.

Arango, Tim, "Dozens Killed in Battles Across Iraq as Sunnis Escalate Protests Against Government," *New York Times*, April 23, 2013. As of July 8, 2015: http://www.nytimes.com/2013/04/24/world/middleeast/clashes-at-sunni-protest-site-in-iraq.html

Armstrong, Karen, *Islam: A Short History*, New York: Modern Library, 2002.

"Assad: Takfiri Terrorism Targets Diverse Social, Cultural Fabric of Region," Syrian Arab News Agency, June 11, 2015.

"Austria: Syrian Kurds Fight al-Qa'idah on Europe's Behalf Too, Says Rebel Leader," BBC Monitoring Europe—Political, January 9, 2014.

Baram, Amatzia, "Neotribalism in Iraq: Saddam Hussein's Tribal Policies 1991–1996," *International Journal of Middle East Studies*, No. 29, 1997, pp. 1–31.

Barnard, Anne, "Sectarian Wedge Pushes from Syria to Lebanon," *New York Times*, October 27, 2014.

Barwari, Delovan, "Partition Will Help End the Turmoil in Iraq," *Jerusalem Post*, March 8, 2015. As of June 7, 2015:
http://www.jpost.com/Opinion/Partition-will-help-end-the-turmoil-in-Iraq-393315

Barzegar, Kayhan, "Iran's Foreign Policy in Post-Invasion Iraq," *Middle East Policy*, Vol. 15, No. 4, 2008, pp. 47–58.

Batutu, Hanna, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movement of Iraq*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1978, Kindle.

———, *Syria's Peasantry, the Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1999.

Bhalla, Reva, "Making Sense of the Syrian Crisis," *Stratfor*, May 5, 2011

Bizar, Redwan, "Islamic State Abducts Sons of Tribal Leader in Eastern Syria," ARA News, January 2, 2015a.

———, "Islamic State Holds Meeting with Syrian Arab Tribes in Hasakah," ARA News, January 3, 2015b.

Boghani, Priyanka, "In Their Own Words: Sunnis on Their Treatment in Maliki's Iraq," Public Broadcasting Service, October 28, 2014. As of July 8, 2015:
http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/iraq-war-on-terror/rise-of-isis/in-their-own-words-sunnis-on-their-treatment-in-malikis-iraq/

Bradley, Matt, and Ghassan Adnan, "Shiite Militias Win Bloody Battles in Iraq, Show No Mercy," *Wall Street Journal*, December 5, 2014:
http://www.wsj.com/articles/shiite-militias-win-bloody-battles-in-iraq-show-no-mercy-1417804464

Brancati, Dawn, "Can Federalism Stabilize Iraq?" *Washington Quarterly*, Vol. 27, No. 2, 2004, pp. 5–21.

Burns, Robert, "U.S. Program to Train Syrian Rebels Has Fewer Than 100 Volunteers," *Stars and Stripes*, June 29, 2015.

Caris, Charles C., and Samuel Reynolds, *ISIS Governance in Syria*, Middle East Security Report 22, Institute for the Study of War, July 2014.

Çetinsaya, Gökhan, "The Caliph and Mujtahids: Ottoman Policy Towards the Shiite Community of Iraq in the Late Nineteenth Century," *Middle Eastern Studies*, Vol. 41, No. 4, 2005, pp. 561–574.

Chivers, C. J., "Answering a Cleric's Call, Iraqi Shiites Take Up Arms," *New York Times*, June 21, 2014. As of August 16, 2015: http://www.nytimes.com/2014/06/22/world/middleeast/iraq-militia.html

Choksy, Jamsheed K., and Carol E. B. Choksy, "Defeat ISIS, but Let Iraq Split," *World Affairs*, undated. As of June 7, 2015: http://www.worldaffairsjournal.org/article/defeat-isis-let-iraq-split

CIA—*See* U.S. Central Intelligence Agency.

Coalition Provisional Authority, "Coalition Provisional Authority Order Number 1: De-Ba'athification of Iraqi Society," Baghdad, Iraq, 2003.

Cockburn, Patrick, *Muqtada: Muqtada al-Sadr, the Shia Revival, and the Struggle for Iraq*, New York: Scribner, 2008.

Cole, Juan, *Marsh Arab Rebellion: Grievance, Mafias and Militias in Iraq*, Fourth Wadie Jwaideh Memorial Lecture, Department of Near Eastern Languages and Cultures, Indiana University, Bloomington, Ind., 2008.

Cole, Juan R. I., and Moojan Momen, "Mafia, Mob, and Shiism in Iraq: The Rebellion of Ottoman Karbala, 1824–1843," *Past and Present*, No. 112, 1986, pp. 112–143.

Coles, Isabel, "Iraq Chaos Fuels Kurds' Independence Dream, but Hurdles Remain," Reuters, July 6, 2014. As of August 16, 2015: http://www.reuters.com/article/2014/07/06/us-iraq-security-kurds-idUSKBN0FB0Y620140706

Connable, Ben, *Military Intelligence Fusion for Complex Operations*, Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, OP-377-RC, 2012. As of August 1, 2018: https://www.rand.org/pubs/occasional_papers/OP377.html

———, "A Long Term Strategy for a Democratic Iraq," *War on the Rocks*, June 30, 2014. As of August 6, 2015: http://warontherocks.com/2014/06/a-long-term-strategy-for-a-democratic-iraq/

Cooper, Andrew Scott, "Showdown at Doha: The Secret Oil Deal That Helped Sink the Shah of Iran," *Middle East Journal*, Vol. 62, No. 4, August 2008, pp. 567–591.

CPA—*See* Coalition Provisional Authority.

Dale, Stephen F., *The Muslim Empires of the Ottomans, Safavids, and Mughals*, New York: Cambridge University Press, 2010. As of August 16, 2015: https://books.google.com/books?isbn=0813313597

Dawisha, Adeed, "'Identity' and Political Survival in Saddam's Iraq," *Middle East Journal*, Vol. 53, No. 4, 1999, pp. 553–567.

———, *Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2003, Kindle.

———, *Iraq: A Political History*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009, Kindle.

Dawood, Hosham, "The 'State-ization' of the Tribe and the Tribalization of the State: The Case of Iraq," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 83–108.

Devlin, John F., "The Baath Party: Rise and Metamorphosis," *American Historical Review*, Vol. 96, No. 5, 1991, pp. 1396–1407.

Dodge, Toby, *Inventing Iraq: The Failure of Nation Building and a History Denied*, New York: Columbia University Press, 2003.

———, *Iraq: From War to a New Authoritarianism*, London: International Institute for Strategic Studies, 2012.

———, "Seeking to Explain the Rise of Sectarianism in the Middle East: The Case Study of Iraq," Project on Middle East Political Science, March 19, 2014.

Edelman, Marc, "Social Movements Changing Paradigms and Forms of Politics," *Annual Review of Anthropology*, Vol. 30, 2000, pp. 285–317.

Eich, Thomas, "Patterns of the 1920 Rising in Iraq, the Rifaiyya Tariqa and Shiism," *Arabica*, Vol. 56, No. 1, 2009, pp. 112–119.

Eppel, Michael, *Iraq from Monarchy to Tyranny: From the Hashemites to the Rise of Saddam*, Gainesville, Fla.: University Press of Florida, 2004.

Farouk-Alli, Aslam, "Sectarianism in Alawi Syria: Exploring the Paradoxes of Politics and Religion," *Journal of Muslim Minority Affairs*, Vol. 34, No. 3, 2014, pp. 207–226.

Farouk-Sluglett, Marion, and Peter Sluglett, "The Historiography of Modern Iraq," *American Historical Review*, Vol. 96, No. 4, 1991, pp. 1408–1421.

Felter, Joseph, and Brian Fishman, *Iranian Strategy in Iraq: Politics and "Other Means,"* West Point, N.Y.: Combating Terrorism Center, U.S. Military Academy, October 13, 2008.

Fildis, Ayse Tekdal, "Roots of Alawite-Sunni Rivalry in Syria," *Middle East Policy Council*, Vol. 19, No. 2, Summer 2012

Fischer, Hannah, *Iraqi Civilian Death Estimates*, Washington, D.C.: Congressional Research Service, RS22537, August 27, 2008.

"Foreign Fighters Flow to Syria," *Washington Post*, October 11, 2014.

Fromkin, Alissa, "Part Three: UAE Foreign Policy in Iraq and Syria," *International Affairs Review*, Elliott School of International Affairs at George Washington University, March 5, 2015.

Fuller, Graham E., "Why Does ISIS Hate Shi'a?" lobelog.com, December 17, 2014.

Gause, Gregory F., *Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War*, Washington, D.C.: Brookings Institution, 2014.

Gengler, Justin L., "Understanding Sectarianism in the Persian Gulf," in *Sectarian Politics in the Persian Gulf*, Lawrence G. Potter, ed., London: Hurst and Company, 2013, pp. 31–66.

Gladstone, Rick, "UN Monitors in Syria Find Grisly Traces of Massacre," *New York Times*, June 8, 2012

Goldberg, Jeffrey, "After Iraq," *Atlantic*, January–February 2008. As of June 20, 2015:
http://www.theatlantic.com/magazine/archive/2008/01/after-iraq/306577/

———, "The New Map of the Middle East," *Atlantic*, June 19, 2014. As of June 20, 2015:
http://www.theatlantic.com/international/archive/2014/06/the-new-map-of-the-middle-east/373080/

Government of Iraq, "Agrarian Reform Law of the Republic of Iraq," No. 30, Baghdad, Iraq, October 1958.

Gritten, David, "Long Path to Iraq's Sectarian Split," BBC News, February 25, 2006. As of June 20, 2015:
http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4750320.stm

Haddad, Fanar, *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity*, Oxford, UK: Oxford University Press, 2011, Kindle.

———, "Sectarian Relations and Sunni Identity in Post–Civil War Iraq," in Lawrence G. Potter, ed., *Sectarian Politics in the Persian Gulf*, London: Hurst and Company, 2013, pp. 67–115.

———, "Reinventing Sunni Identity in Iraq After 2003," *Current Trends in Islamist Ideology*, Vol. 17, 2014, pp. 70–101.

Haddad, Fanar, and Sajjad Rizvi, "Fitting Baghdad In," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008, pp. 51–74.

Harari, Michal, "Status Update: Shi'a Militias in Iraq," Institute for the Study of War, backgrounder, 2010. As of June 4, 2015:
http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Backgrounder_ShiaMilitias.pdf

Harding, Luke, Miriam Elder, and Peter Beaumont, "Assad Losing Syria War, Russia Admits for First Time," *Guardian*, December 13, 2012.

Heydemann, Steven, *Authoritarianism in Syria: Institutions and Social Conflict 1946–1970*, Cornell University Press: Ithaca, New York, 1999.

———, "Syria's Uprising: Sectarianism, Regionalisation, and State Order in the Levant," Fundación para las Relaciones Internacionales y el Diálogo Exterior working paper 119, May 2013.

"Hezbollah, Syrian Army Advance in Jarajir Barrens," *al-Manar*, June 12, 2015.

Hof, Frederic C., "Syria: Does the Threat of Sectarian 'Cleansing' Stay the West's Hand?" Atlantic Council, May 17, 2013.

Hokayem, Emile, *Syria's Uprising and the Fracturing of the Levant, Adelphi Series*, Vol. 53, No. 438, June 14, 2013, p. 18.

Holmes, Oliver, and Suleiman al-Khalidi, "Islamic State Executed 700 People from Syrian Tribe: Monitoring Group," Reuters, August 16, 2014.

Hornsey, Matthew J., "Social Identity Theory and Self-Categorization Theory: A Historical Overview," *Social and Personality Psychology Compass*, Vol. 2, No. 1, 2008, pp. 204–222.

"Houla: How a Massacre Unfolded," BBC News, June 8, 2012.

Hudson, Michael C., "Democracy and Social Mobilization in Lebanese Politics," *Comparative Politics*, Vol. 1, No. 2, 1969, pp. 245–263.

Human Rights Watch, *World Report 2015*, "Country Summary: Syria," January 2015, p. 5.

Hunt, Emily, "Zarqawi's 'Total War' on Iraqi Shiites Exposes a Divide Among Sunni Jihadists," Washington, D.C.: Washington Institute, November 15, 2005. As of August 16, 2015:
http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/zarqawis-total-war-on-iraqi-shiites-exposes-a-divide-among-sunni-jihadists

Husayn, Ayad Mahmud, "Are the Shia Really the Majority in Iraq?" in Arabic, *Al-Arab News*, April 11, 2005. As of June 24, 2015:
http://alarabnews.com/alshaab/2005/04-11-2005/19.htm

"I Praised Assad at Gunpoint, Says Syrian Tribal Leader," Reuters, January 17, 2012.

Izady, Michael, "Syria: Religious Composition (Summary)," map, Columbia University Gulf 2000 Project, 2015. As of August 16, 2015:
http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Syria_Religion_summary_lg.png

Jabar, Faleh A., "Sheikhs and Ideologues: Deconstruction and Reconstruction of Tribes Under Patrimonial Totalitarianism in Iraq, 1968–1998," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 53–81.

Jansen, Michael, "Repression by Iraq's Shia Regime Sparks Sunni Revolt," *Irish Times*, January 4, 2014. As of July 1, 2015:
http://www.irishtimes.com/news/world/middle-east/repression-by-iraq-s-shia-regime-sparks-sunni-revolt-1.1643809

Jensen, Sterling, *Iraqi Narratives of the Anbar Awakening*, London: King's College, thesis, 2014.

Kalyvas, Stathis N., and Matthew Adam Kocher, "Ethnic Cleavages and Irregular War: Iraq and Vietnam," *Politics and Society*, Vol. 35, No. 2, 2007, pp. 183–233.

Karsh, Efraim, "Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq War," *Middle East Journal*, Vol. 44, No. 2, 1990, pp. 256–268.

Kennedy, Elizabeth A., "Syria Massacre Victims in Houla Executed, Says UN," *Huffington Post*, May 29, 2012

Khadim, Abbas, *Reclaiming Iraq: The 1920 Revolution and the Founding of the Modern State*, Austin, Texas: University of Texas Press, 2012.

al-Khalidi, Suleiman, "Islamic State in Syria Abducts at Least 150 Christians," Reuters, February 25, 2015.

Khalilzad, Zalmay, "Get Ready for Kurdish Independence," *New York Times*, July 13, 2014. As of August 16, 2015:
http://www.nytimes.com/2014/07/14/opinion/iraqs-urgent-need-for-unity.html

Knights, Michael, "The JRTN Movement and Iraq's Next Insurgency," West Point, N.Y.: Combating Terrorism Center, 2011.

Knights, Michael, Philip Smyth, and Ahmad Ali, "Iranian Influence in Iraq: Between Balancing and Hezbollahzation?" Washington, D.C.: Washington Institute, June 21, 2015. As of August 15, 2015:
http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/
iraq-and-iranian-influence-between-balancing-and-hezbollah-ization

Kumaraswamy, P. R., "Who Am I? The Identity Crisis in the Middle East," *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 10, No. 1, 2006, pp. 63–73.

Lawrence, Quil, "U.S. Sees New Threat in Iraq from Sufi Sect," National Public Radio, June 17, 2009. As of August 6, 2015:
http://www.npr.org/templates/story/story.php?storyId=105507397

"Lazma Law No. 51 of 1932," *Iraq Government Gazette*, No. 23, June 5, 1932, pp. 423–424.

Landis, Joshua, "The Syrian Uprising of 2011: Why the Asad Regime Is Likely to Survive to 2013," *Middle East Policy Council*, Vol. XIX, No. 1, Spring 2012, p. 6.

League of Nations, "Mandate for Syria and the Lebanon," London, July 24, 1922.

Legrand, Felix, "The Colonial Strategy of ISIS in Syria," *Arab Reform Initiative: Policy Alternatives*, June 2014, p. 6.

Leland, John, and Khalid D. Ali, "Anbar Province, Once a Hotbed of Iraqi Insurgency, Demands a Say on Resources," *New York Times*, October 27, 2010. As of August 16, 2015:
http://www.nytimes.com/2010/10/27/world/middleeast/27anbar.html

Liepman, Andrew M., Brian Nichiporuk, and Jason Killmeyer, *Alternative Futures for Syria: Regional Implications and Challenges for the United States*, Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, PE-129-RC, 2014. As of August 3, 2018: https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE129.html

Lipka, Michael, "The Sunni-Shia Divide: Where They Live, What They Believe and How They View Each Other," Pew Research Center, June 18, 2014.

Lister, Tim, "Iraq to Split in Three: So Why Not?" CNN, July 8, 2014. As of June 7, 2015:
http://www.cnn.com/2014/07/07/world/meast/iraq-division-lister/

Lukitz, Liora, *Iraq: The Search for National Identity*, Portland, Ore.: Frank Cass and Co., 1995.

Lynch, Marc, "The Entrepreneurs of Cynical Sectarianism: Why the Middle East's Identity Conflicts Go Way Beyond the Sunni-Shiite Divide," *Foreign Policy*, No. 4, November 13, 2013, p. 5.

Al-Mahmud, Abdulaziz, "New Evidence . . . for the Sunni Majority in Iraq," in Arabic, Defense Network for the Sunnis, March 9, 2010. As of June 29, 2015: http://www.dd-sunnah.net/records/view/action/view/id/2659/

Makiya, Kanan, *Republic of Fear: The Politics of Modern Iraq*, Berkeley, Calif.: University of California Press, 1989 (1998 edition).

Mamouri, Ali, "Was Zahran Alloush Really a Moderate Leader?" *Al-Monitor*, January 14, 2016.

Marr, Phebe, *The Modern History of Iraq*, Boulder, Colo.: Westview Press, 2012.

Martin, Richard C., "Empires: Ottoman," in Richard C. Martin, ed., *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, Vol. 1, New York: Macmillan Reference USA, 2004, pp. 214–217.

Martinez, Jose Ciro, "Rebellion, Sectarian Slaughter or Civil War? Reading the Syrian Melee," *New Middle Eastern Studies*, Vol. 3, 2013.

Marschall, Christin, *Iran's Persian Gulf Policy: From Khomeini to Khatami*, New York: Routledge, 2003

McCarthy, John D., and Mayer N. Zald, "Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory," *American Journal of Sociology*, Vol. 82, No. 6, 1977, pp. 1212–1241.

Milani, Mohsen, "Why Tehran Won't Abandon Assad(ism)," *Washington Quarterly*, Vol. 36, No. 4, Spring 2013, pp. 79–93.

"Minority Kurds Promote Cultural Diversity amid Syrian Civil War," video, *Your Middle East*, February 25, 2014.

Mironova, Vera, and Sam Whitt, "A Glimpse into the Minds of Four Foreign Fighters in Syria," *CTC Sentinel*, Vol. 7, No. 6, Combating Terrorism Center at West Point, June 2014, p. 7. As of October 22, 2015:
https://www.ctc.usma.edu/
posts/a-glimpse-into-the-minds-of-four-foreign-fighters-in-syria

Moniquet, Claude, "The Involvement of Salafism/Wahhabism in the Support and Supply of Arms to Rebel Groups Around the World," European Parliament Policy Department, June 11, 2013.

Montgomery, Gary W., and Timothy S. McWilliams, eds., *Al-Anbar Awakening Volume II: Iraqi Perspectives from Insurgency to Counterinsurgency in Iraq, 2004–2009*, Quantico, Va.: Marine Corps University Press, 2009.

Nader, Alireza, Ali G. Scotten, Ahmad Rahmani, Robert Stewart, and Leila Mahnad, *Iran's Influence in Afghanistan: Implications for the U.S. Drawdown*, Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, RR-616, 2014. As of July 25, 2018:
https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR616.html

Nagel, Joane, and Susan Olzak, "Ethnic Mobilization in New and Old States: An Extension of the Competition Model," *Social Problems*, Vol. 30, No. 2, 1982, pp. 127–143.

Nakash, Yitzhak, *The Shi'is of Iraq*, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1994.

Namaa, Kamal, "Fighting Erupts as Iraq Police Break up Sunni Protest Camp," Reuters, December 30, 2013. As of July 8, 2015:
http://www.reuters.com/article/2013/12/30/
us-iraq-violence-idUSBRE9BT0C620131230

Nasr, S. V. R., "European Colonialism and the Emergence of Modern Muslim States," Oxford Islamic Studies Online, 2016.

Nasr, Vali R., "International Politics, Domestic Imperatives, and Identity Mobilization Sectarianism in Pakistan, 1979–1998," *Comparative Politics*, Vol. 32, No. 2, 2000, pp. 171–190.

———, "When the Shiites Rise," *Foreign Affairs*, Vol. 85, No. 4, 2006, pp. 58–71, 73–74.

———, *The Shi'a Revival*, New York: W. W. Norton and Company, 2007.

Neep, Daniel, *Occupying Syria Under the French Mandate: Insurgency, Space and State Formation*, Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2012

Neriah, Jacques, "Egypt's Shiite Minority: Between the Egyptian Hammer and the Iranian Anvil," Jerusalem Center for Public Affairs, September 23, 2012.

Nir, Omri, "The Sunni-Shi'i Balance in Light of the War in Syria and Regional Changes," Rubin Center for Research in International Affairs, April 7, 2014.

Northedge, Alistair, "Al-Iraq al-Arabi: Iraq's Greatest Region in the Pre-Modern Period," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008, pp. 151–166.

Notzon, Beth, and Gail Nesom, "The Arabic Naming System," *Science Editor*, Vol. 28, No. 1, 2005. As of June 29, 2015:
http://www.councilscienceeditors.org/wp-content/uploads/v28n1p020-021.pdf

Al-Nusra, "The Group of 'Dawlah'—and the Islamic Ruling Regarding it," SITE translation, March 5, 2015a.

Al-Nusra, "Statement No. 24: Statement Clarifying What Came in the Interview of Sheikh Abu Malik al-Shami, May Allah Preserve Him," translated by SITE, March 15, 2015b.

O'Bagy, Elizabeth, "Syria Update: Assad Targets Sunni Along Syria's Coast," Institute for the Study of War, May 10, 2013.

Ostovar, Afshon, "Iran Has a Bigger Problem Than the West: Its Sunni Neighbors," *Lawfare Blog*, June 7, 2015.

Pelham, Nicolas, *A New Muslim Order: The Shia and the Middle East Sectarian Crisis*, London: I. B. Taurius and Co., 2008.

Perthes, Volker, *The Political Economy of Syria Under Assad*, London: I. B. Taurius and Company, 1997.

Pew Research Center, "Mapping the Global Muslim Population, Appendix C: Data Sources by Country," October 7, 2009. As of June 18, 2015:
http://www.pewforum.org/files/2009/10/datasources.pdf

Phillips, Christopher, "Sectarianism and Conflict in Syria," *Third World Quarterly*, Vol. 36, No. 2, March 24, 2015, p. 357

Pursley, Sara, "'Lines Drawn on an Empty Map': Iraq's Borders and the Legend of the Artificial State (Part 1)," *Jadaliyya*, June 2, 2015. As of June 20, 2015:
http://www.jadaliyya.com/pages/index/21759/
lines-drawn-on-an-empty-map_iraq's-borders-and-the

Al-Qarawee, Harith, "The Rise of Sunni Identity in Iraq," *National Interest*, April 5, 2013. As of June 23, 2015:
http://nationalinterest.org/commentary/sunni-identitys-rise-iraq-8314

Rand, Dafna H., and Nicholas A. Heras, "Iraq's Sunni Reawakening: How to Defeat ISIS and Save the Country," *Foreign Affairs*, March 16, 2015. As of July 1, 2015:
https://www.foreignaffairs.com/articles/iraq/2015-03-16/iraqs-sunni-reawakening

al-Rasheed, Madawi, "Middle East Dictators Feed Sectarianism," *Al-Monitor*, December 15, 2014.

Reese, Aaron, "Sectarian and Regional Conflict in the Middle East," Middle East Security Report 13, Institute for the Study of War, July 2013.

Republic of Iraq, "Iraq's Governorates by Area and Their Relative Share of Area and Population: 1997, 2009," spreadsheet, Ministry of Planning Central Statistical Organization, 2010.

Roberts, John Morris, and Odd Arne Westad, *The History of the World*, New York: Oxford University Press, 2013.

Robinson, Francis, *The Cambridge Illustrated History of the Islamic World*, New York: Cambridge University Press, 1996.

Sahgal, Neha, Pew Research Center,"The Escalating Shi'a-Sunni Conflict: Assessing Arab Public Attitudes," conference address, Stimson Center, Washington, D.C., February 18, 2015.

Sakai, Keiko, "Tribalization as a Tool of State Control in Iraq: Observations on the Army, the Cabinets and the National Assembly," in Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawood, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*, London: Saqi Books, 2003, pp. 109–135.

Salamandra, Christa, "Sectarianism in Syria: Anthropological Reflections," *Middle East Critique*, Vol. 22, No. 3, 2013, pp. 303–306.

Salamey, Imad, *The Government and Politics of Lebanon*, London: Routledge, 2013.

Salucci, Ilario, *A People's History of Iraq: The Iraqi Communist Party, Workers' Movements, and the Left 1924–2004*, Chicago: Haymarket Books, 2003 (tr. 2005).

"Saudi Arabia Has a Shiite Problem," *Foreign Policy*, December 3, 2014.

"Saudis Reportedly Funding Iraqi Sunni Insurgents," *USAToday*, December 8, 2006. As of August 16, 2015:
http://usatoday30.usatoday.com/news/world/iraq/2006-12-08-saudis-sunnis_x.htm

Schenker, David, "Qaradawi and the Struggle for Sunni Islam," *PolicyWatch*, No. 2157, Washington Institute, October 16, 2013.

Schofield, Richard, "Borders, Regions and Time: Defining the Iraqi Territorial State," in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008, pp. 167–204.

Sherlock, Ruth, and Magdy Samaan, "Syria: Full Horror of al-Qubeir Massacre Emerges," *Telegraph*, June 7, 2012.

Shuqir, Shafiq, "At-ta'dud al-'araqi wah ad-dini fi bina' 'Iraq al-mustaqbal" [Ethnic and religious diversity in the composition of the future Iraq], *Al Jazeera*, March 10, 2004. As of June 23, 2015:
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/b560023c-4cef-438c-94ff-759a2613e2f8

Simon, Reeva Spector, *Iraq Between the Two World Wars*, New York: Columbia University Press, 2000 (2007 edition).

Simon, Reeva Spector, and Eleanor H. Tajirian, eds., *The Creation of Iraq: 1914–1921*, New York: Columbia University Press, 2004, Kindle.

"Smite Their Necks," video, SITE translation, Hama Province Islamic State, March 28, 2015.

Smyth, Philip, *The Shiite Jihad in Syria and its Regional Effects*, Washington Institute for Near East Policy, Policy Focus 138, 2015.

Sowell, Kurt, "Iraq's Second Sunni Insurgency," Hudson Institute, 2014. As of July 8, 2015:
http://www.hudson.org/research/10505-iraq-s-second-sunni-insurgency

Stewart, Dona J., *The Middle East Today: Political, Geographical and Cultural Perspectives*, New York: Routledge, 2013

"Sykes-Picot Agreement," Encyclopaedia Britannica, May 31, 2016.

"Syria: International Religious Freedom Report 2006," Washington, D.C., U.S. Department of State, 2006.

Syrian Arab Tribes Council, Facebook post, June 5, 2012.

"Takfiri Terrorists Commit Massacre Against Syrian Druze in Idleb Countryside," *al-Manar*, June 11, 2015.

Tharoor, Ihsaan, "Syria's Turkmen Rebels, the Group at the Center of the Russia-Turkey Clash," *Washington Post*, November 24, 2015.

"The Abbasid Dynasty: The Golden Age of Islamic Civilization," Saylor Foundation, 2012.

"The Escalating Shia-Sunni Conflict: Assessing the Role of ISIS," Stimson Center Conference, Middle East Program, December 15, 2014.

"The Future of the Global Muslim Population," Pew Research Center, January 27, 2011.

Totten, Michael J., "Assad Shells Alawite Stronghold," *World Affairs Journal*, August 13, 2011.

Tripp, Charles, *A History of Iraq*, 3rd ed., Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007.

Trofimov, Yaroslav, "Sunni-Shiite Conflict Reflects Modern Power Struggle, Not Theological Schism," *Wall Street Journal*, May 14, 2015a.

———, "To U.S. Allies, al-Qaeda Affiliate in Syria Becomes the Lesser Evil," *Wall Street Journal*, June 11, 2015b.

"Turkey Cracks Down on Foreign Fighters Crossing Border to Join ISIS," CBSnews.com, September 29, 2015.

UN—*See* United Nations.

United Nations, *Universal Declaration of Human Rights*, December 10, 1948. As of February 12, 2011:
http://www.un.org/en/universal-declaration-human-rights/index.html

———, *International Covenant on Civil and Political Rights: General Comment Number 27– Freedom of Movement (Article 12)*, November 2, 1999.

———, *The Human Security Framework and National Human Development Reports: A Review of Experiences and Current Debates*, May 2006.

———, *Iraq: Population (Thousands), Medium Variant, 1950–2100*, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, Population Estimates and Projections Section, 2015a. As of June 17, 2015:
http://esa.un.org/wpp/unpp/p2k0data.asp

———, *Data Sources for Population Estimates*, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, Population Estimates and Projections Section, 2015b.

United Nations News Centre, “News Focus: Syria,” undated. As of March 22, 2016:
http://www.un.org/apps/news/infocusRel.asp?infocusID=146

UN News Centre—*See* United Nations News Centre.

U.S. Central Intelligence Agency, “The World Factbook: Iraq,” undated. As of June 17, 2015:
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/iz.html

Van Ostaeyan, Pieter, “Al-Jazeera: Interview with Jabhat al-Nusra Amir Abu-Muhammad al-Julani,” blog post, translation, May 27, 2015.

Visser, Reidar, “Two Regions of Southern Iraq,” in Reidar Visser and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008a, pp. 27–50.

———, “Historical Myths of a Divided Iraq,” *Survival: Global Politics and Strategy*, Vol. 50, No. 2, 2008b, pp. 95–106.

Visser, Reidar, and Gareth Stansfield, eds., *An Iraq of Its Regions: Cornerstones of a Federal Democracy?* New York: Columbia University Press, 2008.

Walker, Martin, “The Making of Modern Iraq,” *Wilson Quarterly*, Vol. 27, No. 2, 2003, pp. 29–40.

Wehrey, Frederic, “The Roots and Future of Sectarianism in the Gulf,” Project on Middle East Political Science, March 21, 2014.

Weiss, Bernard, "Interpretation in Islamic Law: The Theory of Ijtihād," *American Journal of Comparative Law*, Vol. 22, No. 6, 1978 [*Proceedings of an International Conference on Comparative Law in Salt Lake City Utah*, February 24–25, 1977], pp. 199–212.

Wieland, Carsten, "The Bankruptcy of Humanism? Primordialism Dominates the Agenda of International Politics," *Internationale Politik und Gesellschaft*, 2005, pp. 142–158. As of March 24, 2016:
http://www.fes.de/ipg/IPG4_2005/10_WIELAND.PDF

Wikipedia, "Anglo-Iraqi Treaty of 1930," last updated June 17, 2018. As of August 3, 2018:
https://en.wikipedia.org/wiki/Anglo-Iraqi_Treaty_of_1930#Full_text

Wimmer, Andreas, "Democracy and Ethno-religious Conflict in Iraq," *Survival: Global Politics and Strategy*, Vol. 45, No. 4, 2007, pp. 111–134.

"World Directory of Minorities and Indigenous Peoples—Turkey: Alevis," United Nations High Commissioner for Refugees, 2008.

World Values Survey, "Wave 5 2005–2008: Results, Iraq 2006, Technical Record," World Values Survey Association, 2014. As of June 18, 2015:
http://www.worldvaluessurvey.org/WVSDocumentationWV5.jsp

Wurmser, David, *Tyranny's Ally: America's Failure to Defeat Saddam Hussein*, Washington, D.C.: American Enterprise Institute Press, 1999.

Yaphe, Judith, "Tribalism in Iraq, the Old and the New," *Middle East Policy*, Vol. 7, No. 3, 2000, pp. 51–58.

Yazbek, Samar, *A Woman in the Crossfire: Diaries of the Syrian Revolution*, trans. Max Weiss, London: Haus Publishing, 2012.

Ziada, Faruq, "Is There a Sunni Majority in Iraq?" *counterpunch*, website, December 27, 2006. As of June 19, 2015:
http://www.counterpunch.org/2006/12/27/is-there-a-sunni-majority-in-iraq/

Zubaida, Sami, "The Fragments Imagine the Nation: The Case of Iraq," *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 34, 2002, pp. 205–215.

يرجع الاضطراب الحالي في الشرق الأوسط إلى أسباب كثيرة ويأخذ الكثير من الأشكال. فالشعور الجماعي بالتجريد من الحقوق والحوكمة الفاسدة والخلاف القائم على الجغرافيا السياسية والتطرف الديني، تُمثِّل جميعًا عوامل تُسهم في نشوب الصراعات في العراق وإيران وسوريا واليمن وليبيا. وينظر الكثير من صنّاع السياسات والمراقبين الغربيين إلى الاضطراب في الشرق الأوسط من خلال منظور الطائفية الدينية الثنائية، بالتركيز على الانقسامات بين المسلمين السُنَّة والشيعة. يتجلى هذا الانقسام بوضوح في المنافسة الجغرافية السياسية بين المملكة العربية السعودية وإيران، وينعكس ذلك في العنف الدائر في العراق وسوريا. لكن تعقيدات الهوية الإنسانية والتاريخ والثقافة الإقليمية لا ترتبط بالتفسير المبسط جدًا للموقف. يحلل المؤلفون الطائفية في المنطقة، ويقيمون العوامل الأخرى التي تؤجج الصراع العنيف، ويقدمون تفسيرًا مختلفًا لكل من هوية الاضطراب الإقليمي وطبيعته.



www.rand.org

Arabic Translation of:
"*Sectarianism in the Middle East - Implications for the United States*"
RR-1681/1-A